هديتك مع ال
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

العدد - ٣٤٨ - شعبان ١٤١٥هـ/ يناير (ك٢) ١٩٩٥م





المؤتمر الإسلامي وقضايا الأمة

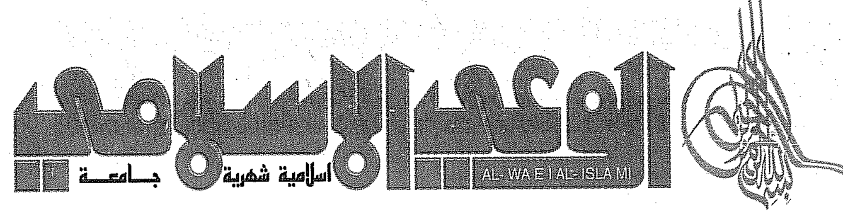


مسجد (سلطان أيوب) شاهد حي

بدعة غريبة: القتل بدافع الرحمة

حياة الحيوان كما صورها القرآن





تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٤٨ - السنة الحادية والثلاثون - شعبان ١٤١٥هـ / يناير (ك٢) ١٩٩٥م

كلمة العدد

الدعوة إلى الحوار والتفاوض والتفاهم تعتبر أبرز شعارات المرحلة العالمية المعاصرة، فالمطلوب حوار بين الأصدقاء ذوي النظرات المتباينة إلى الأمر الواحد، والمطلوب حوار بين الأفرقاء المتفاوضين الساعين إلى تحقيق مصالح مشتركة، والمطلوب حوار بين المتخاصمين ذوي النظرة المتناقضة إلى المسألة الواحدة، وأخيراً يطرح البعض مبدأ الحوار بين الجلاد والضحية، ولعل النموذج البوسنوي أبرز الأمثلة على الدعوة للحوار بين الذئب والحمَل..

والإسلام من حيث المبدأ يدعو إلى التحاور، ويفتح أبوابه على مصراعيها، ليصل بالناس إلى القلوب المفتوحة، والعقول الواعية البعيدة عن التعصب والإنغلاق، ولكنه يدفع الحوار في الاتجاه المناسب لإقامة العلاقة السليمة، وتبيان الحجة الواضحة، ولا يتخذ من التحاور سبيلا إلى تضييع الحقوق وهضمها، واستغفال أهلها، وتزييف الحقائق كما يجري في عالم اليوم..

جدوى الحوار..

ولقد ذكر القرآن الكريم حوار الملائكة وهم يبدون رأيهم فيما ستؤول إليه أمور الإنسان من الإفساد وسفك الدماء، كما ذكر ألوانا من الحوار بين المتفقين والمختلفين على حد سواء، تنمية للعقل الإنساني، وارتقاءً ببني البشر إلى درجة سامية من درجات تحقيق الذات بعيدا عن الصدام الدموي المؤدي إلى التهلكة..

فهل دعوات الحوار المرفوعة هنا وهناك تحقق نفس الهدف الإسلامي السامي؟ وهل تملك المنظمات الدولية الآلية الجادّة القادرة على إنهاء حالات التصارع الدموي والمذابح الوحشية والتصفيات العرقية التي تستهدف من لا حوْل له ولا طوْل، أم هي دعوة لِمط الوقت وإفساح الفرصة للجلادين ليستفيدوا من الفرصة وليجعلوا المتغيرات واقعاً يستحيل تجاوزه؟ والجواب - بالطبع - عند دعاة الحوار لا عند المتعطشين للحل □

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

مدير التحرير
MANAGING EDITOR
د. صلاح الدين أرقه دان
Dr. S.S. ARKADAN

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاخراج الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

المراسلات:
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

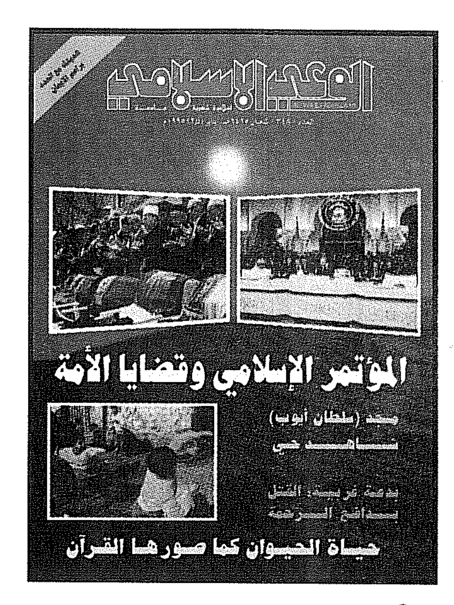
داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (او مايعادلها) ـ دول العالم: للافراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

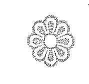
وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

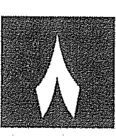
أقرأ في العدد

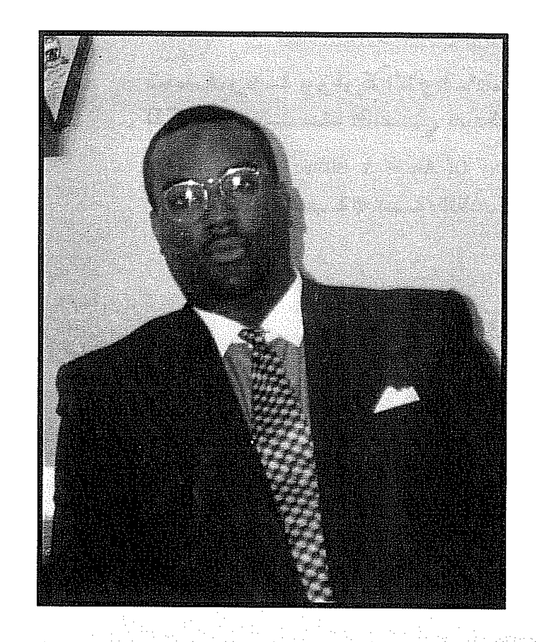




المجلس الامريكي للشباب المسلم

ما زالت الجالية المسلمة ذات الأصول الأفريقية تعاني الكثير من الهموم والعقبات على درب الالتزام بالحياة الإسلامية. وفي حوار الشهر مع المسلم الأمريكي (خالد أحمد) نقل لهموم وآمال وآلام الحركة الزنجية المسلمة في الولايات المتّحدة الأمريكية، وفيه طرح لأفكار عن الأولويات والحوار والعلاقة بين الشرق والغرب، وانطباعاته عن الكويت وسواها من المواضيع المطروقة على الساحة الإسلامية المعاصرة.

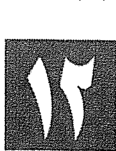




أعرب عدد من وزراء خارجية الدول الإسلامية عن ارتياحهم لتحقيق إجماع حول القضايا الرئيسية التي طرحها جدول أعمال المؤتمر الإسلامي السابع الأخير الذي عقد في الدار البيضاء بالمغرب، وعلى رأسها: وضع الإسلام في العالم، وقضية القدس الشريف، وإنهاء الوضع المأساوي الذي ترتب على الخلافات العربية - العربية. ويبقى المسلم العادي في أي منطقة في العالم بانتظار تحقيق نتائج إيجابية على الأرض، الأمر الذي يتطلب تعاونا إيجابيا بين القيادات، وبينها وبين القاعدة الإسلامية العريضة.

أبو أيوب الأنصاري ومسجده

يتحفنا الاستاذ بهيج سكيك في عرض تاريخي لشخصية إسلامية جهادية من أصحاب رسول الله ﷺ، وعرض تصويري لمسجده الذي يعتبر من رموز تركيا المسلمة، وأبو أيوب الأنصاري ممن شهد غزو القسطنطينية، ودفن إلى جوار أسوارها بناء على وصيته وقد سمع النبي ﷺ يدعو بالبركة لفاتحها، ولما تحقق الفتح على يد السلطان العثماني محمد الفاتح اهتم بدوره في إبراز تاريخ وشخصية أبي أيوب وتخليد جهاده من خلال بناء مسجده الذي سرعان ما تحوّل إلى خلية عمل ومدرسة علم.

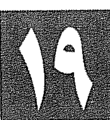
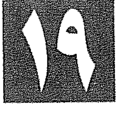


اقرأ في الأعداد القادمة

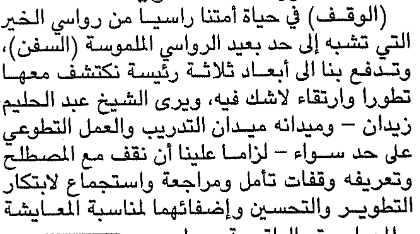
- حوار شائك مع د. عبد القدوس ابو صالح / محمد عبد الشافي القوصي
- تراثنا الفقهي / بدرت نوال محمد بدير
- هل الاستشراق في أزمة / حسن عزوزي
- الاقليات الدينية في الدولة الاسلامية / د. محمد عمارة
- التنوع البيولوجي في البيئة لخدمة الانسان / د. عواد جاسم الجدي
- الهوية الاسلامية والبناء الحضاري / محمد خليل الابراهيمي
- تجدد الرؤية الاسلامية في فكر الشيخ الغزالي / صبري عبد الله قنديل
- الزواج السري باطل / محمود محمود النجيري
- الصحوة الاسلامية في بلاد تركستان / د. عوني الخان
- في رحاب الدعوة / عبد الرحمن قره حمود

العودة إلى الذات

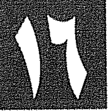
يرى الكاتب محمد الصالح بن عزيز في توجه بعض القيادات السياسية في وطننا الإسلامي للعودة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية مظهرا واضحا من مظاهر الصحوة المعاصرة، وثمرة طيبة من ثمراتها، وفي مقاله يطرح مجموعة مبادرات يراها ضرورية في سبيل العودة إلى الذات.

فلسفة الوقفيات وإعادة التعريف

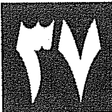


(الوقف) في حياة أمتنا راسيا من رواسي الخير التي تشبه إلى حد بعيد الرواسي الملموسة (السفن)، وتدفع بنا الى أبعاد ثلاثة رئيسة نكتشف معها تطورا وارتقاء لاشك فيه، ويرى الشيخ عبد الحليم زيدان – وميدانه ميدان التدريب والعمل التطوعي على حد سواء – لزاما علينا أن نقف مع المصطلح وتعريفه وقفات تأمل ومراجعة واستجماع لابتكار التطوير والتحسين وإضفائهما لمناسبة المعايشة والمعاصرة والواقعية. ويطرح فيما يلي قضية إعادة تعريف (الوقف) بما يتناسب مع واقعنا المعاصر.

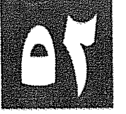
القتل بدافع الرحمة؟!

أحاط الإسلام حياة الإنسان بسياج منيع من القيم الحامية الراعية، فحرّم قتل النفس وسفك الدماء والاستهانة بالحياة، وجعل ذلك من الكبائر، واعتبر من قتل نفسا واحدة فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا. وفي مقالة أحمد أبو زيد كشف لصيحة من صيحات الحياة المادية تدعو إلى (القتل) بهدف توفير الرحمة!!




حلكة الديجور في دعاوى التنوير

يرى عمر إبراهيم الراكشي أن للإسلام شعبا ثلاثة يقوم عليها، هي: العقائد والعبادات، والتشريع والتقنينات، والأخلاق والسلوكيات، وأن لكل من هذه الشعب دورها الذي لا يقل بحال من الأحوال عن أدوار الشعب الأخرى، ويرى في بعض دعاة (التنوير) و(التطوير) و(العلمنة) خطرا كبيرا على تفتيت هذه الشعب، أو قل تعطيلها عن أداء دورها، وفي مقالته تفصيل لذلك.





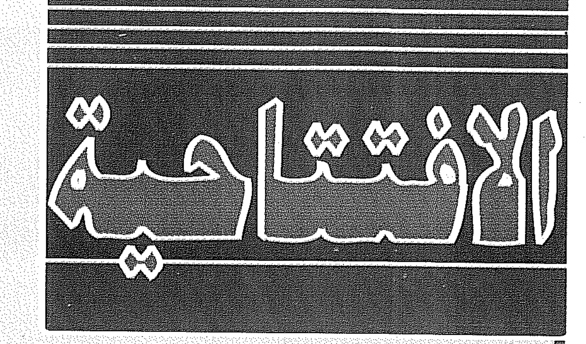
الرصاص.. القاتل الخفي

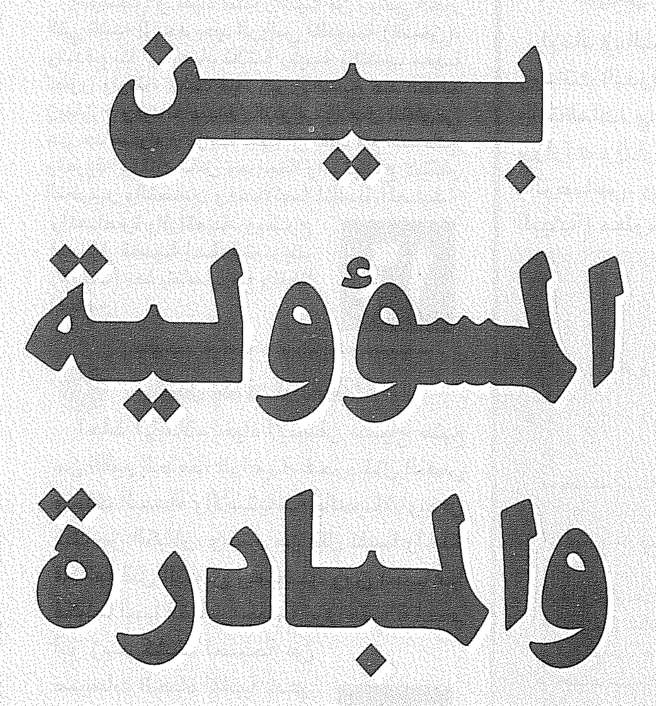
ازداد في السنوات الأخيرة الاهتمام البيئي لدى كثير من الشعوب، وباتت الدراسات والتوعية البيئية على رأس اهتمامات الأفراد والمنظمات، ودخلت ضمن مناهج التدريس باهتمام خاص من وزارات وإدارات التربية، ولقد أثير أخيرا موضوع تلوث مياه الشرب بالرصاص، وفي مقال الدكتور عواد الجدي (الباحث في تنمية المورد البيئية) معلومات وافية ومهمة حول التلوث وأسبابه وسبل الوقاية منه.

٢٦



الفهـــرس





اعتاد المسلم العادي ألا يشغل باله بالمؤتمرات واللقاءات لأنه قد حكم عليها سلفا، واعتبرها بعيدة عن مشاكله وهمومه، أو هي لا تملك إجابات واضحة شافية كافية على أسئلته الملحّة، والمتعلقة بتفاصيل مشاكله الأمنية والاجتماعية والاقتصادية، وعلى رأسها قضايا كبرى يراها تضيع في دهاليز السياسة، أو تنحر على مذبح الضعف والتفكك، كقضايا فلسطين وأفغانستان والبوسنة والهرسك وكشمير، واللائحة الطويلة المعروفة..

وكان الدكتور حامد الغابد (الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي) قد ألقى كلمة في الاجتماع التمهيدي الذي عقده وزراء خارجية الدول الاسلامية، تحضيراً للمؤتمر الاسلامي السابع، دعا فيها الدول الاسلامية إلى التعاون فيما بينها والبحث عن حلول ملائمة للمشاكل المشتركة وفي مقدمتها قضايا فلسطين وافغانستان واذربيجان والبوسنة والهرسك والصومال، بالإضافة إلى بحث وسائل إيضاح صورة الإسلام النقية وهو يتعرّض إلى التشويه بسبب الجهل والمناورات المتكئة على تصرفات لا تمت إلى الإسلام الحنيف بصلة..

وعقدت القمة الاسلامية السابعة جلساتها لاحقا في أواسط الشهر الماضي في الدار البيضاء بالمغرب، وقد جاءت في فترة زمنية ميزتها عن القمم السابقة، بعدما شهد العالم الإسلامي أحداثاً شكلت مفترق طرق حادّة قد تؤدي إلى متغيرات تاريخية من النوع الاستثنائي الذي لا يقع يوميا، فالعدوان العراقي على الكويت وما تبعه من إسقاطات متسارعة ومتشابكة، دوليا وإقليميا وعربيا، ومسيرة المفاوضات العربية – الإسرائيلية، يشكلان زاويتي المتغيرات المعاصرة والتي تكاد تترك بصماتها على مجمل الأداء العام داخل عالمنا الإسلامي..

فلم يؤدِ الاحتلال العراقي للكويت – ورفع الشعارات الوهّاجة، وانجرار مجموعة من الهيئات والشخصيات والتنظيمات والتيارات السياسية في منزلق المغامرة العراقية والتعاطف معها – إلى آثار سياسية سلبية رسمية وشعبية فقط، وإنما أدى إلى آثار فكرية تعيد النظر في المسلّمات التي كان الرأي العام الإسلامي يرددها خلال العقود القليلة الماضية..

فحجم الحدث وما جرّه على العالم الإسلامي من تشطير وانشقاقات في الرأي والموقف والصف، كان من الضخامة بحيث يصعب إغفاله أو التعامل معه تحت سياسة اللامبالاة أو الرهان على الزمن ليأتي الحل المستقبلي وقد بردت الجراح..

وما جرّه من تأثير في التحالفات الاقليمية والدولية، والحضور الواضح للنظام الدولي الجديد وأثره على سياسات واقتصاديات المنطقة العربية يؤكد خطورته وخطورة التعامل معه بطفولية أو بتبسيط يبعد الفرد والجماعة عن فهم الواقع وإدراك الأشياء بحجمها وأبعادها الحقيقية بدون مبالغة أو تهوين..

لقد برزت أهمية سياسة المصلحة، وأهمية توظيفها في دفع الضرر أو جلب المصلحة بعيدا عن حمأة الانفعال الفارغ والشعار الأجوف..

ولعلنا لا نبالغ إن اعتبرنا الزاوية الثانية نتيجة واضحة من نتائج المسألة الأولى، فـ(إسرائيل) ما كان لها أن تؤكد حضورها الفاعل وإملاء شروطها القاسية لولا ما تم من إضعاف الصف العربي الداخلي ومن ورائه الصف الإسلامي بسبب انتهاك المصالح العربية من خلال سلسلة من الحروب الداخلية، وعمليات الاستنزاف المريع داخل الجسم الإسلامي في حروب إقليمية تشكل وصمة عار في جبين محرّكيها ومغذّيها على حد سواء..

ومن المعروف أن الأمم في حالة الخسارة والتراجع تكثر من التلاوم والعداوات الداخلية، وكل طرف يسعى لاتهام غيره بالتسبب بالواقع المأساوي القائم محمِّلا إياه كامل المسؤولية عمّا آلت إليه أوضاع العباد والبلاد، الأمر الذي يعكس بدوره مزيدًا من التردي والشعور بالإحباط إلى درجة اليأس، وتهيئة الصف الداخلي لتقبل الحلول الخارجية ولو كانت على حساب

المستقبل أو تضييعا لجهود أجيال بأكملها، كما هو واقع الحال في كثير من الحلول السياسية والاقتصادية والأمنية المطروحة في أكثر من ساحة..

إن حالة الانقسام والانشطار، وتعارض المصالح السياسية والأمنية والاقتصادية تؤدي حتماً إلى تعقيد الأمور، والابتعاد عن الحل بدلا من الاقتراب من مفرداته وتحقيق نتائج إيجابية فيه..

ولقد طغى موضوع (البوسنة والهرسك) على كثير من المواضيع المقترحة على جدول الأعمال، وكان وزراء الخارجية في اجتماعهم المذكور قد توصّلوا إلى قرارات حاسمة باتجاه دعم صمود شعب البوسنة والهرسك أمام حملة التطهير العرقي المروعة التي تشهدها منذ سنوات عجاف، وتقدّموا بمشروع يقضي بإرسال قوات إسلامية تحل محل القوات الدولية حال انسحابها، إلا أن محللين سياسيين لا يرون القرارات وحدها كافية لتحقيق ما تصبو إليه القيادات الإسلامية، ولأسباب موضوعية كثيرة على رأسها عدم وحدة الصف والقرار الإسلامي، ولم يبنِ رئيس الوزراء البوسني (حارث سيلايجيتش) كبير تفاؤل على المقترحات، ولم يتوقع أن يتم تنفيذ ما تقرره الدول الإسلامية في هذا الصدد، لعلّة التفتت الداخلي، مصرحا بقوله: (نحن ندافع عن الكيان الاسلامي في البوسنة، طلباتنا معروفة، إن بعض الدول الاسلامية يقوم بواجبه، فيما البعض الآخر مشغول بمشاكله)..

ولا يقل موضوع (القدس) ووضعها القانوني ضمن مسار التسوية الفلسطينية – الإسرائيلية، أهمية عن موضوع البوسنة والهرسك، وفي الوقت الذي يعلن فيه الطرف الفلسطيني تحميل الإسرائيليين مسؤولية تردي الأوضاع داخل الأراضي المحتلة وتعطيل تنفيذ بنود اتفاق التفاهم بما في ذلك إجراءات الانتخابات وتسليم صلاحيات الإشراف الإداري على قطاع الخدمات والسياحة والمالية، داخل الأراضي المحتلة في الضفة وقطاع غزة، كما ان الحفاظ على المستعمرات اليهودية في العمق الفلسطيني، يجعل قضية القدس معلقة، تمتلك فيها تل أبيب كل أوراق اللعبة، وتقذف بالكرة داخل الساحة الإسلامية ليتم الصدام هذه المرّة بين الفلسطينيين والأردنيين..

والمؤتمر الإسلامي مطالب أكثر من ذي قبل بأن يأخذ قراراً فيصلا واضحا في هذا الموضوع، والقدس لم تعد تشكّل مساحة من الأرض بمقدار ما هي رمز يعني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويعني المجتمع الدولي والنظام العالمي الجديد – على وجه التحديد – لتبيان الخطوط العامة العريضة لسياسة (السلم) العالمي، ومفهوم التسوية السلمية، وهل هي إخضاع طرف لشروط طرف آخر والدعوة إلى التسليم المطلق بما يريده القوي للضعيف أم هو العدل والالتزام بقواعد المواثيق والعهود والالتزامات الدولية المتفق عليها؟

وفي خطوة تعتبر استباقاً لأي تحرك فلسطيني أو إسلامي مساند للدور الفلسطيني حول القدس قال عبد السلام المجالي (رئيس وزراء الأردن) إنه على الرغم من احترام الاردن الكامل للقمة الاسلامية فهو لا يرى أن مسألة القدس من المسائل التي يبت فيها؟

وتبقى الحقيقة الماثلة للعيان أن الغاصب اليهودي يملك من أوراق اللعبة ما يجعله مطمئنا إلى قوّة موقفه التفاوضي المناور في مسألة القدس، بينما يتعامل المسلمون مع المسألة في حدها الأدنى حرصا على حفظ البقية الباقية من خيوط اللقاء والجلوس إلى طاولة واحدة بعدما فرّق بين صفهم تضارب المصالح، والحلول الثنائية مع (تل أبيب) بعيدا عن استراتيجية واحدة وخطة واضحة، وكلٌ يسعى إلى أن يحقق على الساحة أكبر حضور وفاعلية ممكنة، ولكنه ينسى في خضم السعي أن الأمر كله لا يعدو أكلاً من حصص الأشقاء وأبناء الصف الواحد، لأنه – كما يبدو – الطرف الأسهل والأقرب منالاً..

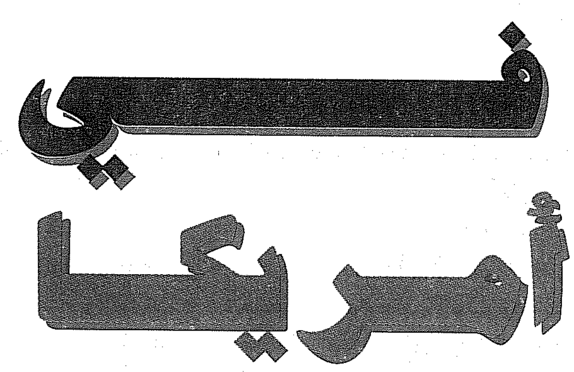
وتبقى مهمّة معالجة الصورة الشوهاء التي يعمل الإعلام الغربي على تعميقها في نفس المتأثرين به عن الإسلام والمسلمين موظّفا حوادث متفرقة هنا وهناك، ومضخّما أحداث تقع يوميا على الساحة الدولية ليبرز الوجه السلبي للمسلمين، ولا سيما الوجه المرتبط بالانغلاق والعنف، مما يسميه إرهابا وتطرفا وأصولية متناسيا أن كثيرا من هذه المصطلحات تصدق على المجموعات الأوروبية العنصرية المتصاعدة في شرق أوروبا وغربها بالإضافة إلى القارة الأمريكية..

إن الإسلام الحنيف يحتاج منا إلى جهاد إعلامي يرد على الحملات المغرضة من جهة، ويعرض الصورة السليمة من جهة أخرى، الصورة التي تريح المسلم نفسه أولا وترفع عنه كابوس الضغط الإعلامي وانتشاره التقني الذي صار في حضن كل أسرة من خلال أقمار البث الصناعي التي لا تجدي معها قوانين المنع أو الرقابة..

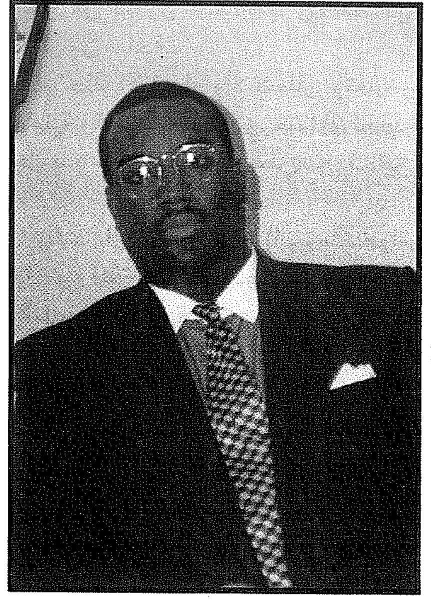
إن التحدي الإعلامي المعاصر لا يقل في خطورته عن أية مواجهة سياسية أو عسكرية، ولا يحتاج فقط إمكانات مادية – كما يتوهم البعض – وإنما يحتاج استراتيجية متكاملة تتعلق بالخطة والهدف والوسائل وسبل التسويق والترويج وجذب المشاهد الذي يملك خيارات واسعة ومغريات أوسع للانتقال بين الأقنية، ولأننا أصحاب رسالة حضارية إسلامية، علينا أن نبيّن للآخرين عقيدتنا في الكون والإنسان، والتصور السليم للعلاقة بين الخالق والمخلوق..

فهل يمكننا إنجاز ذلك كله قبل ترتيب أوضاع ومشاكل البيت المسلم من الداخل؟ وهل تكفي النوايا الحسنة في تحقيق الأهداف السامية التي يحرص عليها المسلم سواء أكان مسؤولا أم فرداً أم جماعة؟ وهل نكتفي من السلامة بإلقاء اللوم على عاتق (الغير) ونردد ما اعتدناه من نقد بعيد عن المشاركة الفاعلة أو تفهّم الأسباب؟

تظهر لنا الإجابة واضحة في قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، فتعميم المسؤولية، والمبادرة إلى سد الثغرات القائمة – كلٌ من قِبَله، وكلٌ بما يملك – والتعاون الوثيق ما بين القيادة والقاعدة، هما ركنا الإجابة على تساؤلات المراوحة الحالية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين□



(لا تزال امريكا - إلى حد بعيد - مجتمعاً يعاني من العزل العنصري في مجالات مثل المدارس والجامعات ووسائل الاعلام والقوات المسلحة، وعلى رغم ان الامريكيين الافارقة لا يتجاوزون عشرين في المائة من السكان فإنهم يشكلون ٨٠٪ من العاطلين عن العمل، ونسبا متشابهة من ساكني الاحياء الفقيرة والمساجين وذوي الرتب الصغيرة في القوات المسلحة) [البروفسور إدوارد سعيد/استاذ الادب الانجليزي بجامعة كولومبيا]



● الأخ خالد أحمد

علينا أن نولي الحوار والنقاش داخل الصف الإسلامي مزيدا من الاهتمام والجدية إن أردنا التوصل إلى حلول لمشاكلنا الكثيرة

أجرى الحوار: د. صلاح الدين أرقه دان

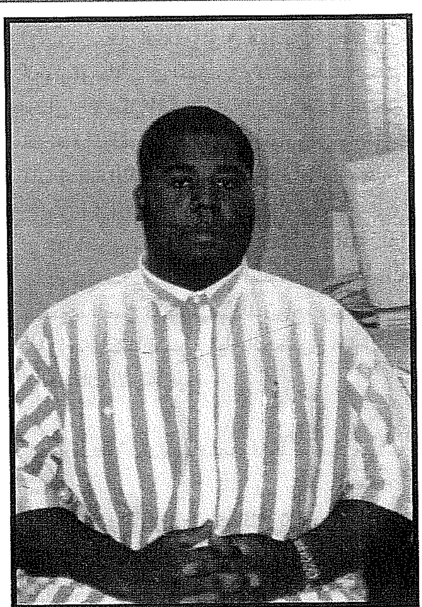
بحماس كبير وحركات تعبيرية بكلتا يديه، كان محدثي الأخ (خالد أحمد) عضو المجلس الأمريكي للشباب المسلم (AMERICAN CONGRESS OF MUSLIM YOUTH) وهو مجلس متخصص في الدعوة بين صفوف المسلمين الامريكيين من أصل أفريقي ومركزه في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، يحاول بكلماته وبحركة يديه أن يبيّن مأساوية الوضع الاجتماعي (للأمريكيين الأفارقة)، وهو تعبير يفضّلونه على تعبير (الأمريكيين السود أو الزنوج)، وكان زميله الأخ (بلال عبد السلام) يتدخل بين الفينة والأخرى ليعلّق على عبارة أو يوضح مسألة، وهما في الكويت تلبية لدعوة وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، ولبحث سبل التعاون المشترك لمساعدة المجتمع المسلم الأمريكي..

فالجهل والفقر أديا إلى تسلط الآفات الاجتماعية على أبناء وبنات المجتمع الزنجي الأمريكي، مما ساهم في الماضي، وما زال يساهم اليوم في مدّ تجّار المخدرات ومروجيها، وتجار المتعة الحرام بالمادة الخام، وبجيش من العاطلين عن العمل يتم السيطرة عليهم من خلال الحاجة والعوَز، وإحكامها بواسطة الإدمان الذي يؤدي ببعضهم إلى التخلي عن كل قيمة بما في ذلك ما يتعلّق بالحياة نفسها من أجل حقنة مخدر أو متعة زائلة..

فالمجتمع الزنجي الامريكي - بحسب كلام الاخ خالد ويؤيده في ذلك زميله الأخ بلال - يواجه ظروفا غاية في الصعوبة، ومسائل معقدة يصعب حلها بالطرق المعتادة، ولم تعد التفرقة العنصرية كبرى مشاكله - وقد ساوى القانون بين جميع المواطنين مهما اختلفت ألوانهم ودياناتهم وأصولهم العرقية - ولكن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والروحية، على رأس الأولويات التي تواجه هذا المجتمع المتميز في الولايات المتحدة الأمريكية..

والذي يمر في مناطق الامريكيين السود ويرى الصورة الكئيبة المتناثرة بعشوائية في مظاهر الحياة اليومية والمرتسمة على وجوه أطفال الشوارع والأمهات العزباوات، بالإضافة إلى عدم توفّر الخدمات الصحية والبلدية بالمستوى المطلوب، وعندما ترى بنات الهوى يعرضن أنفسهن مقابل كسرة خبز أو حتى مأوى مؤقت، وشبابا في ربيع العمر يتسكعون في الشوارع متكسبين بالسرقة أو بحراسة مروّجي المخدرات، وعندما تعلم أن نسبة الأمية متفشية بينهم متحالفة مع البطالة عليهم، يمكنك ساعتئذ إدراك حجم المعاناة وحجم الواجب الملقى على عاتق العاملين الاجتماعيين أو الدعاة المسلمين..

ولا غرو أن ينجح (أليجا محمد)، الذي ادعى في مطلع هذا القرن بين زنوج أمريكا أنه رسول الله وأن دينه هو دين الإسلام، وملأ قلوب البعض عنصرية وكراهية للجنس الأبيض، ولا عجب أن وجد آذانا صاغية طالما بحثت عن متنفس لها يفسّر الواقع السيء الذي تعيشه بسبب اللون فقط، فالتمييز العنصري الذي عاشته الاقلية السوداء في الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن له أي مبرر سوى الاستهانة بالإنسان بسبب لونه، ولقد آمن البعض بأقوال (أليجا محمد) بأن الشيطان أبيض وبأن الجنس الأسود مقدّم على الجنس الأبيض، كردة فعل على ما واجهته هذه الأقلية بسبب اضطهاد البيض ورفضهم اندماجها في مجتمع البيض، حتى خصص لهم كنائس وكهنة إبعاداً لهم عن كنائس البيض..



● الأخ بلال عبد السلام

ويقول الأخ خالد، أن الله تعالى امتن علينا ووعينا فيما بعد خطأ الأفكار التي بثّها (أليجا محمد) وأدركنا أن الإسلام لا يعترف بالتمييز ولا يرضه لنا، ويقود مسيرتنا الآن ابن (أليجا محمد) الإمام وارث الدين ضمن قواعد وأحكام الإسلام الحنيف، فردّات الفعل ينبغي ألا تحرف المسلم عن الشرع الذي ارتضاه الله له ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾..

الحاضر والمستقبل

●وعن أهداف (المجلس) وغاياته القريبة والبعيدة يقول الأخ خالد:

●●قام المجلس من أجل الشباب وقيادته، حتى الأئمة والقادة هم من الشباب الصاعد، فحركتنا حركة شبابية، ونعود إلى الأئمة والعلماء لترشيد الشباب وتوجيههم عند الحاجة إلى ذلك..

ونحن نؤمن أن المستقبل هو الحاضر، ولأننا لا نعلم متى تأتي (الساعة) نعمل باجتهاد كامل من أجل الجالية الآن، ونسعى لإقامة (جالية إسلامية أمريكية جادّة)، ولذلك نضع نصب أعيننا إقامة مؤسساتنا كالمزارع للحصول على اللحم الحلال، والمصارف الإسلامية للتخلص من التعامل الربوي، وإيجاد قوّة سياسية إسلامية ترعى مصالحنا وترفع صوتنا، وفي الولايات المتحدة ما بين ٥ - ٦ ملايين مسلم أمريكي، ولقد دفعنا العام الماضي ٣٠٠ شابا من الكليات المختلفة ليتسجّلوا في الهيئة الناخبة والتصويت في كلياتهم تدريبا لهم على المساهمة في الحياة العامّة.

مهام رسالية ودور حضاري

ويلخص الأخ خالد بنفس الحماس المذكور المهمّات التي يحملها (المجلس الأمريكي للشباب المسلم)، في النقاط التالية:

أ) دعوة غير المسلمين من الشباب الأمريكي، عن طريق الاحتكاك المباشر والاتصال الشخصي في الجامعات والسجون والشوارع، الأمر الذي يسميه - مبتسماً - (الدعوة المفتوحة)..

ب) مساعدة الشباب المسلم على تحصيل الثقافة الاسلامية والوقوف إلى جانبه ومساعدته في مواجهة مشاكل المخدرات والاغتصاب وغيرها..

ج) توفير برنامج عالمي للتغيير، مما يفسح المجال أمام الشباب المسلم الأمريكي لزيارة الأقطار الإسلامية ومشاهدة الحياة اليومية الاسلامية بشكل عملي (اللباس، الصلاة، التجارة، كل مظاهر الحياة.. إلخ) ونحن نطلق على مثل هذه البرامج القائمة على تبادل زيارات الشباب بين دول العالم برنامج (ثقافي، تربوي، تغييري) نظراً لأثره، ونؤمن بأهمية وضرورة هذا المشروع، فالشباب الأمريكي اليهودي - مثلا - يزور بالآلاف (إسرائيل) لممارسة الحياة اليهودية، ومن الملاحظ أنهم يعودون بأفكار ونفسية إسرائيلية بحتة..

ونحن نرى الكويت مناسبة لتحقيق برنامجنا المذكور، فهي دولة متوازنة بين الشرق والغرب، والالتزام الإسلامي متواز في حركته مع الحرية السياسية والفكرية، وهي من المناطق التي سعدنا بزيارتها، وعندما جئت لم أشعر بأية صدمة حضارية رغم قدومي من (الولايات المتحدة الأمريكية)..

ولا أخفيك أنني عندما زرت مجلس الأمة الكويتي، كنت مسرورا بالجلسة، فمن خلال نقاش أعضاء المجلس تبيّنت طريقة الشورى الاسلامية، والتفاعل ما بين الاسلام ومفهوم الحرية الديمقراطية الغربية في الحوار السياسي. وكيف يتم تغيير الأفكار والقناعات داخل قاعات المجلس بطريقة حضارية ومتقدمة من خلال النقاش. ولم أر في الكويت ممارسات بوليسية، فلا تصارع بين النظام والجماهير الاسلامية، ولا توجد ضغوط من هيئات رسمية أو شعبية لممارسة الحياة الإسلامية.

لم أر في الكويت ممارسات بوليسية، ولا تصارعا بين النظام والجماهير المسلمة، ولا توجد ضغوط من هيئات رسمية أو شعبية لممارسة الحياة الإسلامية

الأمريكيون الأفارقة الأصل

●ولماذا حددوا الساحة الزنجية بالذات. أجاب الأخ خالد:



● المخدرات من أبرز مشاكل أمريكا

المسلمون السود في أمريكا

●●نعمل داخل الجماعات الأمريكية ذات الأصول الأفريقية (يكره تسميتها بالسوداء لما يعنيه الاستخدام من مصطلح عنصري) لأنهم أكثر الجماعات الأمريكية قربا من الإسلام، ولأن الإسلام يملك حلولاً لكل مشاكل الناس، وهؤلاء عندهم مشاكل كثيرة، ويبحثون عن حل لها كما فعل المسلمون في إيقاف بيع المخدرات في (منهاتن) بنيويورك، ومانشستر بواشنطن، ولأن أجدادنا قبل قدومهم إلى أمريكا كانوا مسلمين، والرجل الأبيض غيّر دياناتنا بعدما استعبدنا.

●وبسؤالي: ألا ترى في التركيز على الجالية الزنجية نوعاً من الانغلاق العنصري؟ أجاب:

●●لا؛ لأن الأنبياء عليهم السلام أرسلوا إلى أقوامهم أولاً، فالنبي محمد ﷺ أرسل إلى قريش أولا، والمطلوب أن يعمل الداعية داخل صف جماعته أولا ثم يتوسّع مع الآخرين..

●وما هو الموقف في الساحة الإسلامية لو التزم الكل بنفس المبدأ العرقي، ألا يؤدي ذلك إلى مشاكل؟

●●لا أظن ذلك، لأن المسلمين أمة واحدة، وجسد واحد، وديانة وادة، وكان الأنبياء السابقون كل منهم أمة واحدة، والنبي محمد ﷺ لجميع المكلّفين من الإنس والجنّ، والقرآن الكريم يحمل حلولاً لكل المشاكل، في جميع العصور وللناس كافّة..

صحيح؛ نحن نعمل داخل جماعتنا السوداء، ولكننا منفتحين على أي فرد يطلب أو يحتاج المساعدة..

جهاد النفس أولاً

●وعن مميزات المجتمع الزنجي واحتياجاته، يقول الأخ خالد:

●●للمسلمين الأمريكيين جهاد مميز هو جهاد النفس، وهو مشكلة منفردة ومتميّزة، وعندما ندعو قوماً عليك أن تعرف عنهم كلّ شيء، ومن أين تبدأ، ولذلك كان عملنا داخل الجماعة الأفريقية المسلمة الأمريكية، فنحن نستطيع فهم كل ما يتعلق بها من رجال ونساء وأطفال.. هناك من يقبض ٣٠٠ دولاراً في اليوم فقط لمراقبة الشارع ومساعدة رجال المخدرات وتحذيرهم من الشرطة، ماذا يمكن أن تقدّم لهذا الشخص؟ وماذا يمكن أن تقول له ليتوقف؟

نحن ندخل إليه من مدخل المستقبل، لأن نتيجة عمله إما السجن وإما القتل، ونحدّثه عن تدمير (الجماعة) لا عن الإسلام، وندعوه إلى تناول العشاء، وسماع أحد الأشخاص (يكون في العادة داعية) وهذا الأسلوب يشدّه عادة لأنه ربما للمرة الأولى يدعوه أحد لتناول الطعام، أو يبيّن له مصلحته أين تكمن.. وللعلم أكثر هؤلاء من الأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة.. وأحيانا نقنعه بترك عمله لعمل آخر مثمر..

ولا تنسى أننا جميعاً من عمر واحد، فيشعر بالأخوّة أكثر مما يحس بالوعظ، وهنا يبرز دورنا في إفهامه أن هذه (الأخوّة) أتت من (الإسلام)..

ونؤكد لك أن السؤال الذي يطرحه أمثاله عن الوضوء والصلاة يبدأ من ملاحظته فعل الأخوة حين قيامهم للصلاة فيسأل: لماذا تغسلون أطرافكم؟ ونجيب: عندما تقابل الرئيس تغتسل وتتطيب وتلبس أجمل ثيابك، ونحن نفعل ذلك لأجل مقابلة ربّنا سبحانه وتعالى. ونجيب عن الحج مثلما تلبي دعوة (جاكسون) أو (كلينتون) كذلك نحن نلبي دعوة الله تعالى.. ثم نتكلم عن النبي محمد ﷺ.

المدخل الاجتماعي فعّال في ميدان الدعوة بين الأمريكيين ذوي الأصول الأفريقية

والكنيسة في أفريقيا تمارس الاستراتيجية نفسها: الطعام بيد والإنجيل في الأخرى، ويعلّمون أن الذي وفّر لهم الطعام هو المسيح عليه السلام..

العمل النسائي، شائك ولكنه مثمر

●وماذا عن العمل النسائي، فكل كلامك يركز على المجتمع الشبابي الذكوري، أليس للمرأة دور بينكم؟

●●الأخوات يعملن وحدهن، وفي المجتمع الزنجي الأمريكي نواجه مشكلة (المراهقة الحامل) (Single Parent) وقد تستغرب إن قلت لك أن بعضهن لم تتجاوز ٩ سنوات وعندها طفل.. إنه مجتمع بلا قيود، ولا يوجد من يوجه هؤلاء المراهقات عن أخطار الممارسة الجنسية وما يترتب عليها، وكيف تساعد الطفل والأب على الأغلب صغير العمر أو في السجن أو عاطل عن العمل أو طالب في المدرس، ولا يستطيع - على أي حال - تحمّل المسؤولية؟ ومن هنا ندخل إلى مجتمع المرأة، من خلال أخواتنا، وهنّ يدخلن من باب إعادة الثقة إلى الفتيات واحترام أنفسهن..

●ألا ترون الزواج المبكراً حلاً لهذه المشكلة؟

●●يصعب أن تجد في أمريكا فتاة مسلمة صغيرة السن مناسبة للزواج، ونحن نشجع الزواج، ولكننا نشجع قبله الحصول على الأخلاق والصفات الاسلامية..

العلاقات العامة اكبر مشاكلنا

●ما هي أبرز العقبات التي تواجه برامجكم؟

●●العلاقات العامة على رأس المشاكل التي تواجهنا، ونحن نسعى لإظهار الإسلام بصورة إيجابية، لأن صورته مشوّهة من خلال الإعلام الذي يستعمل مصطلحات وتعابير كالتالية: (ديانة إرهابية) بسبب جود حركات إسلامية تستخدم العنف أو تؤيد استخدامه سبيلا للتغيير، و(ديانة لا تحترم المرأة) ويضربون على ذلك مثلاً بتعدد الزوجات وإلزام المرأة المسلمة بالحجاب، و(ديانة متعطشة للدماء) لأنها تشجع على القتل والحروب باسم الجهاد المقدّس.. إلخ.

وهذه الصورة المشوهة انتعشت في الفترة ١٩٨٠ - ١٩٩٤م، لاسيما وأحداث العالم الاسلامي تساعد الاعلام المذكور فيما ذهب إليه، انظر إلى المسلمين يتقاتلون (العراق - إيران) (العراق - الكويت) (الصومال) (اليمن) (أفغانستان) (كردستان) إلخ..

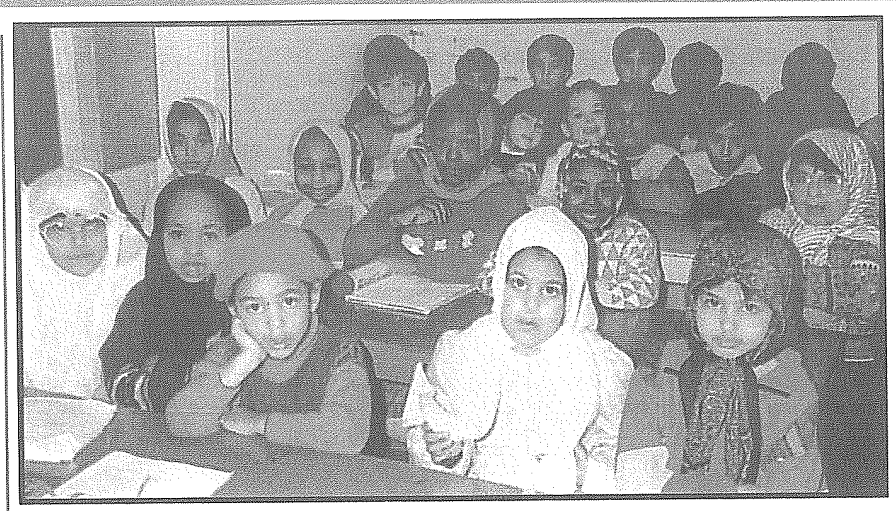
فحالة الصراع والتقاتل داخل الصف الإسلامي لا تشجع الأمريكي المتابع لوسائل الإعلام (تلفاز ومذياع وصحافة) على الإقبال على الإسلام وهو يرى فيه دين قتال ودماء، وكيف تدعو أحداً إلى العشاء أو الغداء في بيتك وأنت تتقاتل مع أخيك؟

وإننا نظن أن في مقدور الحكومات الإسلامية توظيف طاقاتها (العلاقات العامة) من أجل الدعوة، ولكن انشغال البعض ضد البعض الآخر يحول بينهم وبين تحقيق هذه المهمة.

سلمان رشدي في البيت الأبيض

●كمسلم أمريكي، كيف تنظر إلى استقبال الرئيس الأمريكي لسلمان رشدي؟

●●سلمان رشدي التقى بأحد الرسميين أصحاب الصلة بالبيت الأبيض، وأخبره برغبته في مقابلة الرئيس، وبالفعل تم ترتيب موعد مع الرئيس كلنتون لمدة أربع دقائق، وصدر بيان



● مدرسة لأطفال المسلمين الأمريكيين

بعد ذلك يعلن أنه لم يقصد إيذاء المسلمين، وأنه يعتذر إن كان قد أساء لهم بهذه المقابلة.

مكانة الجالية الإسلامية

●تم تسمية الشيخ عبد الرشيد كأول إمام للجيش الأمريكي، كيف استقبلتم هذه التسمية، وما هو تقويمكم لانعكاساتها على مكانة الجالية الإسلامية؟

●●لاشك أن لاختيار الشيخ عبد الرشيد كأول إمام مسلم في الجيش الأمريكي (First Chaplin) أثره الإيجابي على مكانة الجالية وحضورها في المجتمع الأمريكي، ومؤسساته الفاعلة، وهي تعكس حجم تنامي الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية..

وأحب أن أذكر هنا أنّ الحضور الرسمي الإسلامي تمثّل في عدد من المناسبات منها تلاوة الداعية (سراج وهّاج) لأول مرّة القرآن الكريم في افتتاح دورة الكونغرس الأمريكي، وهو تقليد يقضي بافتتاح الجلسة بكلمة دينية، ومن حق أي عضو أن يدعو أحد الضيوف الدينيين، وكان (سراج وهّاج) ذلك الضيف، وفي العادة يتلو أعضاء الكونغرس دعاء قبل الاجتماع..

وكذلك قرأ الداعية (وارث الدين) القرآن في افتتاح مجلس الشيوخ، وتلاه كذلك يوم دُعي لشهود قسَم استلام الرئيس كلنتون السلطة..

والإمام عبد الرشيد يسعى لتوفير متطلبات الجنود المسلمين في الجيش الأمريكي من طعام حلال، وتوفير الوقت الكافي والمكان المناسب لإقامة صلاة الجمعة، وحل أية عقبة تواجه الجندي المسلم داخل المؤسسة العسكرية، ومراعاة احتياجات المجنّدات المسلمات كذلك..

الحكومة والجالية

ويتابع الأخ خالد قوله:

●●وإنني أظن أن الحكومة الأمريكية لا تنظر إلى الجالية الإسلامية من منطلق ديني ولا تتخذ أي إجراء معيّن نتيجة تمييزها بين الطوائف.. أظن أنها لا تنظر إلى (الإسلام) كديانة ولكن (كحركة سياسية)، وفي الوقت الذي نطالب به الحكومة أن تفهم أن الإسلام ليس ضد الغرب، وليس ضد أمريكا، علينا أن نفهم أن أمريكا ليست ضد الإسلام، وأنا شخصيا لا أؤمن بأنها ضد الإسلام، فأمريكا تهتم بمصالحها فقط، ولابد من إيجاد فهم جديد ومتوازن لهذه المسألة..

ونحن نرى بعض القادة السياسيين المسلمين ضد الإسلام أكثر من بعض السياسيين الأمريكيين أنفسهم..

المال يشتري القوّة

●نحن العرب نقول: إن اليهود وراء كل قرار أمريكي ضدنا. فما قولكم وأنتم من داخل الساحة الأمريكية نفسها؟

●●أظن أننا نعطي اليهود قيمة أكثر من مما يستحقون، فهم لا يملكون هذه القوّة التي ندعيها لهم.. وأظن أن الحكومات العربية تملك من المقومات التي وهبها الله إياها بشكل يمكنها من تغذية العالم كله بهذه المصادر، ولكن ما هي الاستعدادات التي قاموا بها للدفاع عن مقدّراتهم وديانتهم؟

فالعرب يستطيعون شراء وكالات أنباء ومؤسسات إعلامية كثيرة، ولكنهم يشترون فنادق في (لاس فيغاس) ولا يهتمون بشراء شبكة (CNN)، ولم لا نقيم تجمعات رجال أعمال مسلمين يمتلكون مؤسسات ومقوّمات مؤثّرة، وأنا شخصيا لا أرى أي مبرر لهذا التقصير، والمال يشتري القوّة في أمريكا حيث يمكنك – مثلا – شراء أي صحيفة أو مجلة أو مؤسسة إعلامية ناجحة بأموالك، وتسخرها لخدمة مشروعك..

وأريد أن أبين لكم أنه لو انتهت (إسرائيل) وغادر كل اليهود الأراضي الفلسطينية بالكامل، سيبقى في أمريكا مجموعات ضغط يهودية..

الدنيا جنة الكافر

●بم تنصح المبهورين بالحلم الأمريكي؟

●●أقول لهؤلاء: اذكروا حديث الرسول ﷺ: «الدنيا جنة الكافر وجحيم المؤمن».. وأظن أن هناك أشياء كثيرة يمكن للعالم الإسلامي تعلمها من أمريكا، فهي بلد متقدّم، وأنا معجب بطريقة عمل النظام السياسي هناك، وحرية الاختيار، ولكنني لا أحب السياسة الخارجية.. وأمريكا بلد قوي، وقد تكون أقوى بلد في العالم، ولكن مشاكلها الداخلية والخارجية كثيرة..

نشكر الكويت وشعبها

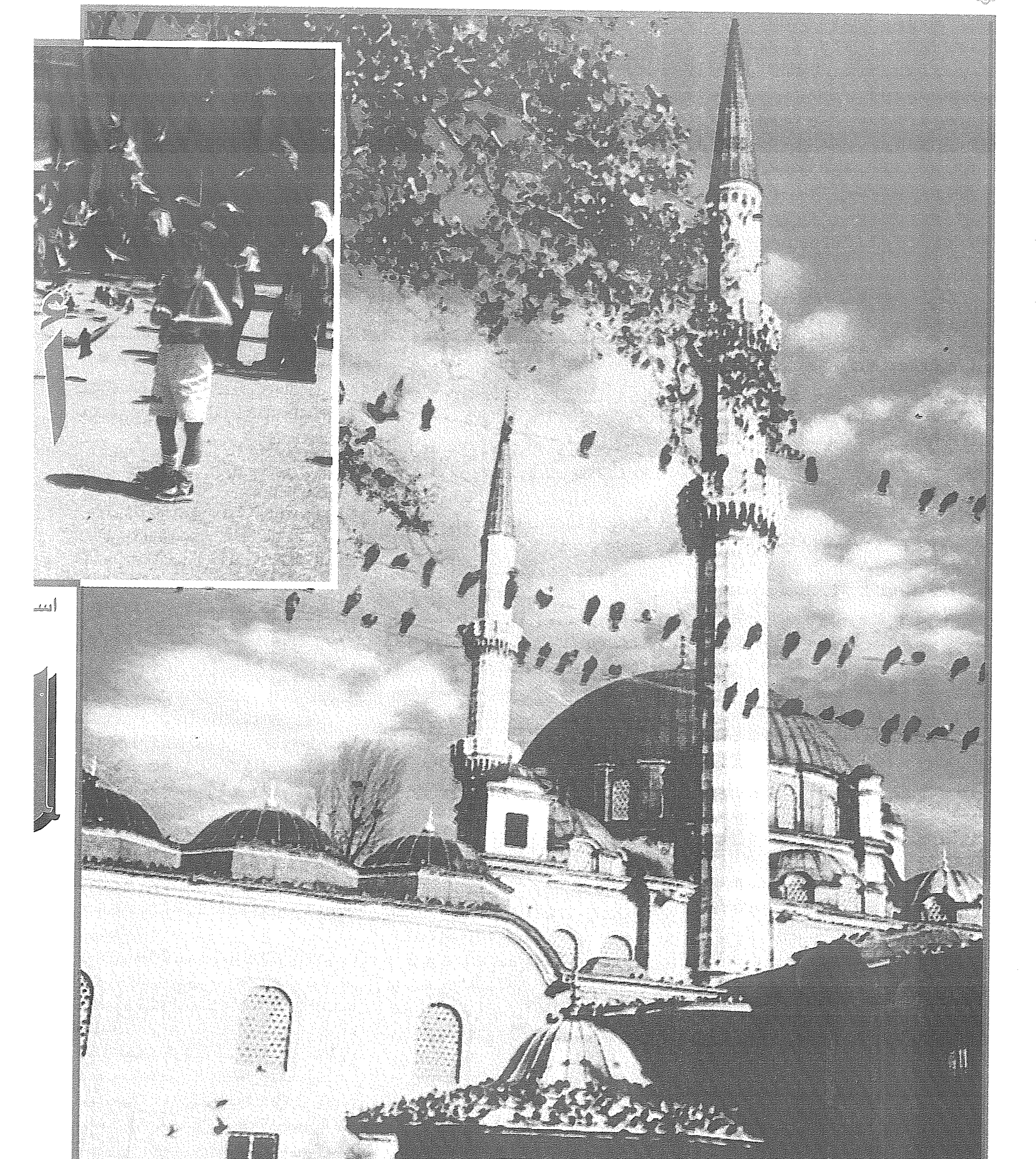
●ما هو انطباعك والوفد المرافق بعد زيارتك الكويت؟

●● زيارتنا للكويت أمدتني بتجربة جيدة، وأنعشت فينا الفكر والتفكير، وأريد لإخواني المسلمين في أمريكا أن يتعلّموا هذه التجربة، وأن يعملوا مثلما يعمل المسلم الكويتي الملتزم متبعاً أصول الشريعة وقواعد الحلال والحرام..

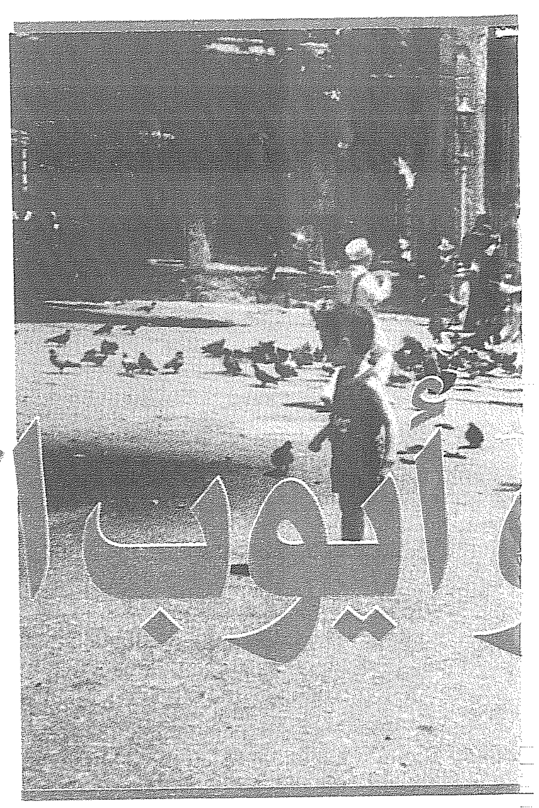
وسؤالي في عام ١٩٩٤: كيف تمكّن الغرب من إدخال (الكوكاكولا) و(المالبورو) إلى العالم الإسلامي، ولم نتمكن نحن من تصدير الإسلام إليهم؟!

وبالمناسبة نحن المسلمين الأمريكيين لا ندخّن، ومن الصعب وجود أمريكي مسلم ملتزم يدخّن، لأننا نقول بحرمة التدخين، وأنا أتحيّر كم من المال ينفق هنا على التدخين؟ ولو وضع للدعوة كم ستكون فائدته كبيرة؟

أما حصيلة لقاءاتنا فهي طيبة، وتلخص أهداف زيارتنا الكويت ببناء علاقة بين الشباب المسلم الكويتي والشباب المسلم الأمريكي، وترتيب دورات تدريب للأئمة الأمريكيين على أيدي الأئمة الكويتيين، لاسيما في حقلي الأسرة والمجتمع (Comunity Leaders)، ونتطلع إلى مزيد من الحوار، ودعم برامجنا التنموية، ولم نجد سوى الترحاب والتعاون، ونوجه من خلالكم الشكر لجميع المسؤولين والعلماء الذين قابلناهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته□



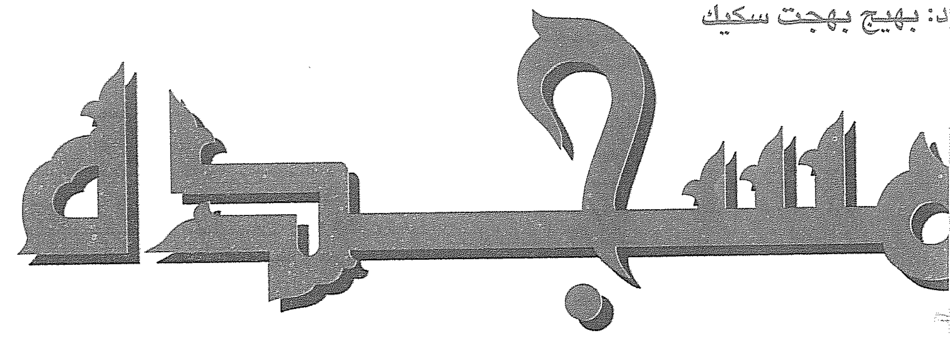
في كل دولة عربية غالباً ما نجد مدرسة أو مسجداً أو مؤسسة أو هيئة خيرية أو شارعاً يحمل اسم أبي أيوب الأنصاري.. هذا الصحابي الجليل الذي ارتبط اسمه بحدثين هامين في تاريخ الدعوة الإسلامية.. أولهما تشريف الرسول ﷺ بنزوله في بيته في دار الهجرة قبل بناء مسجده ومساكنه في المدينة.. وثانيها تلك الطريقة الفريدة التي استشهد فيها أبو أيوب الأنصاري على أسوار القسطنطينية.. وبين الحادثين الأول والثاني مسيرة من الفداء والجهاد والإيثار والقدوة الحسنة. لقد كان أبو أيوب الأنصاري واحداً من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.. ومن الذين آمنوا ولم يَلبسوا إيمانهم بظلم، من الذين أخلصوا دينهم لله.



أيوب الأنصاري

رضي الله عنه

د: بهيج بهجت سكيك



■ أصبح هذا الرجل وهو تقي من أنصار المدينة ولياً عند العرب والروم والترك

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار، واسمة تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر – أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، وأمه هند بنت سعيد بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج (١).

كان أبو أيوب الأنصاري من السابقين إلى الإسلام فقد شهد بيعة العقبة الثانية قبل هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب.

«وكان أبو أيوب أحد الذين بايعوا الرسول ﷺ في بيعة العقبة الثانية، أو العقبة الأخيرة، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين منهم من الأوس أحد عشر رجلاً، ومن الخزرج ابن حارثة ستة نفر منهم أبو أيوب خالد بن زيد»(٢).

عاد أبو أيوب إلى يثرب منشرح الصدر بالإسلام، يُمَنّي النفس بلقاء الرسول ﷺ في العام المقبل، ولم يكن يدري ما يخبئه القدر له من جاه وعز، سيظل يُذكر ذلك على مر الزمان.

السعيد الموعود

وصل الرسول ﷺ ومعه رفيق هجرته أبو بكر الصديق إلى يثرب – بعد أن أذن الله له – مختتما مرحلة هامة من مراحل الدعوة، ومستهلاً أيامه المباركة في دار الهجرة التي ادّخر لها القدر ما لم يدخره لمثلها في دنيا الناس.

خرجت يثرب كلها مرحبة بالضيف الكريم مرددة الأهازيج، وقد طلع البدر علينا.. من ثنيات الوداع.. «وكان كل يثربي يود أن يُنزِل الرسول عنده تشرفا ووجاهة»(٣).

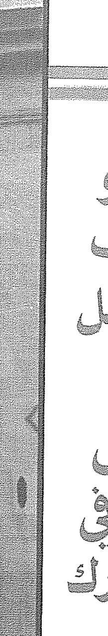
بلغ الموكب دور بني سالم بن عوف، فاعترضوا طريق الناقة قائلين: «يارسول الله أقم عندنا: فلدينا العَدَد والعُدّة والمنعة». ويجيبهم الرسول ﷺ: «خَلّوا سبيلها فإنها مأمورة».. حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بَركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار، وهما في حجر معاذ بن عفراء: سهل وسهيل ابنا عمرو، فلما بركت ورسول الله ﷺ لم ينزل وثبت سارت غير بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه، ثم تحلحلت وزمت جرانها.. فنزل عنها رسول الله ﷺ فاحتمل رجل رَحْل الناقة فوضعه في بيته(٤).

أتدرون من كان هذا السعيد الموعود الذي بركت الناقة أمام داره وصار الرسول ضيفه؟ ووقف أهل المدينة جميعا يغبطونه على حظوته الوافية؟(٥).. إنه أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد.

ليس من الأغنياء الأقوياء (٦)

تشير المصادر الحديثة إلى أن أبا أيوب الأنصاري لم يكن من الأغنياء الأقوياء في قومه كأولئك الذين عرضوا ضيافة رسول الله ﷺ وعندهم العَدَد والعُدة والمنعة ولعلهم استدلوا على

أبو أيوب حامل راية النبي ﷺ في المعارك



ذلك مما أوردتـه كتب السيرة والتراجم من أنه لم يكن من النقبـاء الذين اختيروا بعـد بيعة العقبـة الثـانيـة، ومما روى في هـذه الكتب عنـه: «فلقـد انكسر حُبّ لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا، ما لنـا لحاف غيرها نَنْشَف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله ﷺ منـه شيء فيؤذيه»(٧)، ومنها ما كتب ابن عساكر عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا أيوب أتـى معاوية فشكا إليـه أن عليه دينا فلم يـرَ منه مـا يحب ورأى مـا يكرهه – فقـال سمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: «إنكم سترون بعـدي أثـرة». قـال: فـأي شيء قـال لكم؟ قـال: «اصبروا»، قال «فاصبروا» فقـال والله لا أسألك شيئاً أبـداً.. فقدم البصرة فنـزل على عبد اللـه بن عبـاس رضي الله عنهما – وكـان قد أمّـره علي بن أبي طالب رضي اللـه عنه عليهـا – ففرغ لـه بيته وقال: «لأصنعن بك كما صنعت بـرسول الله ﷺ فأمر أهلـه فخرجوا لـه ما في البيت كلـه، وأعطاه أربعين ألفا وعشرين مملوكاً»(٨).

وفي روايـة أخـرى أنه بعـد أن أغلق عليـه الـدار سأله: حاجتك؟ قال: حـاجتي عطائي وثمانية أعبد يعملـون في أرضي، وكـان عطـاؤه أربعـة آلاف.. فأضعفهـا لـه خمس مرات.. فأعطـاه عشرين ألفـاً وأربعين عبداً.. ذكره الطبراني بإسنادين(٩).

على أن ذلك لم يُنقص من قدر أبي أيوب ومنزلته، فلقـد كان يصنع العشـاء ويرسلـه للرسـول ﷺ، وينظر أن يفـرغ منه فيلتمس مـوضـع يد الـرسـول ويأكل منها، يبتغي بذلك البركة.

وفي مرة خرج أبـو بكر رضي الله عنه بـالهاجرة، فسمـع عمـر رضي اللـه عنه فقـال: يـا أبـا بكر مـا أخرجك هـذه الساعة؟ فقـال الذي أخـرجك! يقصد الجوع، وبينما هما كذلك خـرج عليهما رسول الله ﷺ فقـال: ما أخـرجكما هـذه السـاعة؟ فقـالا مـا أخـرجنا إلا مـا نجده في بطـوننا من حـاقّ الجوع.. فقال وأنا ما أخرجني غيره.. فقوما.. فانطلقوا فأتوا بـاب أبي أيوب الأنصـاري رضي اللـه عنه.. وكـان يدّخـر لرسول اللـه ﷺ طعاماً كـان أو لبنا فأبطأ عليـه يومئـذ فلم يأت لحينـه فأطعمه لأهلـه، فلما وصلوا إلى الباب خرجت أم أيوب فقالت مرحبا بنبي الله، ويمن معـه، فقال لها الرسول: أين أبـو أيوب؟ فسمعـه وهو يعمـل في نخل له.. فـرحب بـه ويمن معه.. فـانطلق فقطع عذقا من النخل فيـه كل التمر والرطب والبسر. فقال رسـول الله ﷺ: ما أردت إلى هذه.. ألا جنيـت لنا من تمره؟ فقـال يا رسـول الله أحببت أن تـأكل من تمرة ورطبـة وبسرة.. ولأذبحن لك مع هـذا.. قال: إن ذبحـت فلا تـذبحن ذات در، فأخذ جـديا وذبحـه.. وطبخ نصـف الجدي وشوى نصفه وقـامت امرأته بـالعجن والخبز، فلما نضج الطعام ووضـع بين يدي رسـول الله ﷺ وأصحابه أخذ من الجدي فجعله في رغيف وطلب من أبي أيوب أن يبعث به إلى فاطمـة فإنها لم تصب مثل هذا من أيام، فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: «خبز ولحم وتمر وبسر ورطب»..!! ودمعت عينـاه.. «والـذي نفسي بيده إن هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة»(٩).

فكبر ذلك على أصحـابـه، فقـال: «بل إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيـديكم فقولـوا بسم الله.. فإذا شبعتم فقولـوا الحمد للـه الذي هـو أشبعنا وأنعم علينا فأفضل فإن هذا كفاف بهذا».

وقـد نقل ابـن كثير في البـدايـة والنهـايـة عن الصـحيحين عن أنس بن مـالك قـال: «جيء رسـول الله ﷺ ببدر [طبق مستديـر] وفي رواية بقدر فيه خضراوات من بقـول، قال فسأل فأخبر بما فيهـا، فلما رآها كره أكلهـا، وقال: «كل فإني أناجي من لا تناجي»(١٠). كـان في الطعام بصل أو ثـوم وكان النبي ﷺ يأتيـه الملك.. فكـره أن يأتيـه ورائحـة البصل أو الثوم فيـه.. وكان رد أبي أيوب عظيما.. إني أكره ما كرهت.

كان مقـام الرسول ﷺ في دار أبي أيـوب سبعة أشهـر(١١) حتى بنى مسجـده ومسـاكنـه(١٢) وطيلة إقامة الـرسول في دار أبي أيوب الأنصاري، ما كـانت ليلة إلا وعلى باب رسول اللـه ﷺ الثلاث والأربعة يحملـون الطعام يتنـاوبون، «وروى عن زيد بن ثابت أنه قـال: أول هدية أهديت إلى رسول اللـه ﷺ حين نـزل دار أبي أيـوب أنـا جئت بها.. قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن فقلت: أرسلت بهذه القصعـة أمي. فقـال: بارك اللـه فيك. ودعـا أصحابه فأكلوا. ثم جـاءت قصعة سعد بن عبادة: ثريد وعراق لحم»(١٣).

شَهِدَ المشاهد كلها

منذ وصول الرسول ﷺ إلى المدينة وأبو أيوب له دور فاعل ونشط في الحياة.. فقد اشترك في السرايا التي كـان يبعث بها الـرسول لاستطـلاع أحـوال العدو ومناوشته على أطـراف المدينة، وللتأكيد على سيادة الدولة الجديـدة وهيبتها.. وفي السرية التي أسر فيها أبو العاص بن الـربيع بن عبد العزى بن شمس،أسر أبو أيوب المطلب بن حنطب بن الحارث بن مخزوم فتركه لبنـي الحارث من الخزرج وخلوا سبيله(١٤)، كما شـهد بدراً واحـداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ (١٥)، وحين ذكر ابن هشـام من اشتركوا في غـزوة بدر قال: «ثـم من بني ثعلبة بن عبد عـوف بن غنم أبو أيوب خالـد بن زيد من بني النجـار(١٦)، وبعـد وفاة الـرسـول ﷺ استمـر يجاهد في عهد الخلفاء الراشدين. «وكان ممن شـهد مع علي بن أبي طـالـب رضي اللـه عنهما حـروبـه كلها»(١٧)، ولعل هذا السبب الذي جعل معاوية لا يستجيب لأبي أيوب ويقضي حاجته كما بيّنا، «ولم يتخلف عـن غـــزاة للمسلمين إلا وهـــو في أخرى»(١٨).

المرة الـوحيـدة التي قعد فيهـا عن الجهـاد حين استعمل على الجيش رجل شاب لم يرق لأبي أيوب – ولكنه عاد وندم على ذلك ندماً شديداً، وكان يردد دائماً: «مـا عليّ من استعمـل عليّ»، وذكـرت بعض المصادر أن هذا الشاب الذي اعترض أبو أيوب على إمارته ثم ندم، كان: عبد الملك بن مروان(١٩).

وفي غير أيـام الغزو والجهـاد لم يكن أبو أيـوب بعيدا عن الرسول ﷺ فقد سجل له أكثر من موقف لحبه وغيرتـه على الرسـول، فقد سـاعد في إخـراج المنافقين من مسجد الرسـول بعد طرد بني قينقاع من المدينـة. «وكـان هـؤلاء المنـافقـون يحضرون للمسجد فيستمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهـزئون بـدينهم فـاجتمع في المسجـد منهم نـاس، فـراهم رسول اللـه ﷺ يتحـدثـون بينهم، خافضي أصواتهم، قد لصق بعضـهم ببعض، فأمر بهم رسـول ﷺ فأخـرجوا مـن المسجد إخـراجـا عنيفا»، فقـام أبو أيـوب خالـد بن زيد إلى عمـر بن قيس فسحبه حتى أخرجه من المسجد وهو يقول: آتخرجني يا أبا أيوب من مـربد بني ثعلبة! ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع ابن وديعة أحد بني النجار فلببـه بردائه ثم نتره نترا شـديدا ولطم وجهـه ثم أخرجه من المسجد وأبو أيوب يقول: إف لك منافقا خبيثـاً.. ادراجك يـا منـافق من مسجـد رسـول الله(٢٠). ومن محبته للرسول ﷺ وخوفه عليه أنه «لما دخل رسـول اللـه ﷺ بصفيـة بنت حيي بن أخطب بعـد غزوة خيبر.. بـات أبو أيـوب رضي الله عنـه على باب النبي ﷺ فلما أصبـح فرأى رسـول الله كبّر ومع أبي أيوب السيف فقال يا رسول الله: كانت جارية حديثـة عهد بعرس، وكنت قتلت أباها وأخاهـا وزوجها فلم آمنهـا عليك. فضحك رسول اللـه ﷺ وقـال له خيرا [أخـرجـه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن سعد ٢/١١٦](٢١).

كـان شـديـد الاعتزاز بسنـة رسـول اللـه ﷺ ومحافظا عليها فقـد أخرج الطبراني في الكبير: «أن أبا أيـوب كان يخالف مروان بن الحكم في صـلاته فقال له مروان: مـا يحملك على هذا؟ قال إني رأيت النبي يصلي صلاة، إن وافقته وافقتـك وإن خالفته صليت وانقلبت إلى أهلي»(٢٢).

إن مصاحبة أبي أيوب للرسول ﷺ وملازمته له جعلته محل ثقة فكان يروي عنه الحديث فقد أخرج له الطبراني عن عبد الله بن سعد بن أبي وقاص، وابن حبان والبيهقي وابن أبي الدنيا وغيرهم.. وهذا موضوع يحتاج إلى دراسة خاصة، كما أنه رحل مرة إلى مصر ليسمع حديثا عن عقبة بن عامر وقال له: حيث لم يبق من أصحاب رسول الله ﷺ إلا أنا وأنت. وذلك عن موضوع «ستر المسلم» فسمعه منه وعاد إلى المدينة وما حل رحله.

انفروا خفافا وثقالا

امتد العمر بأبي أيوب الأنصاري حتى أدرك دولة بني أمية وشهد اتساع رقعة الدولة الإسلامية شرقا وغربا وشمالا. وقد اتخذت الفتوحات في هذه المرحلة شكل «الصوائف»، و«الشواتي»، كانوا يفضلون الصوائف لأنها إلى الطبيعة أقرب. وكانت تلك الحملة البحرية «الصائفة» التي جردها معاوية لفتح القسطنطينية.. وأمّر عليها ابنه يزيد بن معاوية، رافقه فيها عدد من الصحابة منهم أبو أيوب الأنصاري، ولم يمنعه تقدم العمر من ذلك بل كان يردد دائماً قول الله عز وجل: ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ [التوبة / ٤١]. فيقول فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا.

طال حصار المسلمين للقسطنطينية، واستعصت عليهم في محاولتهم الأولى هذه، لأسباب عديدة، فمرض ودخل عليه يزيد يعوده فقال ما حاجتك؟ فقال حاجتي إذا أنا مت فاركب بي ثم سغ في أرض العدو، ما وجدت مساغا فإن لم تجد مساغا فادفني ثم ارجع. فلما مات ركب به في أرض العدو وما وجد مساغا ثم دفنه ثم رجع. رويت هذه الحادثة بأكثر من صيغة. أخرجها مرة الحاكم عن محمد بن سيرين ومرة ابن عبد البر عن أبي طبيان دمرة الإمام أحمد عن أبي طبيان (٢٣)، وكان ذلك في العام ٥٢ للهجرة، وقد جاوز أبو أيوب الخامسة والسبعين من عمره.

كان يحمل راية النبي في المعارك

يقول فيليب حتى في كتابه «تاريخ العرب» عن حملة القسطنطينية الأولى: «إلا أن بطل هذه الصائفة الحقيقي في الأساطير هو أبو أيوب الأنصاري الذي نزل محمد في بيته عند الهجرة إلى المدينة، وكان يحمل راية النبي في المعارك وقد اصطحبه يزيد على تقدم سنه للتبرك بحضوره لا للانتفاع من درايته الحربية، وكان أصيب أبو أيوب بزحار فمات ودفن قريباً من الأسوار، فكان النصارى من اليونان بعد ذلك يتعاهدون قبره، ويزورونه، ويستسقون به إذا قحطوا، وقد نقل فيليب هذه الجملة عن ابن سعد، وفي ١٤٥٣م، حاصر الترك العثمانيون القسطنطينية فعثروا على هذا القبر وقد أظهرته فيما روى اشعة نور عجيبة وبنى الأتراك بعد ذلك عند قبر أبي أيوب مسجدا فأصبح هذا الرجل وهو شيخ تقي من أنصار المدينة وليا عند العرب والروم والترك.

السلطان أيوب

لو سأل زائر إلى مدينة استانبول هذه الأيام أحد عامة الناس عن مسجد الصحابي أبي أيوب الأنصاري ما استدل عليه بسهولة.. ذلك أن العامة أعطوه من الاحترام والتقدير منزلة كبيرة بل منحوه لقب سلطان وصار مسجده يعرف بمسجد «السلطان أيوب» ولا عجب فاستانبول تعج بمساجد السلاطين العثمانيين، بل لا نكون مغالين إذا قلنا: إن لكل سلطان حكم هناك مسجدا باسمه يمثل قمة فن العمارة الإسلامية.

اكتشف قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري العالم «آق شمس الدين»، الذي شارك السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٣م، في فتح القسطنطينية(٢٥)، وفي سنة ١٤٥٨م، أمر السلطان الفاتح ببناء مسجد تخليدا وتمجيدا لذكرى هذا الصحابي الجليل. وتمت توسعته في عهد السلطان أحمد الثالث «١٧٠٣-١٧٣٠م»، وطولت منارتاه حيث كانت تعلق القناديل بينهما في شهر رمضان المبارك وبالمناسبات الدينية، ثم تصدعت جدرانه وتضرر هيكله بفعل الزلازل فأمر السلطان سليم «١٧٨٩-١٨٠٧م» بإعادة بنائه من جديد، يقع مسجد «السلطان أيوب» في منطقة شعبية اكتسبت اسمها من وجود هذا المسجد، وكانت تعتبر خارج أسوار القسطنطينية التي كانت محاطة بسور ما زالت آثاره باقية إلى اليوم في المنطقة المحصورة، فيما يعرف اليوم بالقرن الذهبي ما بين بحر مرمرة والخليج الذهبي، وهو شبه جزيرة تشكل اليوم قصبة وسط مدينة استانبول، وفيها أخلد الآثار الإغريقية والبيزنطية والإسلامية..

ففيها مسجد آيا صوفيا ومسجد السلطان أحمد المعروف بالمسجد الأزرق ومسجد السليمانية «تحفة المعماري سنان الخالدة – ومسجد السلطان محمد الفاتح ومسجد ابنه السلطان «بايزيد» وغيرها من المدرجات والقصور.. صمم مسجد «السلطان أيوب» المهندس المعماري «أوزون حسين» الذي سار على خطى المعماري سنان في نظام القباب «وأنصاف القباب» والمآذن المتعددة للمسجد.. وهو مشيد على طرازالباروك» الذي يجمع بين الفن القوطي والإسلامي والحديث، يأخذ المسجد شكل المستطيل، وله مئذنتان، لكل واحدة أفريزان، عليها مقرنصات منقوشة بشكل جميل، والقبة الكبيرة تتوسط المسجد، وترتكز على أقواس تستند إلى ثمانية أعمدة..

وللمسجد صحنان.. الصحن الداخلي فيه اثنا عشر عمودا من المرمر المجزع الجميل، وفوقه ثلاث عشرة قبة صغيرة يتميز المسجد بوجود «محل للنساء» أي مصلى خاص بهن، يتصل بسرادق مع المسجد، وللمسجد محراب ومنبر، ومنصة للواعظ من المرمر المنقوش بطلاء الذهب، فوق نوافذ المسجد – من الداخل – كتبت آيات قرآنية زانت المكان وزادته رهبة. من وسط القبة الكبيرة تتدلى ثريا كبيرة من ثلاث طبقات مصنوعة من الزجاج الأزرق والأبيض الشامي الجميل.

الصحن الخارجي تتوسطه «ميضأة» سداسية، لها مظلة ترتكز على أعمدة رخامية وهي لا تستخدم للوضوء الآن.. ولكنها مرتع آمن للحمام الذي يمرح هناك في حمى هذا الصحابي الجليل.

بين الصحن الخارجي والمسجد توجد «الحضرة» وهي بناء مثمن الشكل مغطى بالقرميد.. وداخل الحضرة يوجد ضريح الصحابي الجليل.. الذي جدد في عهد السلطان أحمد الأول «١٦٠٣-١٦١٧م»، ويحرص حراس الحضرة على عدم السماح للنساء السافرات من الزائرات بدخول الحضرة ويعطين خمارا يستر الشعر وما انكشف من الجسم. خلف الحضرة توجد مقبرة دفن فيها الكثير من رجالات الدولة العثمانية بناء على توصية أوصوا بها.. وأبرز هذه القبور وأقربها للحضرة قبر «مدحت باشا» الصدر الأعظم، تدخر القروية التركية طيلة العام مالا، لتأتي بابنها إلى استانبول وقد اشترت له زيا خاصاً لتجري له عملية «الختان» قريبا من حضرة السلطان أيوب تيمنا وتبركا.. وتوزع الحلوى – مكعبات من السكر في قراطيس – على من حضر هذه المناسبة السعيدة.

مسجد أبي أيوب الأنصاري من المساجد القليلة في استانبول التي بقيت تقام فيها الصلاة بعد حركة «أتاتورك».

وهناك تحت ثرى استانبول – الاستانة – حاضرة الدنيا لحقبة طويلة – وعاصمة العواصم – يثوي رفات نبيل ونفس مطمئنة تسمع كل يوم خمس مرات النداء الخالد: (الله أكبر الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمدا رسول الله..) □

الهوامش:

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ص ٨٠ مج٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٧هـ.
(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، الإبياري، شلبي، دار المعرفة، بيروت.
(٣) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، د.عمر فروخ، ص ٥٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م.
(٤) السيرة النبوية، مرجع سابق، ص ٤٩٦.
(٥) رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٥٠٩.
(٦) تاريخ صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ٥٨.
(٧) السيرة النبوية، ص ٤٩٨.
(٨) حياة الصحابة، الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق نايف العباس، محمد علي دولة، ج١، ص ٤٠٥، دار القلم، دمشق، دار المنارة، جدة.
(٩) نفس المصدر السابق، ص ٣٠٩ و٣١٠.
(١٠) البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ، ابن كثير، مج٢، ص ٢٠٢.
(١١) نفس المرجع.
(١٢) تاريخ العرب في العصر الجاهلي، أ.د. عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٠، ص ٤٧٦.
(١٣) البداية والنهاية، ج٣، مج٢، ص ٢٠٢.
(١٤) السيرة النبوية ص ٦٥٩.
(١٥) أسد الغابة، ص ٨، مج٢.
(١٦) أسد الغابة، ص ٧٠١.
(١٧) المرجع السابق.
(١٨) حياة الصحابة، ص ٤٥٩.
(١٩) نفس المصدر، ص ٤٥٩.
(٢٠) السيرة، ص ٥٢٨.
(٢١) حياة الصحابة، ص ٦٦٣، ج٢.
(٢٢) المصدر السابق، الجزء الثالث ص ١٣٣.
(٢٣) حياة الصحابة، ص ٤٥٩.
(٢٤) تاريخ العرب، فيليب حتى وآخرون، دار غندور للطباعة، ١٩٧٤، ص٢٦٢.
(٢٥) الجوامع التركية المشهورة، نعمت بيرقدار، تعريب خالد النوري، طباعة ميناتورا، استانبول، ص٣٢.

□إن التعامل مع اللغات الحية، ولغتنا العربية واحدة من أهمها، يدفع إلى الربط بين المصطلح وبين مجموعة الأبعاد التي تشترك في صنـاعة مدلوله

فلسفة الوقفيات وإعادة التعريف

بقلم: عبـــد الحليم زيـــدان*

لا نهتم في هذا المقال بـالتعريف وصيغته من ناحية البعد اللغـوي المنطقي النحتي فحسب، وإن كـان هـذا البعد يشكل أحـد أهم خلفيات الكـاتب للنظر في الاصطلاحات ومدلولاتها وتطـور ذلـك عمـومـا، وفي لغتنـا العـربيـة خصوصا.

كما تبتعد مقـالتنا عن المماحكـة التشديـدية الحرفية حول الدلالـة المباشرة للحرف في اللغة العربية، فهذه نتركها لابن فارس وابن السكيت ومن جاراهم علما وتمكنا.

ولا شك بأن التعـامل مع لغات حيـة، ولغتنا العربيـة واحدة من أهمها، يـدفع إلى الربط بين المصطلح وبين مجموعـة الأبعاد التي تشترك في صناعة مدلوله، فلا يجرد المصطلح إلا في نطاق ضيق جـدا حين نتناول المدلـول المعجمي للفظ من الألفـاظ في البيئة الجاهليـة، وهي البيئـة الأولى التي نستطيـع أن ننطلق منهـــا لنعتبر المصطلح بمدلوله في العصر الجاهلي هو المجرد، وما ذاك إلا لأنها المرحلة الـوحيدة التي حفظت لنا ألفاظهـا ودلالاتها من خلال الشعر الجاهلي كممثل للمرحلة بلفظها ثم القرآن الكريم كعامل تغييري ضـخم أحـدث في فترة زمنيـة قياسيـة تغيرا في لفظ ومصطلح ومـدلـول هذه ا للغـة وتعبيرهـا على نحو مـوجه ومنضبط في كتـاب خـالـد محفـوظ لا يَتأتى عليـه التحـريف ولا التبديل.

ولا شك بأن الحديث اليـومي لشهود تنـزل القرآن والتغيير الذي أحـدثه، ورد فعلهم عليه، سلباً أو إيجابـا، يمثل بدوره مـوردا من موارد التعـاطي والتفاعل البشري الـذي يحدث تغيرا لغـويـا، وفي رأس هـذا الحديث حـديث النبي المصطفى صلى اللـه عليـه وسلم، وحـديث صحابته وتابعيهم. وندع المراحل التالية تترى مـرحلـة بعـد مـرحلـة لتفعل فعلهـا وتضفي بظلالها ومـؤثراتها وعـواملها المختلفـة لتنقل المدلول والمعنى للفظ من حال إلى حال.

ولقد عـودنا الفقهـاء والأصوليـون وعلماء الشريعة عمـوما على استخدام جملة تبـدو لنا يسيرة مبسطة، لكنها في منتهى الدقة accuracy تعـدد التراكب complexity ، وهي قـولهم عند التعريف لأي كلمة شرعية مثـلا بأن معناها في اللغة كذا وفي الاصطلاح كذا، ومثل هذا شا ئع، ومستخـدم «مثل قـولهم: الصـلاة في اللغـة: الـدعـاء، وفي الاصطـلاح: أقـوال وأفعـال مخصوصة تبدأ بالتكبير وتختتم بالتسليم و.. إلخ».. بل يـزيـد بعضهم وجـه المنـاسبـة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

فمن نـاحية الـدقة تمثل هـذه الجملة حـالة تفريقية بين مدلولين ومعنيين للفظ واحد،نقله من معنى إلى غيره عـامل من العوامل، فيكـون التفـريق بين المعنيين دقيقا ومطلـوبـا ليتضح المراد. أما من ناحية التراكب، فالعوامل تختلف وتختلف بـذلك النتـائج والآثـار، والمنـاخـات الثقـافيـــة والسيـاسيـــة والاقتصـاديـــة والاجتماعيـة. تتـداخل تأثيراتها لتشكل معـا المدلـول الظـرفي وليس النهـائي للمصطلح أو اللفظ.

وعلمنا أساطين علـوم التعريف والمعجميون عمـومــا، والأصـوليـون والمنـاطقـة بشكل تخصصي، أن ينحت المصطلح بـذات ولـذاتـه، وأن ينحت تعريفه بالـدقة نفسها ولكن لغيره. والنحت الاصطلاحي موضـوع آخر ليس هذا بـابـه، ولكن يلـزمنـا منه الصـورة الدالـة على صخر خام أشوه مشوش، تضرب فيه الأزاميل والمطـارق وفق رؤية خـاصة ومهـارة وحرفـة وخبرة ودربة وآلة مناسبـة، فتخرج منه شكلا مقدرا محترما نفيسا.. والقيمة الإضافية Value Adding هي كما يعلم الاقتصـاديـون الحرفـة والخبرة والآلة، التي نقلت الصخر من سعر إلى سعر.

ومن هذه الصـورة النحتية نكتشف أن نحت المصطلح يحتاج إلى كل هـذه الملكات والمهارات، ولنحت التعريف مثله أيضاً مع بعض الزيادات كـالضوابط التي أسماهـا المناطقـة بالجامعة المانعة، فيكون التعريف لكل المعرف دون غيره، جامعا لما ينضوي تحته، مانعا من دخول غيره فيه.

ويتـدخل العلماء في حـركـة الاصطـلاح والتعريف طردا وعكسـا، فتارة تكون مهمتهم ابتكـار التعـريف المناسب لحالـة أو قضيـة أو عمليـــة أو صنف.. إلخ، وتـارة يكـون الاسم موجـودا ومستخدمـا على العمل نفسـه، ولكنه يحتاج إلى التعريف الضابط جمعا ومنعا وتارة يحتاج لكليهما وتكون مهمته في هذه الحالة على قدر أعلى من المشقة؛ إن كان الاصطلاح المطلوب مبتكر بالكامل.

أزمة التعريف وإعادة التعريف

وتبقى أزمـة من نوع آخر ليسـت بعيدة عما مضى من حيث حصـولها، ولكنهـا قليلـة من حيث تفاعل المعنيين بها واستجابتهم لضغطها وتفاعلهم مع احتياجاتها، وهي إعادة التعريف حسب متغيرات العـوامـل والظـروف وتحريك المصطلح أو تعريفه أو كليهما من حالة لأخرى بما ينـاسب المتغيرات وفق مرجعية مـا. والتي هي لدى المسلمين الشريعة الإسلامية.

ولا شك بأن تغير التعـريـف وفق مـرجعيـة ثابتة ورؤى واضحـة وتفاعل إيجابي حياتي، واستيعاب حضـاري لهو من أخص خصائص الدلالـة على حياة لغـة ما، وبالتحـديد حيـوية أهلهـا ومعـاصرتهم لـزمنهـم ومستلـزمـاتـه ومتطلباته ومتغيراته.

وتعـريف الـوقف المتـداول بين طلبـة العلم والمشتهـر على ألسنـة المعنيين هـو في اللغـة: الحبس. وفي الشرع هو: «حبس الأصل وتسبيل

*رئيس شركة (المستشار) ومركز اتقان لتدريب - لبنان

المنفعة» أو «التصدق بالمنفعة». أي أن يحبس أصل المال من العقار وغيره لا يباع ولا يشترى ولا يملكه أحد بخاصة، ويجعل منفعته عامة كسبيل على المسلمين، ويصح أن يكون عام المنفعة لكل المسلمين، أو خاصا على فئات منهم كالفقراء فقط. «انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٧٤».

وهو تعريف يضعنا أمام مفارقة طريفة، فمن ناحية، هو جامع مانع وفق ضوابط الأصليين وشروطهم، ومن ناحية هو مشتهر منتشر منبث في ثنايا كتب الفقه والتشريع والقانون. إلخ.

ولكننا إذا دققنا النظر في التعريف لما هو أعمق بقليل من غلافه الأول: وهو غلاف التوصيف للمعرف به، فإننا نجد هذا التعريف في زماننا لا يعدو أن نعتبره تعريفا للآلية التنفيذية للوقف، وهي خلاصة الطريقة التي ينفذ الوقف من خلالها. وهي خلاصة عملانية قادرة على الإيفاء باختصار شديد بمتطلبات أن العين الموقوفة تحبس كما السجين فلا تباع ولا تشترى ولا تنقل ملكيتها في الذمم، وأما نتاجها ومنفعتها وثمرتها فهي التي تحرك وتعمم أو تخصص إلخ.

ولكن.. ألا نجد أنفسنا ونحن في هذا المشهد الحضاري الزماني بالذات بحاجة لتعريف أكثر ملاءمة للأبعاد المستجدة والمتغيرات المراوحة والدفق الزاخم بالمعلومات والاستحضار الميسر للتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة؟

نحو تعريف جديد

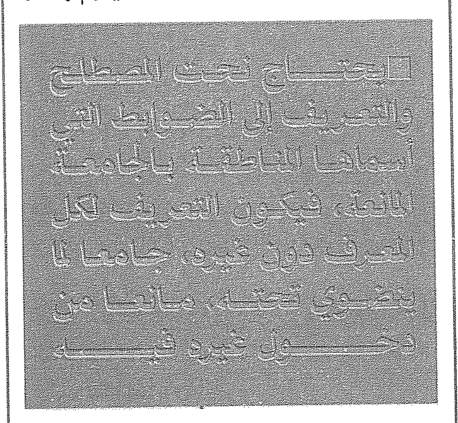
إن المشهد الحضاري الذي نعيشه وتعيشه أمتنا قد وضعنا جميعا على حافة ومخاض، فهو يستلزم منا استيعابا واستشرافا، ويتطلب تخطيطا وتنفيذا، ويرتجي إمكانات نوعية لرؤى ومشاريع نوعية، ويواجه أحجاما لا يكافئها بالعاشير، وتحاسبنا دورة زمنية ليست إلى صفنا، والموقف المراوح لا يبشر بخير كثير.

ونرى (الوقف) في حياة أمتنا راسيا من رواسي الخير التي تشبه إلى حد بعيد الرواسي الملموسة «السفن»، وتدفع بنا إلى أبعاد ثلاثة رئيسية نكتشف معها تطورا وارتقاء لا شك فيه في مستوى التعامل والتعاطي مع الوقف، ونراه لزاما علينا أن نقف مع المصطلح وتعريفه وقفات تأمل ومراجعة واستجماع لابتكار التطوير والتحسين، وإضفائهما لمناسبة المعايشة والمعاصرة والواقعية.

وهذه الأبعاد هي:

أ) الثبات: فالدور التثبيتي للخير والدارىء للشر الذي يقوم به الوقف، ولئن كان دور الدعوة الإسلامية بمفهومها التبليغي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن دور الوقف بالمعنى التثبيتي هو تأمين موارد ثابتة لتحقيق هذا التبليغ، وإنفاذه وتجويزه العقبات والمفاوز.

ب) الضابطية: فالوقفيات والوصايا تنضبط بضوابط تبدأ من الفكرة ومشروعيتها، ثم بالجهات المعنية بتسجيل وتوثيق وضبط الوقفيات، ثم بالطريقة التنفيذية، ثم بالمكلفين بالتنفيذ وهكذا. فالوقفيات تتميز بالضبط والتوثيق وتفترق عن عمل الخير المجرد بهذه الخصوصية، فعمل الخير يمكن أن يقوم به كل



أحد بضوابط وتوثيق أو بدون، وليس هذا للوقفيات.

ت) التفاعلية المجتمعية: يختبىء هذا البعد وراء الدوافع والخلفيات التي دفعت كل واقف على حدة، ولكن هذا البعد يتحول إلى أبعاد كثيرة واضحة ظاهرة عندما تعاد دراسة الوقفيات دراسة مسحية تحليلية، تستكنه الخلفيات الاجتماعية والبيئية والاقتصادية والمرحلة التاريخية على الوقفيات وأنواعها.

فكثافة الوقفيات على تخفيف الفقر والتسول والمرض في منطقة ما وتاريخ ما، تمثل غير ما تمثله كثافة وقفيات على قضايا بيئية كتنظيف المواسير والأقنية وتخصيف الشجر وتسوير القرى وقتل الضواري.. إلخ، أو على قضايا تتعلق بالحيوان ورعايته وإطعامه كوقف إطعام الهررة ووقف المرجة للحيوانات المسنة، أو على قضايا تنفيهية كالتي على مرفهي المرضى في المستشفيات، أو على قضايا التنموية كالتعليم وغيره.. إلخ.

عن أي وقف نتحدث إذا؟!!

ومن هنا فإن الإطار الوقفي باجتماع أبعاده التكاملية هو إطار حضاري تتمثل فيه الحضارة في كل بعد، وإطاره التنفيذي هو المجتمع الذي يلعب أفراده الأدوار المختلفة في كل عمليات الوقف، وحركة أدائه هي حركة تنموية في انطلاقها وتنفيذها ونهوضها وجريانها وانبثاثها وريعها.. إلخ.

ومن هنا كان لابد لنا من أن نطرح تعريفا جديدا للوقف بأبعاده الحضارية والتنموية والمجتمعية، وأن نعتبر التعريف التقليدي المتعارف عليه والمعتمد في معظم المراجع بمثابة تعريف للآلية التنفيذية للعملية الوقفية والقائمة على حبس الأصل وتسبيل المنفعة.

وبإطلالة سريعة على شريحة من نماذج الحالة الاستيعابية والافرازية للمجتمع المسلم لمفهوم الوقف والتحرك به تعطينا فكرة حافزة عليه، حيث نقتطف من محاضرة للأستاذ محمد أمين الحبال المدير العام السابق للأوقاف الإسلامية في لبنان حولها، ونقتطف منها بعض النماذج عن الوقفيات الموجودة حيث نجد في أنواع الوقف:

أنواع الوقف

- وقف بناء الخانات لأبناء السبيل.
- وقف الرباطات لإنشاء ثكنات الجيوش.
- وقف دور الثغور للغزاة والمرابطين.
- وقف بناء دور المحتاجين.
- وقف حياض الدواب.
- وقف السبيل.
- وقف إنشاء القناطر والجسور.
- وقف البيمارستان.
- وقف دور النقاهة.
- وقف دور سكن الطلبة.
- وقف سقي العطاش.
- وقف المدرسة.
- وقف تأمين الطبابة.
- وقف الطرقات – لمدها وتعبيدها.
- وقف اطعام الهررة.
- وقف القنوات – لمن يقوم بتنظيف أقنية المياه.

فلسفة الوقفيات وإعادة التعريف

– وقف العروس.
– وقف تجبير الكسور.
– وقف الكفن – لتكفين فقراء المسلمين.
– وقف الباءة – لتأمين صداق زواج الفقراء.
– وقف المرجة – لإيواء الحيوانات كبيرة السن.
– وقف المصحف – لنشره مجانا.
– وقف المكتبة.
– وقف مصحات العاهات المزمنة.
– وقف الكتاب – لنشر الكتب مجانا.
– وقف المساجد – للانفاق عليها.
– وقف الآبار.
– وقف قفة الخبز – من لا يجد خبز يومه.
– وقف الحرمين الشريفين – للإنفاق عليهما. وغيرها مما لا يمكننا إحصاؤه. [من محاضرة الأستاذ الحبال بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٤].

التعريف المقترح

ولذلك فإنني أقترح التعريف التالي، وأضعه بين يدي العلماء والباحثين والمعنيين والمهتمين، وهو برسم التداول والمناقشة والإقناع التفاكري والتفاعلي:

«الوقف هو جهود مجتمع متمكن، بدواع ورؤى متفاوتة، لتثبيت خير أو استحداثه أو درء شر أو التحصين منه، وضمان الاستمرار بمنع الزوال الإرادي، وإلزام التشغيل المستقبلي بحده الأدنى، وذلك لحفظ قرار وذاتية المجتمع إذا مادت به ظروف ومتغيرات السياسة أو الاقتصاد برواس محمية ومشروعية محققة وإشراف منضبط».

شرح التعريف

جهود: مختلف ما يبذل ليؤدي إلى إحداث عمل ما «قول – سعي – توجيه – تمويل –..الخ» وليس منه المهمل – المشاع.. إلخ.

مجتمع: فالمجتمع أساس تقرير الاحتياجات واللوازم وهذا يجمع الآدميين المجتمعين العاقلين ويخرج غير الآدمي – غير العاقل.

متمكن: التمكن نسبي وهو بالعموم سياسي اقتصادي.

بدواع: كالخوف على الذرية أو ابتغاء العفو أو تعويض نفسي وتختلف بها خلفيات الجهود وبواعثها.

ورؤى: كالتطلع إلى تخليد الذكر أو استنفاذ جيل المستقبل.

متفاوتة: حيث إن الناس تختلف.

لتثبيت خير: قائم ولكنه عرضة للانهيار إذا ترك دعمه.

أو استحداثه: كأن يكون استحداث منفعة ما أساسا للوقف.

أو درء شر: باختلافه: صحيا كان أم اقتصاديا «فقر – جهل – مرض – تسول – إلحاد –..إلخ».

أو التحصين منه: كتأمين بدائل أو تراتيب تحصينية «ميتم – مدرسة – جامع – نشريات.. إلخ».

وضمان الاستمرار: بحبس أصل العين عن البيع والشراء والانتقال إلى ما شاء الله.

يمنع: وتحريم وضبط.

الزوال الإرادي: أي الذي يتم إراديا وليس فوق الطاقة كالجوائح.

وإلزام: لنفاذ الوقفيات والوصايا شرعا وعرفا وقانونا.

التشغيل: المنفذ لرغبات الواقف أو الموصي.

المستقبلي: لحياته وبعد موته.

بحده الأدنى: الذي فرضته الوقفية فإن التطوير والارتقاء نسبي.

وذلك: بهدف وغاية.

لحفظ قرار: فإن الوصايا والوقفيات تعمل وفق قرار واقفها.

وذاتية: فإن الموارد التي تحققها الوقفيات هي ذاتية.

المجتمع: واقفا وموقوفا عليه وله.

إذا مادت به: وطرأت عليه وأثرت فيه.

ظروف: كالحروب والانقلابات والجوائح الطبيعية.ومتغيرات: وتفاعلات وتحولات.

السياسة: بالأنظمة والمؤسسات الرسمية.

أو الاقتصاد: أو النظام الاقتصادي ومؤسساته.

برواس: فالوقفيات كالسفن المقيمة ترسو ولا تغادر الميناء.

محمية: بالشريعة والنظم والتشريعات والقوانين.

ومشروعية: قد تختلف المرجعية التشريعية، وهي عندنا الشريعة الإسلامية.

محققة: لابد للإجراء من موافقة المرجعية التشريعية.

وإشراف: من الجهات المعنية والتي ينم إيكالها بالإشراف، كنظار الوقف ولجانه ومؤسساته.

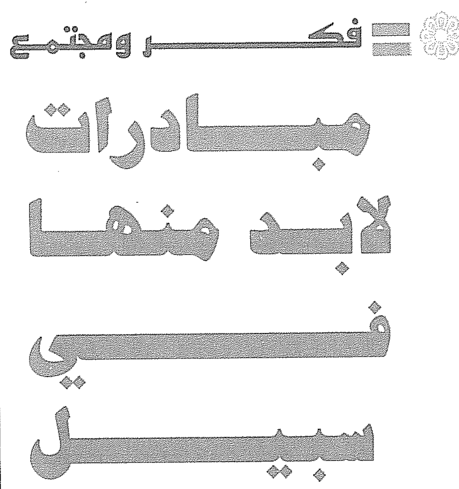
منضبط: ويتأتى ضبطه من خلال مرجعيته التي تكون القضاء أو الهيئات الوقفية العليا.

الآلية التنفيذية

١ – حبس الأصل وتسبيل أو تعميم المنفعة.
٢ – تسجيل الوقف لدى الجهات المعنية.
٣ – تعيين نظارة للوقف «شخص أو لجنة أو مؤسسة أو جمعية أو هيئة».
٤ – ضبط طريقة العمل بالوقف وسبل صرفه وكيفيات تعاطيه مع المتغيرات وتحقيق استمراره.

تصنيف أمثلة الأنواع

١ – الذري: الوقف على الأولاد وأولادهم.
٢ – المساند: وقف المغلوب بكثرة الأولاد – وقف المعيل للوالدين – وقف المعيل لأولاد معاقين.
٣ – الترفيهي – التمريضي – الترويحي: وقف مسلي المرضى بالمستشفى.
٤ – الجهادي: وقف تجهيز المجاهدين – وقف أسر الشهداء.
٥ – الإغاثي – الإنقاذي: وقف المفلسين – وقف المنهدمة بيوتهم، وقف الجرة المكسورة.
٦ – الحيوان: وقف المرج للحيوانات المريضة أو الكبيرة المتعبة.
٧ – المسجدي: وقف مساجد. وقف على مساجد. وقف على خدمة مساجد.
٨ – الريعي الدوار: وقف يعود ريعه على أعمال البر الراجعة كالقروض والمشاركة.
٩ – العقاري: وقف طرق للمسلمين. وقف ساحات ودور وأراض.
١٠ – الجابر: وقف الجرة المكسورة للأجير المخطىء.
١١ – التنموي: وقف نقل المياه للري والشرب. وقف التعليم ودور التأهيل الاجتماعي والمهني والاصلاحي.
١٢ – البيئي: وقف استصلاح مياه المسلمين ومواردها. وقف التشجير.
١٣ – وغيرها.. وقف سبيل المياه.. وقف قفة الخبز.. وقف إفطار الصائم.. إلخ□





العودة إلى الذات

وأخيراً بدأت جهود الصحوة الإسلامية تؤتي ثمارها - بحمد الله، وقررت بعض القيادات السياسية المؤمنة في الوطن الإسلامي العودة إلى تحكيم الإسلام في حياتها اليومية، بعدما تبين لها أن العودة إلى الذات شرط لازم للانبعاث الحضاري، والخروج بشعوبها من دائرة التبعية الضيقة التي رسمها لها الاستعمار، إلى دائرة الإسلام المرنة، وأن مانعيشه من تخلف ومذلة لايتحمل الإسلام وزره، وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه وتراخيهم عن عقيدته الأمر الذي أزعج الدوائر الاستعمارية وامتداداتها في الوطن الإسلامي، فأعطت الضوء الأخضر إلى أجهزتها العاملة هناك لإجهاض هذا التوجه حتى لايشمل كل البلاد الإسلامية، فيفسد عليها سياستها في إبقاء الإسلام بعيداً عن دائرة العمل والتنفيذ والتوجيه، تنفيذاً لوصية جلادستون حين رفع المصحف في مجلس العموم البريطاني عام ١٨٨٢م، وقال: «إنه مادام هذا الكتاب باقياً بين المسلمين فلم يقر لنا قرار في هذا البلد - مصر - فلنعمل على تمزيقه في قلوب المسلمين».

ولعل من أهم وسائل هذه الأجهزة التي تعمل لصالح الدوائر الاستعمارية للقيام بعملية إجهاض المشروع الإسلامي تخويف الجماهير المسلمة المستهدفة بعملية التغيير، من العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، بما تروجه ضدها من شبهات وافتراءات مثلما أذيع في بعض تلفازاتنا العربية (*) من أن تطبيق الشريعة ينافي المباديء العالمية لحقوق الإنسان.

﴿كبُرت كلمة تخرج من أفواهم﴾

إن التحدي خطير، المعركة حامية تستعمل فيها الدوائر الاستعمارية كل أساليبها القديمة والحديثة، حتى لايفلت زمام الأمور في الوطن الإسلامي من يديها.. ومع ذلك تبقى ثقتنا في الله أولا وفي قدرة الأمة على تجاوز هذا التحدي والعودة إلى ذاتها

بقلم: محمد الصالح بن عزيّز

واستعادة دورها الحضاري، ولكن قبل ذلك، وحتى نضمن - بمشيئة الله - كسب التحدي، لابد من قطع عدة مراحل ضرورية، تتضافر فيها جهود الدعاة والسياسين الصادقين من ولاة أمور المسلمين.

ولعل أهم هذه المراحل:

التكوين العقائدي

لابد من ترسيخ القناعة لدى أبنائنا وشبابنا، الذين تربوا على فلسفة المناهج الغربية، بأن نهضة أمتهم مرهونة بالعودة إلى الإسلام، به تشكلت شخصيتها الحضارية وتاريخها وثقافتها، وأن كل مشروع مستقبلي للبلاد لايراعى هذه الحقيقة وهذا المعطى التاريخي مآله الفشل، لأن أول البناء في تكوين الأجيال هو الإيمان بذاتية خاصة، لها قيمها ووجودها وكيانها وتاريخها، مختلفة عن غيرها.. وهذا يعني أن تبدأ مؤسساتنا التربوية والثقافية والإعلامية بالتكوين العقائدي، لأننا لانستطيع أن نظفر بالتفسير الصحيح للإسلام ونحن نسحب عليه المنهج الغربي للنقد، المتميز بأسسه التي انبنى عليها (نظرته إلى الدين، إلى الدولة، إلى المرأة، إلى الاقتصاد) (١).

والتكوين العقائدي الذي نعنيه، حتى تضمن الأمة بقاءها ونقاءها وتطورها بعيدا عن الانكسارات والانحرافات في الفكر والسلوك ذات اليمين أوذات الشمال هو:

١- التكوين الذي يحدد المفاهيم الأساسية الإسلامية، مثل مفهوم الألوهية والنبوة والبعث.

العودة إلى الذات

٢– التكوين الذي يحدد منزلة الإنسان في الوجود وعلاقة العقل بالوحي.
٣– التكوين الذي يحدد سلّما للأوليات بين القيم، مثل قيمة العلم والعمل، والتقوى، والتفكير.
٤– التكوين الذي يحدد موقف المسلم من الواقع بجميع تعقداته وعناصره..ماهو إسلامي وما هو غير إسلامي.
٥– التكوين الذي يزود الفرد بالبواعث الضرورية للإقبال على المعرفة في نهم وولع.
٦– التكوين الذي يحدد المفاهيم الأساسية للعمل الإسلامي: الجماعة، الشوري، السمع والطاعة (٢).

بهذا التكوين نستطيع أن نمكن أبناءنا من الإطلاع على ترك الثقافات الأخرى، ونحن آمنون – إلى حد م ا– من أن تصهرهم هذه الثقافات في بوتقتها، أو أن توقعهم في سلسلة من الإنحرافات والتمزقات وألوان من الضياع، ونستطيع أن نزيل من أذهانهم زيف الأكذوبة، التي روج لها الاستعمار، من أن العقيدة الإسلامية هي سبب تخلف المسلمين. وبهذا التكوين العقائدي يدرك أبناؤنا فرية مايردده التغريبيون، من أن اللحاق بالغرب هو التحدي الوحيد الذي واجه ويواجه الأمة منذ الاحتلال، وهي دعوة أن ننصهر في الفكر الغربي والمجتمع الغربي وأن نفقد مقوماتنا وعقيدتنا حتى نفقد أخص خصائصنا، ويدركون أن مايلوح به لنا الغرب من تيسير وسائل نقل التكنولوجيا وأساليب التقدم، يجب أن تكون مبادرة حرة وغير مرتبطة بأي دعوة أخرى إلى نقل أسلوب العيش الغربي، بما يستهدف القضاء على الضوابط الأخلاقية والدينية والأدبية، لأن المفروض – في التصور الإسلامي – أن تكون حركة هذا العلم في إطار قيمنا ومفهومنا الذي يقوم على بناء المجتمع الرباني المحرر من العبودية والعنصرية والاستغلال، بمعنى أننا إذا كنا – مثلا – في حاجة إلى المذياع وآلة «السينما» أو آلة التلفاز، فإننا في غنى عن مسرحياتها وأفلامها، لأننا حين ننقل هذه الأدوات الصناعية، إنما نريد أن نشغلها بفكرنا وليس بفكر الغير (٣).

بل إن أوروبا نفسها – عند ترجمة التراث العلمي الإسلامي واستعارة فنونه العلمية في الطب والفلك والحساب – كانت حريصة كل الحرص على أن لايتسرب إلى حياتها، مع ذلك التراث العلمي والفنون العملية، قيم المسلمين وآدابهم ولغتهم ونظرتهم إلى الكون والحياة والإنسان، وكان أعداء الكنيسة الذين رفعوا شعار العلمانية لايتورعون عن التهجم على المسلمين والحط من شأن دينهم ونبيهم، حفاظا على شخصيتهم الحضارية والخوف من الوقوع في هيمنة الثقافة الإسلامية، ولم ينظر الغرب للإسلام بشيء من الموضوعية إلا بعد إحساسه باكتمال شخصيته الحضارية وتأكده من تفوقه على المسلمين (٤).وأخيرا – وليس آخرا – يمكّن هذا التكوين العقائدي أبناءنا وطلابنا من الوقوف على المعارف المعروضة عليهم موقف التعرف الصحيح على قيمها الحقيقية، وعلى مصادرها، وعما إذا كانت نافعة أو ضارة، إيجابية أو سلبية، فيرفضون الزيف والتفاهات، وينبهون إليها، ويعرفون أن لهم من العلوم موقفا ومن الثقافات الأممية موقفا آخر، ويعرفون الفرق بين العلوم والفلسفات، وأن هذه الفلسفات هي نظريات فردية قوامها فروض تصح وتخطىء، وهي مرتبطة ببيئتها وعصورها، وليست صالحة لعصور أو بيئات أخرى.

وقد سبق لأسلافنا، بفضل عمق تكوينهم العقائدي، أن تعاملوا مع التراث الإنساني الفكري والعملي، من موقع القوة والاعتزاز بدينهم، تعاملا إيجابيا، فأبقوا جوانب من ذلك التراث زكوها ونموها، أيدوها وطوروها وصاغوها صياغة جديدة، وعابوا من هذا التراث أشياء كثيرة، كشفوا زيفها، عرّوها ونقدوها، ولم يكتفوا بالقبول والرفض والوقوف عند عطاء التراث من خلال الانتقاء، بل جاءوا بالجديد، وقدموا للإنسانية منهجية علمية تتلخص معالمها في العرض، والتحليل، والنقد، والكشف عن الجوانب السلبية والإيجابية، والموقف، والإضافة الجديدة، حيث تشكل من مجموع ذلك، المشروع الحضاري الذي قلب وجه الحياة (٥).

تحرير مناهج التعليم والثقافة

لابد من تحريرمناهج التعليم والتثقيف من أخطار المفاهيم التي بثتها مناهج الاستعمار، إذا علمنا أن هذه المناهج كانت إحدى الوسائل التي راهن عليها الاستعمار لتمزيق النفس الإسلامية والعقل الإسلامي، بإفراغهما من جوهر الأصالة الذي كان يعصمها جميعا، ويكوّن ذلك الجدار الصلب الذي لاينفذ إليه الخطر، وتلك الحصانة النفسية والفكرية القادرة على الثبات أمام كل الأعاصير والزعازع التي تقذف بها الثقافات الداخلية، وقد استطاع، الاستعمار – للأسف الشديد – تحقيق هدفه، وذلك بشهادة أبنائه أنفسهم.

فهذا «ماملتون جوب» أحد أعلام الحملة الغربية على المشرق العربي يقول: « لقد أستطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية والصحافة، أن يترك في المسلمين – ولو من غير وعي منهم – أثراً يجعلهم في مظهرهم العام لادينيين إلى حد بعيد.ولاريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ماتركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار»(٦).

إلا أن الملفت للانتباه والداعي إلى الحيرة، هو استمرار سيطرة هذه المناهج على مؤسساتنا الوطنية حتى بعد حصول دولنا على ماسمي بالاستقلال السياسي، بل إننا نجد أن بعض الدول العربية بعد الاستقلال، لاترى حرجاً في أن توكل مهمة إعداد سياستها التربوية وبرامجها إلى رجال الاستعمار أنفسهم، مثل ماسمى بمشروع« جين دوبياس» .

الذي أُعِدّ للبلاد التونسية سنة ١٩٥٨م.

وكان من أهم ماأوصى به ضرورة مواصلة تعليم العلوم والتقنيات بالفرنسية طوال العشرية الموالية لسنة ١٩٥٨م، ويذهب «دبياس» إلى أن تونس، ذات الموقع المتوسط بين الغرب والشرق، لديها شيء من الميل إلى أزدواجية اللغة، وأن تعليميا مزدوج اللغة هو الذي يمكنه أن يتناسب مع الحاجات الحقيقية للبلاد التونسية، ولايزال هذا المشروع نافذ المفعول على الرغم من الإصلاحات التي وقعت، والتي لم تستهدف إلا مزيداً من علمنة التعليم (٧).

وهو موقف يجعلنا نتساءل مع الأستاذ« أبو معاذ»: «لمصلحة من نقوم بمسخ هذا الجيل واجتثاثه من أصوله الثقافية وقطع أوصاله عن محيطه وتركه ضائعاً ليس ندري إلى أي أمة هو ينتمي ولا إلى أي ثقافة هو ينتسب ولا إلى أي مثل ينبغي أن يتطلع، ولا إلى أي رأي قيم ينبغي أن يحتكم.أليست مهمة

التربية الأولى تأصيل الإنسان في بيئته حتى يتفاعل ويسهل عليه حل مشكلاتها»(٨).

وتحرير مناهج التعليم والتثقيف يعني

١- أن نعمل بوصايا الملتقى الإسلامي المنعقد في الجزائر ١٩٧٤م، والتي ركزت على إنشاء مادة دراسية في المدارس والجامعات العربية والإسلامية، يطلق عليها اسم «مقدمات المناهج والعلوم» «يتوفر لها باحثون غيورون، يكون من شأنها أن تقدم، في مناهج الجامعات في الاجتماع والسياسة والاقتصاد والقانون والطب والتربية، دراسات تقدم الصورة الحقيقية لما قدمه المسلمون في هذه المجالات الإنسانية كلها، والذي هو - دون مبالغة - الإطار الحقيقي للفكر والحضارة والعلوم التجريبية والعلوم الاجتماعية والإنسانية قبل أن تنحرف عن طريقها الأصيل. إلى الاستجابة لأهواء الذات ومطالع البشر» (٩).

٢- أن نقدم لأبنائنا تاريخ أمتهم الصحيح غير مشوب بأكاذيب الغرب، وماقدمته - أمتهم - من أعمال خالدة في مختلف مجالات البطولة والعلم والأخلاق والإخاء الإنساني، ونعلمهم أن ما تنعم به المدنية الغربية اليوم من تقدم علمي، مدينة في جزء كبير منه إلى حضارة الإسلام التي أقامت المنهج التجريبي، ووضعت أصول العلوم التي تدّرس اليوم في الجامعات - كالطب، والاجتماع وعلم النفس والتاريخ والأدب والقانون والفلك والتربية - على أنها أوروبية المولد والنشأة، وذلك باعتراف الصادقين من أبناء الغرب أنفسهم، الذين حطموا جدار الصمت وأبوا إلا إرجاع الفضل إلى أصحابه، وهذا العلامة «بريفوت» في كتابه بناء الإنسانية يقول: «إن ما يدين به علمنا لعلم العرب (المسلمين) ليس هو ما قدموه لنا من اكتشافات لنظريات مبتكرة غير ساكتة، إنه يدين له بأكثر من هذا، إنه يدين له بوجوده ذاته»، فنكون بذلك قد أعدنا الثقة لأجيالنا في هذه الحضارة وهذا الفكر، وأعدنا لهم الاعتزاز.

بالانتساب إلى هذه الأمة، وهي بنوة عريقة، ونسب كريم، يدفعهم للمحافظة عليها والدفاع عنها بالغالي والنفيس، ذلك أن الارتباط بالماضي شرط من شروط بناء المستقبل يقول (أوغست كونت): «إنما الحاضر نتيجة للماضي، وما المستقبل إلا وليد الحاضر، وبقدر مانلم بماضينا نفهم حاضرنا، ومن ثم يمكن لنا أن نتفهم مستقبلنا».

٣- الإسراع بتنقية مايعرض على أبنائنا من مراجع تسيء إلى الفكر الإسلامي وإلى الحضارة الإسلامية، كتبها - المراجع - أقزام جندهم الاستعمار لهذا الغرض، فنعري افتراءاتهم ونفضح تواطأهم، ونعرض الفكر الإسلامي الصافي كما كتبه وعبر عنه رجال مشهود لهم بالصدق والأمانة والاستقامة وإنه لمن المؤسف أن نرى - مثلا - مؤلفات جرجي زيدان التي أطلق عليها اعتباطا روايات الإسلام، واستطاع صاحبها بوحي من الدوائر التبشيرية أن ينقل جملة الشبهات حول الإسلام ورجاله وتاريخه ودعوته وشريعته، عن طريق قصص مزج فيها الحق بالباطل، وقدمها في أسلوب براق جذاب يقوم على الحبكة والغرامية والتصوير الوجداني وخلق الحودات المثيرة.

إنه لمن المؤسف أن نرى مثل هذه المؤلفات، تُعتمد حتى اليوم كمرجع لدراسة فن الرواية العربية، دون التنبية إلى ماتبثه من سموم في عقول الناشئة.. ولئن وقع الرد على جرجي زيدان وأمثاله، ودحضت شبهاتهم، وفضحت أكاذيبهم وعمالتهم، فإننا لانريد لهذه الردود أن تدفن في رفوف المكتبات الوطنية أو الجامعية، وإنما نريد لها أن تنتشر بين العامة ليعم نفعها.

٤- العمل على تدعيم اللغة العربية الفصحى حتى تصبح لغة الفكر والثقافة والعقيدة والعلوم، ودحض الشبهة القائلة إن العربية غير قادرة على استيعاب العلوم، وهي شبهة - كما يعلم الجميع - يكذبها تاريخ اللغة العربية التي لم تتقهقر قط - فيما مضى - أمام لغة من اللغات التي احتكت بها، بل أثرت فيها حتى عدوا أكثر من الف وخمسمائة كلمة عربية في مجال العلم والحديث اليومي لاتزال مستعملة اليوم في لغات أوروبا.. وإنه - حقيقة لأمر مؤسف أن نرى العربية اليوم لغة ثانية بين قومها تأتي بعد الإنجليزية أو الفرنسية، بالرغم من أن الدعوة إلى التعريب قديمة قدم الاستعمار في أقطارنا، بل أليس من العار أن نسمع رئيس الوزراء في إحدى الدول العربية يلح في افتتاحه لاجتماع منظمة الجامعة العربية للتربية والعلوم المنعقد في تونس في أوائل الثمانينات، - يلح - على ضرورة تعلم العلوم باللغات الأجنبية، بعدما ظننا أننا تجاوزنا دعوة طه حسين إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية وتبديل قواعد النحو العربي، باسم تطوير اللغة، وما تعنيه هذه الدعوة من التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرنا أو يزيد، والتي ضمنت وتضمن لنا القدرة على مطالعة آثار المسلمين والعرب خلال أربعة عشر قرنا، وبعدما ظننا أننا تجاوزنا دعوة فريد أبو حديد وتوفيق الحكيم وأمين الخولي إلى إعلاء اللغة الوسطى (لغة الصحافة) وجعلها لغة أساسية تفصل اللغة الأم عن بيان القرآن وتكون مقدمة لمرحلة أخرى تصل إلى العامية؟

٥- أن نعقد العزم على إعادة أساليب التربية الإسلامية لهذه الأمة، وحمايتها من هذا الخطر المتصل والمتجدد الذي يفسد عليها هذه الأجيال الجديدة المتطلعة إلى نور الله والى العلم والثقافة..ولابد أن نشير إلى أن المسجد يبقى من أهم ركائز التربية الإسلامية، وتبقى حرية المساجد ورفع الوصاية والرقابة عنها مطلباً حيوياً إذا أريد لهذه الأمة أن تحيا وتستعيد كرامتها، لايجب أن يعطل نشاطها - المساجد - بحجة مقاومة التطرف كما يقع في بعض الدول العربية التي ترفع شعار الهوية الإسلامية ولاننسى أن المساجد لعبت دوراً اجتماعياً عظيما، ساهم في تماسك الأمة وحمايتها من الذوبان، بل إن التاريخ يروى أن مقاومة المغول - وكذلك التتار والصليبيين - الذين هاجموا العالم الإسلامي من الشرق وخربوا البلاد وأهلكوا العباد، مقاومتهم انطلقت من المساجد، ولم يمر وقت طويل حتى غلب المغول على أمرهم وسجدوا لله الواحد القهار تحت سقوف المساجد التي خربوها في طريقهم من سمرقند إلى حلب، وقام أحفادهم بإعادة بناء المساجد وفيها صلّوا، وتحولوا إلى مسلمين مجاهدين في

إن مانعيشه من تخلف ومذلة لايتحمل الإسلام وزره، وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه وتراخيهم عن عقيدته

العودة إلى الذات

سبيل الإسلام، حاملين رايته، مدافعين أعداءه وسائرين باسمه في معارج الرقي والعمران.

٦- تحرير تعليم الدروس الدينية من الطرق التقليدية التي دأبت عليها مدارسنا منذ زمن طويل، والتي أورد الاستاذ محمد قطب صورة موجزة لها فقال: «أما حصة الدين فماذا فعل بها هذا الخبيث (دانلوب)؟ وضعها في آخر جدول الدراسة أي في الحصة السادسة أو السابعة في نهاية اليوم الدراسي والتلاميذ آنذاك مثقلون بثقل اليوم الدراسي، وأعصابهم مرهقة ينتظرون الصيحة الأخيرة صيحة الجرس (...) وهم في هذه الحالة من التوتر العصبي يأخذون حصة الدين ولمن تعطى حصة الدين؟ لأعجز مدرسي اللغة العربية (...) هو أولا مدرس لغة عربية من الذين أنصبت عليهم نقمة دانلوب، ثم هو أضعفهم بدناً، فيتمثل الدين في نفس الصبي بالنفور من ثقلة الدرس وصورة المعلم»(١٠). شأنها – أي الدروس الدينية في المعاهد – شأن الحصص الدينية التي تعرض على شاشات التلفاز، والتي وصفها الأستاذ أحمد محمود أبو زيد في (العدد ٣٢١) من مجلة (الوعي الإسلامي)، فقال: «وإذا ماقدم التلفاز بين برامجه المتعددة والمتنوعة برنامجاً دينيا، فإنه يقدم بشكل تقليدي ليس فيه حيوية ولاجذب للمشاهدين، ثم يقدمه في وقت ميت يقل فيه إقبال الجمهور على هذا الجهاز، ولايقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد القائمين على برامج التلفاز يهملون البرامج الدينية إهمالا شديدا، ولاينفقون عليها إلا جزءاً ضئيلا من المال والوقت، في الوقت الذي ينفقون فيه ببذخ شديد على أفلام الإثارة والمسلسلات الهابطة ذات المضمون الهدام، وقد لمست ذلك بنفسي في تلفاز بعض الدول العربية العربية الذي تهمل فيه البرامج الدينية الجادة عمدا كماً وكيفاً ونوعا».

تأسيس إعلام إسلامي متطور

لابد أن نبادر ببناء إعلام إسلامي متطور، مجهز بأحدث تكنولوجيا الإعلام، يكون من مهامه:

> ■ على الواعين التنبيه إلى خطورة الحركات التغريبية التي تعمل على ضرب الإسلام من الداخل

١- تنبيه المسلمين إلى خطر التحدي الذي يواجه أمتهم، والمتمثل، ليس في وجود فئة من «الرجعيين والمتعصبين» في هذا البلد أو ذاك كما تروج لذلك وسائل الإعلام المأجورة وإنما يتمثل أساساً في التناقض الجذري والعميق بين الأوضاع القائمة في العالم الإسلامي، المتأثرة – إلى حدما – بإرث الثقافة الاستعمارية، وضمير هذه الأمة وثقافتها وتاريخها، وضرورة أن يكون هذا التحدي قائماً في نفس كل منا وعقله لايغيب لحظة، فلاينظر في أمر من أمور الثقافة والفكر والاجتماع إلا وهو مستحضر ذلك الخطر الذي ترمي إليه القوى الطامعة في بلادنا والتي ترى أن خير وسيلة لاحتوائنا هي استقطاب فكرنا.

٢- نشر الفن النظيف(مسرح، أغان، أفلام، شعر، قصة، الخ..) الذي ينطلق من روح إسلامية قوامها عقيدة التوحيد الملتزم حدود الإسلام، المتقيد بشرائعه، الذي يعالج قضايا من واقع المسلمين ومشكلاتهم في إطار نظرته العامة الواسعة إلى الكليات الكبيرة، الذي لايزيف الواقع ليخرج من مسؤولية الحياة إلى خداع الخيال، الذي يحمل وظيفة كبيرة، ويدعو إلى فكرة كبيرة، ويدافع عن فكرة كبيرة.

٣- تمكين الصادقين من الكتاب والمنتجين الذين رفضتهم المنابر الإعلامية الموجودة بضخامة على الساحة، والتي لم تفتح أبوابها إلا لأصحاب الدعوات المشبوهة والعاملين ضمن نشاط الدوائر الاستعمارية، تمكين هؤلاء الكتاب والمنتجين من نشر أفكارهم الإسلامية بعيداً عن ردود الأفعال المتشنجة التي تدفعهم إليها أبواق الدعاية المعادية، ومن التعريف بهم وبأعمالهم لدى العامة.

٤- فضح المآسي التي جنتها علينا رغبتنا في تقليد الغرب والتي انتهت بنا إلى التمزق بدل الوحدة، والفقر بدل الغنى، والانحلال بدل العفة، والتبعية بدل التحرر، والشك بدل اليقين.. بل إن الغرب نفسه قد ضاق ذرعاً بفلسفاته ونظرياته على الرغم من أنها صنعت على مقاييس بيئته وظروفه، لأنها لم تهده إلى حق في شأن القلب، أو إلى ضوء في شأن العقل، أو إلى سكينة في شأن النفس، لأنها فقدت الإيمان برسالة الإنسان ساعياً في الحياة، مريداً، ملتزماً بالأخلاق، مؤمنا بالبعث والجزاء.

يقول: «أوزفالد شبنجلر» في كتابه« سقوط الغرب»، « إن الحضارة مشرفة على عهد انحطاط وتدهور، وإنها تعاني أعراض الشيخوخة، وانحلال الفناء.. إن أوروبا ستقضي على حضارتها التي هي بمثابة عملاق يترنح بفعل الخمر والمرض والانحلال»، وهذا زكي نجيب محمود الذي لايتهم في تغربه يقول: « إننا لنبصر بأعيننا ونلمس بأيدينا كيف انتهى العلم الطبيعي وهذه الصناعة، إلى حالة من العرج الحضاري فكأنما هي تحجل على ساق واحدة حتى لقد أعلنوها صريحة بأنهم لم يعودوا يطيقون العقل والمعقول، وأندفعوا وراء اللا معقول والعبث» (١١).

ولانريد لكلامنا هذا أن يفهم منه أنه استنقاص واستصغار لمنجزات الغرب في ميدان الفكر والثقافة والاجتماع، بل لعل مانسمعه من صحيات الفزع والتحذير التي يطلقها علماؤه، دليل على العافية التي مازال يتمتع بها هذا الغرب.. ولانريد لحديثنا عن انحدار الحضارة الغربية أن يغدو مروحة صيف في يوم قائظ، تغرينا بالنعاس من جديد.. ذلك أن انهيار الغرب وامتداداته في العالم الإسلامي لايعني أن أوضاعنا جيدة وأننا سنكون بالضرورة نحن الوارثين، إلا إذا كنا واعين بمشكلات عصرنا، قادرين على حلها في الإطار الإسلامي، فإنما يقود العالم أصلح من فيه ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء:١٠٥] ..

ولا نريد أن يفهم من حديثنا أنه دعوة إلى أن نغلق أبوابنا أمام منجزات الحضارة الغربية، ورفضها جملة وتفصيلا، معتبرين كل مايرد علينا – حتى وإن كانت سلعتنا ردت إلينا– كفراً يحرم قبوله والاستفادة منه، لأن هذا الموقف هو جهل..

أولا: بحقيقة الإسلام الذي لايمنع المسلمين من الاستفادة بما توصل إليه غيرهم من علوم مادية وتطبيقية وتقنية ومن أساليب حديثة في الحكم وفي إدارة المجتمع، ليكونوا في مركز الأقوى دائماً.. وهو جهل..

ثانيا: بأن العزلة بين الحضارات والثقافات أصبحت أمراً مستحيلا على أثر الثورة العظيمة في وسائل الاتصال.. وهو جهل. ثالثا: بأن مثل هذا الموقف سيحول الإسلام إلى حدث خارج التاريخ الإنساني، أي إلى منهج طوباي مغرق في مثاليته وفي تجريده وفي تجاهله لوقائع التاريخ، ويحول المسلمين إلى صنف يختلف تماماً عن سائر الناس مقطوع الصلة بتيار الحياة الذي يخوض فيه جميع الآخرين من الناس والشعوب.. وإنما الذي نريد أن نقوله إن بقاء أمتنا – وكذا كل أمة – واستمرارها لايتم إلا بالمحافظة على العناصر المكونة لشخصيتها والمانعة لها من الذوبان في كيانات أخرى، وإن مرحلة التفتح – في شكله العام – لاتأتي إلا بعد أن تتم مرحلة التكوين الحضاري الذي يجب أن يتم بعيدا عن المؤثرات الخارجية.

٥– التنبيه إلى خطورة الحركات التغريبية التي تعمل على ضرب الإسلام من الداخل، وقدرتها على تغيير جلدها كلما انكشفت خطتها أو واجهها الفشل، فتتشكل في صورة جديدة.

وقد رأينا في العقود الأخيرة، عندما بدأت الحقيقة الإسلامية تفصح عن كنوزها وتشرق بأنوارها على عالم الضياع والدمار فتهفو إليها القلوب وتشرق بالأمل، ولم يستطع الغرب بأسلحته التقليدية ترويضها أو تطويعها، رأينا قادة الغزو الفكري في أوطاننا يغيرون أسلوب التعامل معها، ويروجون لكتب ومقالات تتمسح بالإسلام وتدافع عنه، فتصفه بأنه دين تقدمي، أو اشتراكي، أو ديمقراطي، وتنادي لإسلام يساري ولمسلم شيوعي، وهي مستعدة اليوم لأن تغير جلدها مرة أخرى بعد أن فشلت الشوعية في أوطانها وانحسر مدها..

وقد رد الأستاذ محسن الميلي في كتابه «ظاهرة اليسار الإسلامي» على مثل هذه الحركات فقال: «وهي ظاهرة وإن ادعى أصحابها أنها حركة تصحيحية تريد القيام بنقد ذاتي للحركة الإسلامية المعاصرة، فإنها لاتعدو أن تكون تلفيقا بين الإسلام والماركسية «كما حاول غيرهم التلفيق بين الإسلام والليبرالية»، ولاتعدو أن تكون حيلة افتعلها الفكر المتغرب بعد إحساسه بفشله في العالم الإسلامي، فأدركت أن معاداة الدين جهاراً نوع من السذاجة وقلة الذكاء، فأظـ–هر التعاطف مع الإسلام لرفع تهمة الإلحاد عنه وللمفاداة بالتجديد على أساس الماركسية بخلاف الاعتقاد الإسلامي اعتبار الدين قضية شخصية».

٦– التعريف بحقيقة الصحوة الإسلامية ودحض مالحقها من شبهات – في مقدمتها تهمة التطرف – روج لها الإعلام المعادي الذي نجح في استغلال ماترسب في تراث الجماهير المسلمة وواقعهم من كره لكثير من المفاهيم كالفتنة والتمزق والتكالب على السلطة والتأخر والعنف، فعمد – الإعلام المعادي – إلى تحريك ذلك الرصيد من الكره في العقل الجمعي لهذه المفاهيم، اجتهد عن طريق التكرار المتنوع والمدروس ليوجد ارتباطا شرطياً بين هذه المفاهيم وبين الدعوة الإسلامية ورجالها، قصد تخويف الجماهير المسلمة المستهدفة بعملية التغيير من ظاهرة الصحوة، وقصد دفع السلطة الحاكمة لضربها والتصدي لها (١٢).

٧– تقريب وجهات النظر وتضييق فجوة الخلاف بين العاملين للإسلام، بعدما انتقلت جرثومة التمزق وطغيان الحزبية الضيقة البغيضة إلى سفينة الإنقاذ، فحول الاختلاف في الرأي، الذي يعتبر مكسباً لابد من استثماره، إلى أزمة في الثقة، وحول الدعوة إلى مذهبية ضيقة تجعل من أقوال الشيخ أو الزعيم ومن مواقفه المقياس النهائي للحق والباطل، فنكون بذلك قد ساهمنا في إنجاح خطة الاستعمار الذي ما انفك يعمل على إجهاض كل عمل تحرري بخلق وحدات كفاح جزئية مكان وحدة الكفاح الشاملة ليحدث الهبوط في المستوى الروحي فتتبدد القوى المكافحة وتنحرف المعركة (١٣).

هذه في تقديري أهم الخطوات التي يجب إن نبادر بها ونحن نسعى لننزيل عن شخصيتنا الحضارية ماتراكم عليها من غبار عصور من الانحطاط والتبعية، وهي دعوة أوجهها إلى الصادقين من ولاة أمور المسلمين – حكاما وعلماء – الذين يؤلمهم حال أمتهم ذات الإمكانات الحضارية الكبرى. وإنه عمل غير يسير مافي ذلك شك، ولكن مرة أخرى نقول إن إيماننا بقدرة المارد الإسلامي على تحطيم القيود وكسب معركة التحدي يجعلنا نؤكد أن غداً لناظره لقريب☐

الهوامش:

١) الإسلام في معركة الحضارة، منير شفيق.

٢) مجلة المعرفة، العدد، ٧ السنة ٥، التكوين العقائدي أولا.

٣) إطار إسلامي للفكر المعاصر، أنور الجندي.

٤) مجلة المعرفة، العدد ٥، السنة ١:٢، التطور = احتفاظ + تجاوز .

٥) مجلة الأمة، العدد ٨٦، الأصالة والمعاصرة.

٦) نقلا عن: إطار إسلامي للفكر المعاصر.

٧) التربية والتحديث في تونس، نور الدين العرباوي.

) الجامعة الزيتونية والمجتمع التونسي (بالفرنسية)، محمود عبد المولى.

٨): مجلة المعرفة، العدد١، سنة ١٩٧٣، برامج الفلسفة وجيل الضياع.

٩) انظر: إطار إسلامي للفكر المعاصر.

١٠) مجلة المجتمع الكويتية، العدد ٣٤١.

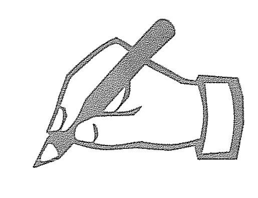
١١) ثقافتنا في مواجهة العصر، زكي نجيب محمود.

١٢) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي. وفيه يعرض صورة مفصلة غير التي ذكرنا، لما يقوم به الاستعمار من حيل شيطانية قصد عزل الفكرة ورجالها عن الجماهير.

١٣) انظر ماكتبه مالك بن نبي في الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، بتفصيل جميل عن أساليب الاستعمار لتحطيم الجبهات المعادية له في البلاد المستعمرة.

*) قال أحد الدكاترة الضيوف في برنامج (في ظلال الحضارة) أذاعته التلفزة التونسية بتاريخ ٢٨/١٢/٩٢م: (إن تطبيق الشريعة يعد خرقا للمبادىء العالمية لحقوق الإنسان). وذكر دولتين مسلمتين شرعتا في تطبيق الشريعة تتصدران قائمة الدول الخارقة لحقوق الإنسان، ومصدره في ذلك مجلة تصدر في سويسرا.

الشباب والانحراف



بقلم
د. صلاح الدين أرقه دان

ترتفع على سطح الساحات الإعلامية والتربوية والاجتماعية والنفسية والأمنية صيحات التحذير من ظواهر انحراف الشباب، وتكاد المجتمعات جميعاً تشكو من ذلك ولكن بنسب مختلفة، فالدول الصناعية تشعر بالخوف على مستقبلها لأنها لا ترى في شبابها المعاصر ما تصبو إليه من شعور بالمسؤولية واهتمام بالإنتاج وعمل جاد للحفاظ على القيم، وبالمقابل ترى بين صفوفه تفشي الإدمان والأمراض الجنسية وما يتبعها من تفكك وانحراف وجريمة وحوادث سير تملأ أعمدة الصحف اليومية، وتطال في بعض الدول علية القوم..

وتحمل الحضارة الأوروبية بواقعها ومجمل أدائها وقيمها السائدة المسؤولية المباشرة عن هذا الجانب الخطير، الأمر الذي لا يخفيه الدارسون الاجتماعيون الغربيون أنفسهم، ولا علماء النفس المختصون، ويولون الحلول المقترحة عناية خاصّة ينشرونها في المؤتمرات المتخصصة والمقالات الصحفية، ويناقشونها في المنتديات والمناظرات ذات العلاقة..

وبالمقابل، تشكو مجتمعاتنا الإسلامية من مشاكل الشباب، وإن كانت الأسباب مختلفة عما هي عليه في الغرب، بسبب اختلاف الثقافة والبيئة والظروف، ومن الملاحظ تركيز أجهزة الاعلام مؤخراً على الشباب المسلم بشكل خاص، من بروز التيارات الفكرية المنحرفة، ومن شيوع بعض المفاهيم المخالفة للفكر الصحيح، مشيرة إلى حوادث متفرقة تقع هنا وهناك،وأغلبها مما يمكن معالجته وتفهّم أسبابه، وقد يصل بعضها إلى درجة خطيرة في استخدام العنف أو مقدّماته.. والسؤال: كيف يمكن تحصين الشباب من هذه التيارات والمفاهيم المنحرفة؟

وتيارات الفكر المنحرف ليست ظاهرة مختصة بعصرنا وحده، فقد عرف التاريخ الإسلامي خلال مسيرته الطويلة كثيراً من الأفراد والفرق المتطرفة والمنحرفة، كما ظهر في بعض أبنائه عوارض التهاون في الاعتقاد، والمفهوم، والتعبّد، والتعامل مع الواقع، ووقع بعض المسلمين بين إفراط وتفريط، ولكل ذلك أسباب أدّت إلى ظهوره، ولا بد من سبل معالجة لإعادة الأمور إلى نصابها..

ولقد درست جهات مختصة - رسمية وعلمائية - هذه الظاهرة واقترحت لها حلولا، وربما قام بعضها بخطوات عملية في هذا الاتجاه، ويبقى الباب مفتوحاً أمام مساهمات الغيورين لإلقاء مزيد ضوء على أسباب ظاهرة الانحراف الفكري والسلوكي عند الشباب المسلم الملتزم، وسبل معالجتها، ونحن فيما يلي نركّز على محورين اثنين أحدهما يتعلّق بالشباب نفسه، والآخر بالظروف التي تحيط به، ولا ندعي أن الأسباب محصورة في المحورين المذكورين فقط..

ونرى (الجهل) على رأس أسباب الانحراف الفكري، فالإنسان عدو ما جهل، ولذلك كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وكان الحماس والاندفاع في طريق إبراز الشعار الإسلامي لا يكفي وحده إن هو ابتعد عن العلم الشرعي الصحيح، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلمّا أُخبروا كأنّهم تقالّوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أُفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطر وأُصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب

عن سنتي فليس مني»..

فجهل هؤلاء دفعهم، من حيث لا يدرون، بل من حيث يظنون أنهم يحسنون، إلى الوقوع فيما نهى الشرع عنه من الإجهاد في العبادات، والزهد الموهوم في متاع الدنيا، والإعراض عمّا أحلّ الله.. وكان موقف النبي ﷺ كالعادة، تعليم الناس الخير، وهو الأسوة الحسنة لكل من أراد الله واليومَ الآخر.. ولا يقضي على الجهل سوى العلم، والعلم الصحيح على وجه التحديد، وهذا يحتاج إلى صبر من العالم ومثابرة من المتعلم، ولقد يسّرت وسائل العصر الحديث آليات نشر العلم والمعرفة، عن طريق أجهزة الاتصال المتطورة، من التلفاز والمذياع بالإضافة إلى المجلات والصحف والكتب وأجهزة الحاسوب الآلي (الكومبيوتر)، وأصبحت المدارس والمعاهد والجامعات، بالإضافة إلى الدورات والمحاضرات وحلقات المساجد، في متناول الجميع من ذكر وأنثى، والمسلم في أقاصي الأرض بات وكأنه في حضن الوطن باستخدامه لما ذكرنا، ولكن يبقى على أهل العلم والمسؤولين أن يقدّموا هذا العلم بالشكل السليم الجذّاب، فلا يصحّ أن يكون مروجو البضائع والمعلنون والمسوّقون للسلع المختلفة أكثر قدرة وكفاءة من الدعاة إلى الخير..

والتسويق والدعاية والإعلان، تتشابه والدعوة ونشر الفكر من أوجه على رأسها توظيف الرغبات والجواذب لشدّ الانتباه؛ ومن ثمّ التهيئة للتلقي والقبول، فما زالت طرق ومناهج الدعوة الاسلامية، والتعليم الديني على وجه الخصوص، تقليدية بعيدة إلى حد ما عن أسباب الجذب والارتباط بالإنسان وحاجاته، وكثير منها يلقى وكأنه خطبة جمعة على منبر، تأخذ طابع التوجيه المباشر، مستخدمة أسلوب الوعظ والإرشاد، وكثيرا ما يعتمد النجاح أو الفشل في العرض على المدرّس أو المعلّم، فتتفاوت الصورة والنتيجة بين مدرّس وآخر، كما تختلف الانطباعات بين فصل دراسيّ وآخر..

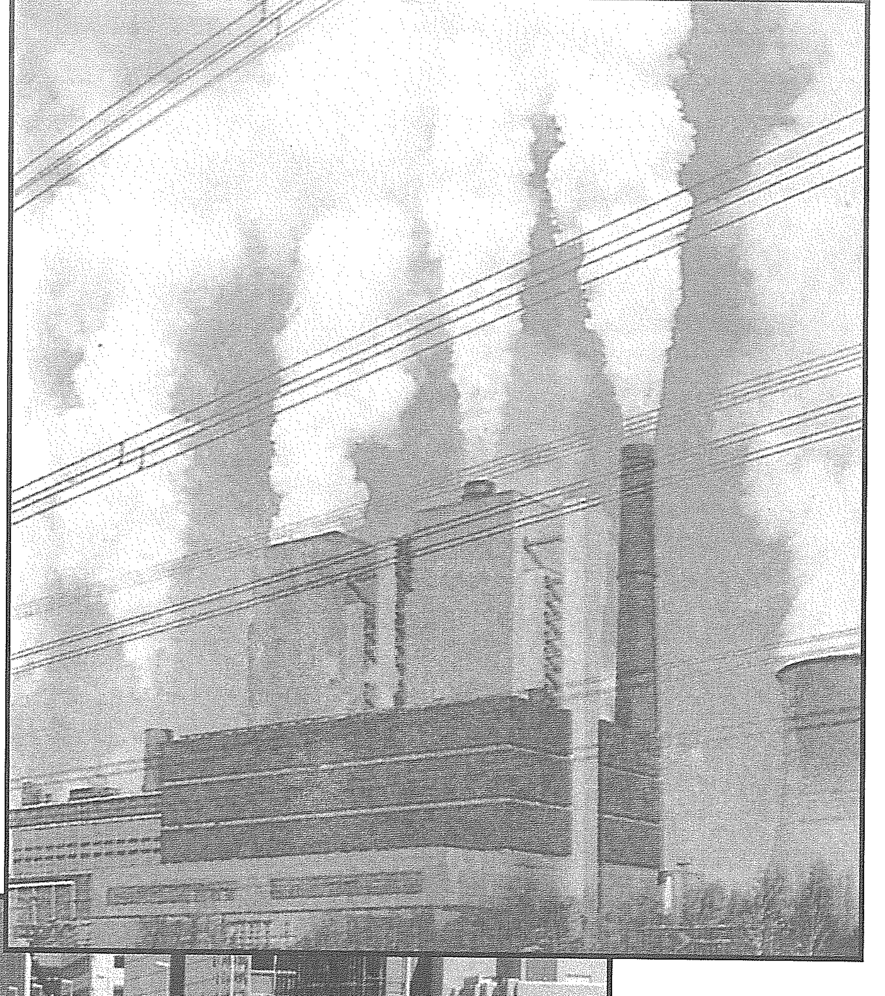
حتى المسرحية والتمثيلية والفيلم الديني ما زال دون مستوى الأعمال الفنية التوجيهية في الطرف المقابل، فكم من فرد أو أسرة أغلقوا التلفاز أو غيروا قناة البث بمجرد الإعلان عن البرنامج الديني، وبالمقابل كم من طفل أهمل دراسته وطعامه وشرابه منصرفاً إلى فيلم الرسوم المتحركة بألوانه الزاهية ومواقف الإثارة والمغامرة، يحمل مع هذه الجواذب الأفكار الهدّامة ومفاهيم العنف وسواها..

نحتاج باختصار إلى تغيير طرق الطرح، ونحتاج توظيف ما توصّلت له التجربة مع النفس البشرية في ميدان نشر الفكر الإسلامي والمفاهيم القرآنية، وهي مهمّة تحتاج تضافر جهود تجمع بين المسؤولين والعلماء والتربويين والإعلاميين، فهي عملية متكاملة ذات دورة محددة وواضحة..

ومن أسباب الانحراف الفكري، وقدرة أصحاب التيارات المنحرفة على جذب الشباب واستيعابهم وتعبئتهم؛ وربما توجيههم للقيام بما لا تحمد عقباه؛ فقدان (الحوار) الحر البعيد عن الخوف والرهبة، فمن لم يطمئن على نفسه، ولم يأمن جانب السلطة السياسية أو الدينية يحتاط فيتشرنق وينمو فكره بعيدا عن الواقع، ومَثَلُه كمَثَل الذي ينشأ بعيداً عن الشمس والنور والهواء الطلق حبيسَ المباني الأرضية، فلا يُتَصوّر أن يمتلك جسماً سليما ولا جوارح معافاة، وكذلك من ينشأ في جو من الخوف والحذر والترقب الفكري لا يمكن أن نتصوّر سلامة فكره ومنهجه، ومثل ذلك من لم يجد فرصة إبداء الرأي وإعلان مكنون نفسه لأي سبب من الأسباب الخارجية..

ومن الملاحظ في سيرة النبي المصطفى ﷺ حرصه على معايشة الشباب والاستماع إليهم، وإفساح المجال ليسمعوا حواراته داخل المسجد مع الوفود ومنها وفود مشركين ويهود ونصارى ومجوس وغيرهم، بل من الملاحظ أن القرآن الكريم ذكر حجج المشركين، وتطرق إلى حجج إبليس وحواره مع آدم، تعليماً لنا وتوجيهاً إلى أن الكبت والكتمان ليس الطريق السليم الموصل إلى الحقيقة، وتنبيهاً على أن المجتمع المسلم يثق في نفسه وفي عقيدته وفي منهجه بما لا يدعو إلى التخوّف من الآخرين وآرائهم، حتى لو كانت آراء شرك وعقائد كفر، ما دامت الحجة تقارعها الحجة، وما دامت الفرصة متوفرة للجميع ليدلي بدلوه بعيدا عن مؤثرات الإكراه والتزييف..

ولابد من الإشارة هنا إلى أن معايشة الواقع تبعد الفرد والجماعة عن التنظير المثالي، الذي أدّى بكثير من الأفراد والحركات إلى ما نراه في واقع اليوم الأليم، والمثالية ليست مرذولة لذاتها، ولكنها إن انفصلت عن الواقع أدت إلى عالم خيالي أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة، عالم لا علاقة له بالحقائق الملموسة ولا التجربة الحية المُعاشة، ولا بحاجات الإنسان وطاقاته وقدراته، والشباب في سعيه إلى التغيير قد يستثقل الانتظار، ويرهقه التدرج، فيرى الأمور من زاوية تختلف عما يراها منه أهل العلم والبصيرة، فتدفعه حسن النية المنفصلة عن التجربة الحية، المرتبطة بالحياة إلى ما نراه من تخبط، وتكون النتيجة على خلاف ما تقرره المصلحة الشرعية وإلى خلاف ما يسعى إليه الفرد نفسه، بعيدا عن الحكمة، وهل الحكمة إلا معالجة الواقع الفكري أو المادي بالتي هي أحسن، بما يحقق الهدف المنشود ولا ينفر عنه؟



كانت تأخذنا الدهشة، ويمتلكنا العجب عندما ننظر من أعلى إلى شوارع المدينة وأبنيتها التي تلفها غماقة رمادية من الضباب الدخاني، ومع مرور الزمن وازدياد معرفتنا أصبحت تأخذنا الشفقة على هؤلاء الأطفال الذين يعيشون في هذا الوسط الحضري، فالضباب الدخاني هذا، ما هو إلا نتاج عوادم السيارات التي تجوب شوارع المدينة بأعداد كبيرة وباستمرار، وفي هذا الضباب الدخاني ترتفع نسبة الملوثات البيئية، ولعل أهم هذه الملوثات هو عنصر الرصاص الذي تتراوح نسبة كثافته في المناطق الحضرية بين ١ - ١١٠ ميكروجرامات في كل متر مكعب من الهواء، وتنخفض النسبة كلما ابتعدنا عن المدينة، حتى تصل إلى ١ ميكروجرام/م٣.

أما اليوم فقد ازدادت أهمية التلوث بالرصاص وتابع العالم بأجهزته ووسائله المختلفة هذه القضية البيئية المهمة حتى أثارت الصحف اليومية قضية الرصاص في برادات مياه الشرب في المنازل، حيث أصدرت وزارة الصحة الكويتية بيانا حذرت فيه المواطن من استخدام برادات مياه الشرب المصنعة محليا.



الرصاص القاتل الخفي

*باحث في تنمية الموارد البيئية

بقلم: د. عواد جاسم الجدي*

وقال البيان: إنه إثر قيام وزارة الصحة بعمل تحليل لعينات من مياه الشرب، وجد أنها تحتوي على نسبة من الرصاص، وبالتحري عن سبب ذلك اتضح أن ملف التبريد المغمور مباشرة في مياه الشرب لتحقيق تبريد أسرع وتقليل استهلاك الطاقة، هذا الملف مطل في بعض الأحيان بمادة القصدير، حيث يحتوي على نسبة من الرصاص، ومع الزمن تتآكل مادة القصدير وتذوب أملاح الرصاص في الماء.

فما هذا العنصر؟ وما هي الحدود الدنيا الضارة لوجوده في جسم الإنسان؟ وما هي الأضرار التي يسببها تراكمه في الأحياء؟ وكيف يتم وصوله إلى جسم الإنسان؟

الرصاص عبر التاريخ

عرف الرصاص منذ القدم، واستخدمه الإنسان استخدامات مختلفة، وتحدثنا كتب التاريخ عن استخدام الرومان لهذا العنصر الذي أدى - كما تبين فيما بعد - إلى زوال مملكتهم وحضارتهم، فصنعوا منه أواني الطهي، وأوعية الطعام، وكؤوس الشراب. وصنعوا منه ألواحا تسقف بها مبانيهم، وأنابيب لنقل المياه إلى قصور وبيوت الطبقة الحاكمة.

وسلط الله عليهم لعنة الرصاص من خلال النبيذ الذي كانوا يخزنونه في أوعية فخارية، مبطنة بالرصاص، وبمرور الزمن يتأكسد النبيذ تأكسدا جزئياً، وينتج عنه بعض الأحماض فتذيب هذه النواتج الحمضية الرصاص ويختلط مع النبيذ، وبذلك يجد طريقا سهلا إلى أجسام الشاربين.

ويربط أصحاب هذا الرأي بين افتراضهم العلمي هذا، بما سجله التاريخ من كثرة ما كان يولد ميتا من أطفال «الطبقة العليا والحاكمة»، كذلك بانتشار حالات الجنون والصرع في أفراد الأسرة الذين يبلغون سن الرشد، ويربطون ذلك أيضاً بوفاتهم المبكرة حيث تدل الدراسات على أن متوسط عمر أفراد هذه الطبقة كان لا يتعدى ٢٥ سنة، ويؤكد العالم الكندي «جيروم فير ياجو»، مدير معهد بحوث الماء في أونتاريو تلك الحقيقة، وذلك بالدراسة التي نشرها عام ١٩٨٧، ويشير إلى نهاية كل من «كلوديوس» الذي كان يعاني من أرق دائم، واضطراب في معدته، و«كاليجولا» الذي وصفت تصرفاته بالشذوذ، واتسمت قراراته بالعبثية إلى «نيرون» الذي أصيب باضطراب عقلي. فكان وباء الرصاص بمثابة سوسة وئيدة الخطى نخرت بنيانهم، وهدته تدريجيا، وعجلت في زوال إمبراطوريتهم.



الرصاص في بيئتنا

هذا ما جاء عن الأقدمين وقصصهم، ولكن الرصاص الذي يستخدم اليوم في صناعات مختلفة يفوق رصاص الدولة الرومانية أضعافاً مضاعفة فقد تجاوز الإنتاج العالمي للرصاص ٥,٥ مليون طن، وهو يوجد بشكل طبيعي في التربة والمياه، والنبات، والحيوان، على الرغم من أنه لا يعتبر عنصرا غذائياً، ويدخل الرصاص في العديد من الصناعات الحديثة، كأنابيب المياه التي تستخدم لجر المياه إلى المنازل وبعض المزارع، وفي العديد من الصباغات التي تطلى بها جدران المنازل والمباني، كذلك يدخل في صناعة البطاريات والمبيدات الفطرية والحشرية والمعجون الذي تثبت به الألواح الزجاجية في الأطر، والمادة التي تستخدم في اللحام الجانبي لمعلبات الأغذية، وتحتوي حروف الطباعة على رصاص، وحتى صناعة الذخيرة، يدخل فيها الرصاص، وهو كذلك في القوارير وأطباق المائدة، ويعرفه صناع الخزف، كما أن لصناعة الكريستال خبرة فيما يفعله أكسيد الرصاص في منتجاتهم حينما يحلل إلى أطيافه الزاهية البراقة، ويدخل الرصاص في كثير من مستحضرات التجميل كأصباغ الشعر، والكريمات، والكحل، والعديد من المنتجات الأخرى التي تدخل في صميم حياتنا اليومية.

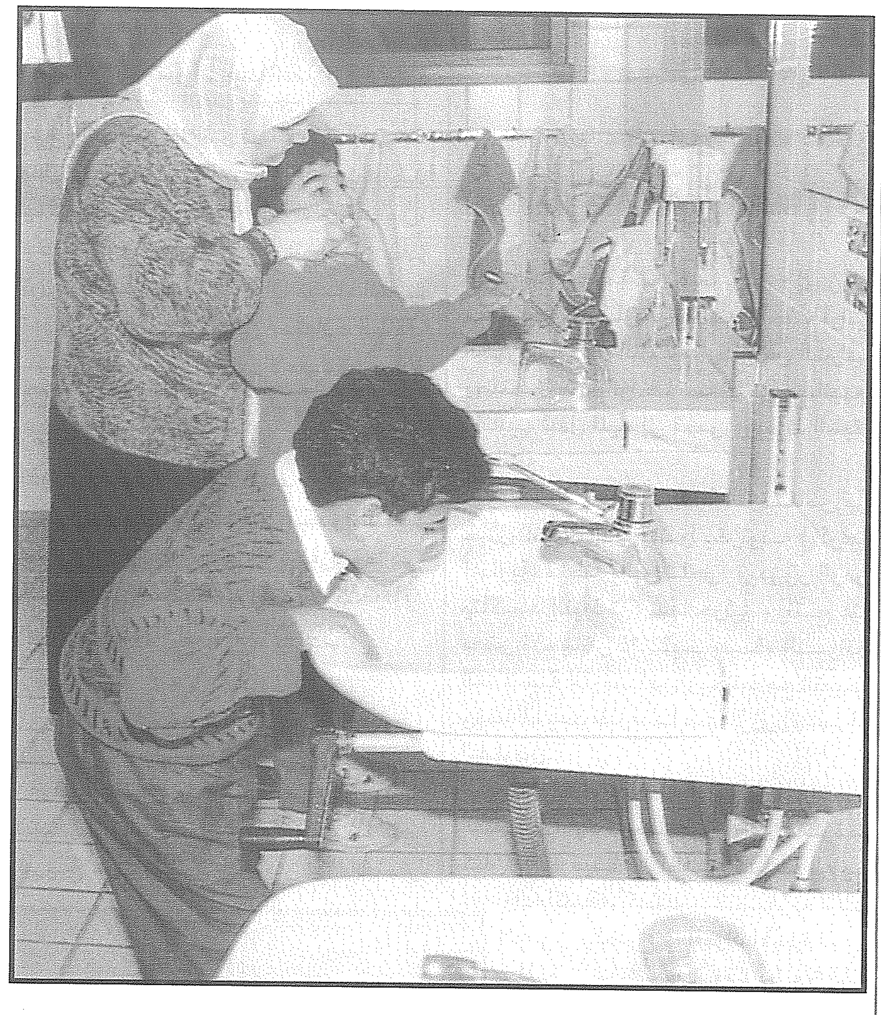
وللدلالة على ازدياد واستخدام الرصاص نشير إلى أن إنتاج العالم منه قد ازداد عام ١٩٦٠م إلى ستة أضعاف عما كان عليه سابقاً.

■ تقدّر الدراسات البيئية المختلفة أن عوادم السيارات التي تنفث الدخان هي المسؤولة عن ٨٠٪ من إجمالي الرصاص الموجود في الهواء

عوادم السيارات السبب الرئيسي

وقدرت الدراسات البيئية المختلفة أن عوادم السيارات التي تنفث الدخان هي المسؤولة عن ٨٠٪ من إجمالي الرصاص الموجود في الهواء، ويعود ذلك إلى مركبات مثل رباعي إيثيل الرصاص Lead tetra-ethyl، ورباعي ميثيل الرصاص Lead tetramethyl التي تعمل على زيادة فاعلية الاحتراق في المحرك، والحد من عملية الخبط

الرصاص
القاتل الخفي



والفرقعة التي تحدث داخل محركات السيارات، نتيجة لتبادل أشواط الاحتراق في المحرك الواحد، وبعد اكتشاف هذه المركبات أضيفت إلى وقود السيارات (بنزين)، إما مركب لمفرده أو الاثنان معا. ولكن نجاح الفكرة لم يدم طويلا إذ سرعان ما عرف الخبراء أن الوقود المرصص «الذي أضيف إليه أحد المركبين السابقين أو كليهما»، يحترق في آلات الاحتراق الداخلي، وتتأكسد مكوناته وينتج أكسيد الرصاص ضمن ما ينتج من عوادم السيارات.

كذلك عرفوا إمكانية ترسبها داخل جدران المحرك، فأضافوا مادة «بروميد الاثيلين» إلى البنزين لمنع الترسب حيث تتفاعل هذه المادة مع رصاص الوقود المرصص لتتحول إلى مادة جديدة هي «بروميد الرصاص» وهي مادة متطايرة تخرج من غازات المحرك الساخنة وتترسب بعد ذلك مزودة البيئة بإضافات جديدة من الرصاص.

لقد حددت منظمة الصحة العالمية وهيئات حماية البيئة أعلى حد لإضافة مركبات الرصاص إلى البنزين وهو ٠,٨٤غ لكل ليتر من البنزين ولكن دولا عديدة خطت خطوات عملية لتخفيض هذا الرقم كثيرا أملاً بالوصول إلى إزالة هذا العنصر نهائياً من البنزين من خلال تحسينات تدخل على المحرك للمحافظة على أدائه وقوته وسرعة اندفاع السيارة، وفي مارس عام ١٩٨٥م، أعلنت منظمة حماية البيئة العالمية تخفيض نسب الرصاص المضاف إلى البنزين على النحو التالي:

- لغاية يوليو ١٩٨٥ تخفض الكمية إلى ٠,١٣ غرام/ليتر.
- لغاية يناير ١٩٨٦ تخفض الكمية إلى ٠,٠٣ غرام / ليتر.
- لغاية يناير ١٩٨٨ تخفض الكمية إلى ٠,٠١ غرام / ليتر.

واتخذ المسؤولون في دول متقدمة كاليابان والسويد وبريطانيا وفرنسا واليابان إجراءات مماثلة، وذلك للحد نهائيا من إضافة الرصاص إلى البنزين.

■ الرصاص أهم الملوثات البيئية المعاصرة، وتتراوح نسبة كثافته في المناطق الحضرية ما بين ١ - ١١٠ ميكروجرامات في كل متر مكعب من الهواء

والجدول (١) يبين كمية الرصاص المضافة إلى البنزين في بعض الدول الأوروبية وذلك عام ١٩٨٣، والخطة للتخلص منها حتى عام ١٩٩٠.

ويبين الجدول (٢) مواصفات البنزين في دول الخليج.

إن عملية الاستغناء عن إضافة مركبات الرصاص في مصافي البترول ومصانعه لإنتاج البنزين عالي الكفاءة، وإن كانت مكلفة وتتطلب جهودا إضافية إلا أنها مفيدة بيئياً وتستحق التطبيق والسعي في تنفيذها لحفظ وحماية البيئة من هذا الملوث الخطير.

ووسيلة للحد من انبعاث الملوثات الغازية الأخرى لأن معظم الوسائل المستخدمة عالمياً للحد من انبعاث ملوثات السيارة تتعطل بوجود مركبات الرصاص وتجري الآن في دول عديدة من العالم أبحاث لإيجاد وقود بديل للبنزيل ففي البرازيل وكوبا مثلا يستخدم الايثانول وعلى نطاق محدود كوقود للسيارات بديلا للبنزين كما تمت إضافة بعض المواد الأخرى التي لا تحتوي على الرصاص لرفع كفاءة

البنزين في المحرك مثل مادة ميثيل ثلاثي بيوتيل الأثير M1BE.

وخطورة الرصاص تعود إلى بقاء دقائقه في الوسط البيئي مدة طويلة دون أن تتحلل وإمكانية انتقالها من مكان إلى آخر لتصل في النهاية إلى جسم الإنسان. لقد وجد العلماء أن مادة بروميد الرصاص المتطاير تكون مع الهواء معلقاً دقيقاً يبقى زمنا طويلا في هواء الشوارع المزدحمة وتعرضنا المستمر له يجعله من المواد التي تمتلك فرصة التراكم في أجسامنا فإذا ما علمنا أن الليتر الواحد المحترق من البنزين يعطي غازات ينفثها العادم تحتوي ضمن مكوناتها على ملليجرام واحد من الرصاص لأدركنا خطر هذا الملوث خاصة في المدن و المناطق الصغيرة المزدحمة بأعداد كبيرة من السيارات.

ومن المفيد ذكره أن الهواء و الضباب المشبع بملوثات الرصاص لا يقتصر وجوده على أجواء المدن فقط، بل ينتشر إلى مسافات بعيدة، فمنذ سنوات رصد البيئيون في جليد القطب الشمالي «جزيرة غرينلاند» نسبة من الرصاص بلغت ثلاثة أمثال نسبتها منذ ثلاثين عاما.

يدخل الرصاص إلى أجسامنا عن طريق الطعام الذي نأكله والهواء الذي نتنفسه ووجد العلماء أن ٩٠٪ من الرصاص النافذ إلى الجسم يأتي عن طريق الطعام والباقي عن طريق الهواء، وتشكل الأغذية التي نتناولها خاصة الملوثة المصدر الأساسي للرصاص فلقد أثبت العلماء قدرة الخضراوات الورقية والفواكه على اختزان كميات من الرصاص إذا كانت مزروعة في بيئات ملوثة خاصة تلك الحقوق المزروعة بالقرب من مصافي النفط أو طرق المواصلات المزدحمة بالسيارات.

وعلى سبيل المثال تكون ثمار الطماطم والجزر أقل في محتواها من الرصاص موازنة بأنواع الخضر الورقية التي تؤكل طازجة كالخس والجرجير والكرنب حتى لو زرعت في تربة ملوثة واحدة وعلى نفس المقياس بالنسبة لثمار الفاكهة الملساء التي تتراكم عليها كميات أقل من الثمار ذات الأوبار كالمشمش والخوخ وغيرها!

الأطفال أول المتضررين

يكون الأطفال أكثر المتضررين من تراكم الرصاص في أجسامهم إذا ما وجدوا في البيئة الملوثة بالرصاص وذلك لاستجابة أجسامهم حيث يمرون بأكثر مراحل العمر قابلية للنمو حيث يؤدي إى ظهور الأنيميا عندهم وذلك لقابلية الرصاص بالتدخل في بناء مادة هيموجلوبين الدم، وأضعاف تكوين هذه المادة.

ولعل أخطر ما في الرصاص هو أنه متى دخل الجسم بقي فيه، فالجسم لا يطرح سوى ١٠٪ فقط من الرصاص، أما الـ ٩٠٪ الباقية فتستقر فيه وتتواجد في العظام غالبا على هيئة فوسفات الرصاص بعد أن يحل محد كالسيوم العظام ولا يستقر في العظام بل يتسلل إلى خلايا الدم متسببا في إبطال عمل أنزيمات الخلية ولهذا تتوقف التفاعلات الضرورية الخاصة لاستمرار حياة الخلية بصورة طبيعية.

لقد بينت أبحاث العلماء نتائج خطيرة مفادها أن هناك ترابطا وثيقا بين نتائج الأطفال في امتحانات الذكاء وبين نسبة الرصاص في دمائهم.

فيعمل وكما قدر العلماء على إضعاف الذاكرة لدى الأطفال، وللرصاص تأثيرات مهلكة على الجنين في الرحم، حيث يخترق جدار المشيمة ويحدث فيها تشوهات تؤدي إلى إجهاض الحوامل، وعند الكبار يرتفع ضغط الدم. ويسبب الرصاص تدميرا في خلايا القشرة المخية وذلك ما يضعف ذاكرة المصاب ويفقده قدرته على التفكير واتخاذ القرارات الصحيحة. إضافة إلى ما يحدث من فشل كلوي وأمراض أخرى قد يكتشفها العلم لاحقا. ويمكن للقائمين على أمور البيئة اتخاذ كل الاحتياطات لتقليل نسبة هذا العنصر في البيئة لعل التشجير وإيقاف إضافة الرصاص إلى البنزين واستبدال أنابيب المياه بأخرى بلاستيكية أو غير رصاصية ووقف الملوثات من المصادر الأخرى من أهم هذه الإجراءات□

الدولة	كمية الرصاص (غم/لتر)	ملاحظات
بلجيكا	٠.٤	سيخفض إلى ١٥.٠ في ١٩٨٧/١/١
هولندا	٠.٤	سيخفض إلى ١٥.٠ في ١٩٨٧/١/١
ألمانيا	٠.١٥	إدخال البنزين الخالي من الرصاص في ٨٦
النمسا	٠.١٥	
بريطانيا	٠.٤	سيخفض إلى ١٥.٠ في ١٩٨٦
سويسرا	٠.١٥	إدخال البنزين الخالي من الرصاص في ١٩٨٦.

الجدول (١)

الدولة	النوع	الرقم الأوكتيني RON	محتوى الرصاص غم/لتر
السعودية	ممتاز	٩٥	٠.٨٤
	عادي	٨٣	٠.٨٤
البحرين	سوبر	٩٨	٠.٨٤
	عادي	٩٠	٠.٨٤
الكويت	ممتاز	٩٨	٠.٨٤ – ٠.٥٣
	عادي	٩٠	٠.٨٤ – ٠.٥٣
قطر	ممتاز	٩٧	١.٠٦
	عادي	٩٠	٠.٨٥
الإمارات	ممتاز	٩٧	٠.٨٤
	عادي	٩٠	٠.٨٤
عمان	ممتاز	٩٧	٠.٦٢
	عادي	٩٠	٠.٦٢

الجدول (٢)

الوعي الإسلامي
إسلامية شهرية جامعة
AL-WAEI AL-ISLAMI

بعد التطوير الذي طرأ عليها في عيونهم

بعد واحد وثلاثين عاماً في خدمة الدعوة الإسلامية، ترتدي مجلة الوعي الإسلامي أبهى حللها، لتخرج لجمهور القراء في ثوبها الجديد، تبويباً، وإخراجاً، وذلك لمسايرة التطور الذي طرأ على معظم الصحف والمجلات في الساحة، آخذة بعين الاعتبار محافظتها على طابعها وثقافتها الإسلامية. إن تبويب المجلة الجديد لمس أكثر مجالات الحياة دينية، واجتماعية، وتربوية، وطبية.

وفي هذا التحقيق نعرض رأي القراء في التطوير الذي طرأ على مجلة (الوعي الإسلامي).

وزير الأوقاف السابق محمد صقر المعوشرجي:

أهنىء المشرفين على المجلة على هذا التطوير الذي جاء نتيجة دراسات متواصلة

بداية يقول معالي الأستاذ محمد صقر المعوشرجي، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السابق، والذي صدر أول عدد بعد التحرير في عهده:

أهنىء الشباب الذين يشرفون على مجلة (الوعي الإسلامي)، وأنا أعرف صدقهم، وصدق نواياهم تجاه بلدهم الكويت، وتجاه القارىء نفسه. ومما لا شك فيه أن هذا التطوير الذي طرأ على المجلة جاء نتيجة دراسات متواصلة، أدت إلى قناعة المسؤولين في هذا التطوير الحاصل بالمجلة.

ويضيف السيد محمد صقر المعوشرجي قائلاً: إن هذا التطوير يؤدي إلى انتشار المجلة على نطاق أوسع بين القراء في الكويت بخاصة، والعالم الإسلامي بعامة. وآمل أن يكون للمجلة طابع السمت والوقار، وألا تقلد المجلات العادية الأخرى المنتشرة في السوق، وأن يكون لها مظهر وطابع مميز، يختلف عن طابع المجلات الأخرى.

ويرى السيد محمد صقر المعوشرجي أن عدد صفحات المجلة قليل، وبخاصة أنها شهرية، فالمفترض أن يكون عدد صفحاتها أكثر مما هي عليه الآن.

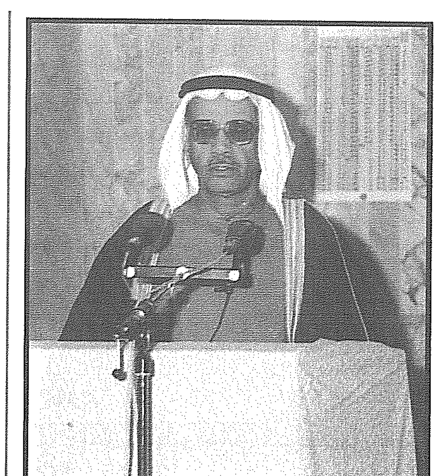
الاهتمام بالدول الإسلامية

ويضيف معاليه قائلاً:

إن من أهداف مجلة الوعي الإسلامي، تثقيف الإنسان المسلم، وبالتالي يكون من البدهي الاهتمام بالبلدان الإسلامية، وبخاصة دول شمال وشرق آسيا. فكثير من الشباب المسلم لا يعرفون الكثير عن هذه الدول، بل والبعض منهم يفتقر إلى أبسط المعلومات عن المسلمين في هذه الدول، فمعرفة الشباب المسلم بدول العالم الإسلامي، يجعلهم يتفاعلون حول معظم القضايا التي تحيط بنا.

براعم الإيمان

أما عن ملحق الأطفال (براعم الإيمان) فيقول السيد/ محمد صقر المعوشرجي: إن هذا الملحق ممتاز، ويؤدي رسالته للطفل المسلم بشكل جيد، فمن خلاله يعرف الطفل الكثير عن أمور دينه، وتاريخه الإسلامي بطريقة مبسطة ومحببة لديه، لأن الموضوعات معروضة بشكل جيد، يفهمها الطفل، ويهتم بها، وأرى



● الوزير السابق للأوقاف والشؤون الإسلامية/ محمد صقر المعوشرجي

تحقيق: أحمد فرغلي

أن القائمين على هذا الملحق يبذلون جهدا كبيرا حتى يخرج بهذا الشكل الجيد والمبسط.

طفرة صحفية

وعن التطوير الذي طرأ على (الوعي الإسلامي) يقول علاء الدين دوارة ـ نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية المصرية:

إن مجلة (الوعي الإسلامي) واحدة من المجلات العربية المعروفة بشكل واسع لدى القارىء المصري، ولها انتشار واسع في مصر، أما التطوير الذي طرأ عليها مؤخراً، فيزيد من انتشارها، وللمجلة في ثوبها الجديد العديد من المزايا أوجزها فيما يلي:

● حجم المجلة بشكلها الحالي أفضل من الحجم السابق، لأن القارىء في وقتنا الحاضر اعتاد على هذا الحجم من المجلات، ولذلك نجد معظم المجلات العربية تصدر في حجم مجلة (الوعي الإسلامي) الحالي.

● تبويب المجلة أكثر من جيد، فهي إلى جانب المواضيع الدينية، فيها أبواب أخرى متعددة، وهذه الأبواب تأخذ أيضا الصبغة الدينية، أو بمعنى أنها تتطرق للقضية التي تناقشها من منظور ديني.

● الإخراج في المجلة ممتاز، فالمجلة بها عدد كبير من الصور التي تخدم الموضوعات، بالإضافة إلى تعدد العناوين الرئيسية والثانوية والفرعية، كما أن العناوين الفرعية طبعت بلون مخالف لمادة الموضوع، وهذا يعطي القارىء شعورا جمالياً، وراحة نفسية وهو يقرأ الموضوع.

● استخدام المجلة للأرضيات، وهذا يحرك الموضوع المنشور، ويخلق تباينا بين الموضوعات، كما أنني أجد مثلا في الموضوع الواحد أكثر من أرضية، حسب الخبر المنشور كما في صفحات (نافذة على العالم)، وهذا يشد انتباه القارىء للخبر، بالإضافة إلى إضفاء ناحية جمالية للصفحة بشكل عام.

● غلاف المجلة ذو طابع إخراجي متميز، وتعدد العناوين، وتباينها سواء من حجم البنط، أو اللون يُكوّن عناصر إخراجية متناسقة، تستقطب نظرَ القارىء من أول نظرة إلى غلاف المجلة.

● إخراج الملحق (براعم الإيمان)، جاء بصورة جيدة، يتماشى ونفسية الطفل، ويحفزه على قراءة محتوياته.

باع طويلة

أما محمد علي سراج ـ بدائرة خدمات الأحمدي،

قسم صيانة المباني ـ شركة النفط الكويتية فيقول:
إن لمجلة (الوعي الإسلامي) باعا طويلة في مجال الدعوة الإسلامية، ويكفيها شهادة على حسن أدائها، استمراريتها في هذا المجال لأكثر من ٣١ عاماً من العطاء المستمر، ورؤيتها الثاقبة لكثير من الأمور والأحداث التي تدور في مجتمعنا الإسلامي، فكثير من الدول الإسلامية لم أعرف ما يدور فيها إلا من خلال الوعي الإسلامي وبعض الصحف الكويتية.

أما المجلة في ثوبها الجديد، فهي تقطع شوطا كبيرا في تأدية رسالتها، إلى جانب أنها تصدر ملحقا لأطفالنا، فهي تتبنى العديد من القضايا الاجتماعية والتربوية التي تمس حياتنا اليومية، وتؤثر على أطفالنا، لعل المثال على ذلك الموضوع المنشور مؤخراً في المجلة عن (العنف والتلفاز في الغرب) [العدد٣٤٦]، حيث بيّن الموضوع تأثير جهاز التلفزة على سلوك الطفل.

هذا إلى جانب باب شؤون المرأة، وباب الطب النبوي، وغير ذلك من الأبواب التي لها علاقة بحياتنا الاجتماعية. كما أن المجلة تحتضن عددا كبيرا من كتاب المقالات الذين لهم أقلام مشهورة، في مناقشة العديد من القضايا سواء في الكويت أو في أية دولة من دول العالم الإسلامي، ونأمل من القائمين على المجلة أن يقوموا بعمل العديد من التحقيقات الصحفية عن أحوال المسلمين في العالم.

الوعي وجبة دسمة

نبيل جمعان ـ صحفي يقول:
مجلة الوعي الإسلامي من المجلات التي أحرص على اقتنائها شهرياً، ومنذ مدة طويلة، فهي مجلة وسطية لا اتجاه لها ولا ميول إلا نشر الثقافة الإسلامية والتبصير بأحوال المسلمين في شتى بقاع العالم، ومن ثم فهي تعد وجبة دينية ثقافية اجتماعية شهرية دسمة، وبخاصة بعد التطوير الذي أدخل عليها مؤخراً، فهي بلا شك تطورت تطورا كبيرا، وفي نفس الوقت، حافظت على محتوها وطابعها الديني والثقافي.

ولكن لي مطلب بسيط عند الإخوة القائمين على أمرها، يتمثل في أن الجانب الإعلاني عن المجلة ومحتوياتها في الصحف اليومية يكاد يكون معدوما، بمعنى المفروض أن يكون هناك إعلان عن صدور المجلة مع صدور كل عدد جديد في المجلات والصحف الأكثر انتشاراً، حتى يعلم القراء أن هناك مجلة دينية ثقافية متطورة، ومن ثم تعمل كل أسرة مسلمة على اقتنائها، وبخاصة أنها تصدر ملحقا للأطفال، والذي يعطي للطفل جرعة دسمة من المعرفة والثقافة الدينية، وبطريقة مبسطة.

آمل أن يأخذ الإخوة المشرفون على المجلة رأيي هذا بصدر رحب، لأن مجلة (الوعي الإسلامي) مجلة يجب على كل أسرة مسلمة أن تقتنيها شهرياً.

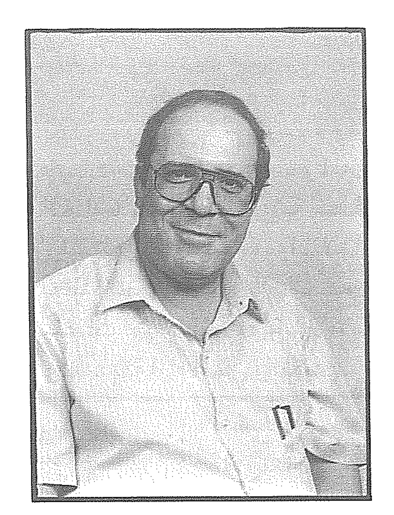
الوعي والارتباط بالمجتمع

عصمت محمد يوسف ـ مدرس:
علاقتي بـ (الوعي الإسلامي) نشأت عندما كنت طالباً بجامعة الأزهر، وكان ذلك منذ أكثر من عشرين عاماً، كنت وقتها أنتظرها من شهر إلى شهر، ونَمَتْ علاقتي مع (الوعي الإسلامي) أكثر فأكثر بعد التطوير الذي حدث لها، ففيها العديد من الحوارات والموضوعات الصحفية الهامة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع المسلم والعالم الإسلامي، وبخاصة الحوار الذي نشر مؤخراً مع الممثل الشخصي لرئيس جمهورية البوسنة علي عزت بيغوفيتش في المملكة العربية السعودية [العدد٣٤٦]، الذي تحدث عن الأوضاع السياسية والعسكرية في البوسنة والهرسك، وآخر المستجدات في هذين المجالين.

كما أنني من المواظبين على قراءة باب الأدب، وبخاصة كل ما يتعلق بالأدب الإسلامي، والشخصيات الإسلامية.

وتتطرق المجلة في ثوبها الجديد إلى المعوقات التي تعترض تقدم الأمة الإسلامية، وتخلف المسلمين عن ركب الحضارة، والبحث عن أفضل الطرق للعودة إلى تراثنا وأصول حضارتنا التي سادت العالم شرقه وغربه.

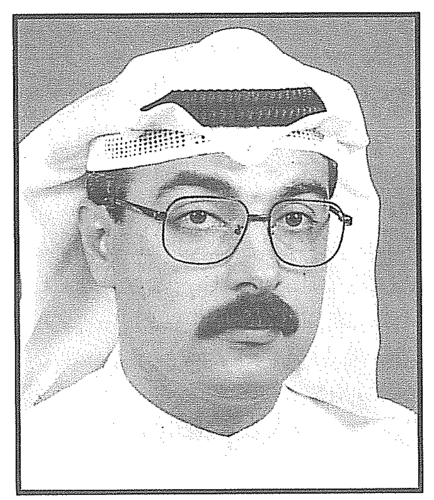
وأهنىء القائمين على مجلة (الوعي الإسلامي) لما أضفوه على المجلة من تطوير وازدهار.



● علاء الدين دوارة/ نائب رئيس تحرير (الجمهورية) المصرية

نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية المصرية:

التطوير يزيد من انتشار المجلة



● محمد علي سراج



● نبيل جمعان

نبيل جمعان ـ صحفي:

(الوعي الإسلامي) وجبة ثقافية دسمة

ولهن رأي

سعاد القطان ـ مدرسة تقول:
ما يهمني قراءته في مجلة (الوعي الإسلامي)، الجوانب التي تهم المرأة المسلمة، والطفل، والمواضيع التربوية، فكلها مفيدة للأسرة في المجتمع الكويتي، والمجتمعات الإسلامية الأخرى، ولكن أرى أن تركز المجلة على بعض المشاكل التي تعترض طريق المرأة المسلمة، مع تقديم أفضل السُبل لحلها، والتي منها مشاكل التربية، فمثلاً الدول الغربية قطعت شوطاً طويلاً في مجال التربية، ونحن ما زلنا نترك تربية أطفالنا لخادمات يختلفن عنا في الدين واللغة، والثقافة، ولا بد من التركيز على هذه القضية، ومناقشتها من الناحية الدينية، والتربوية، وبيان خطورة ذلك لكل أسرة مسلمة.

أما ملحق (براعم الإيمان) فهو المجلة الوحيدة التي أقدمها لأطفالي، وذلك لما يحتويه من موضوعات تثقف الطفل المسلم، وتعرفه بتاريخه الإسلامي، بأسلوب سهل وميسر.

ولي اقتراح بأن يكون هذا الملحق (براعم الإيمان) أسبوعيا، أو نصف شهري على الأقل لأن فترة الشهر بالنسبة للطفل متباعدة، وطول هذه المدة لا يعمل على الترابط بين العدد الجديد والعدد السابق له. أنا أعلم أن ذلك مكلفٌ لكن يمكن أن يباع الملحق بسعر منفصل عن المجلة□

نافذة على العالم

مساعدات كويتية عاجلة لجيبوتي

تنفيذا لتعليمات من صاحب السمو أمير البلاد، غادرت الكويت طائرات شحن تابعة لمؤسسة الخطوط الجوية الكويتية محملة بمواد الإغاثة التي شملت الخيام والبانيات والأدوية ومستلزمات طبية ومواد غذائية متنوعة، ومواد إغاثة أخرى للمساهمة في تخفيف معاناة المنكوبين من آثار السيول والفيضانات في جمهورية (جيبوتي) ، وتأتي هذه المساعدات الإنسانية في إطار مشاركة شعب الكويت الوقوف إلى جانب الدول الشقيقة والصديقة أزاء المحن والنكبات.

مساهمة كويتية للأنروا

تبرعت الكويت بمبلغ ١,٥ مليون دولار أمريكي لوكالة الأمم المتحدة لإنماء وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأنروا) وأكد مندوب الكويت في الجمعية العامة للوكالة أن الحكومة الكويتية قررت دفع مساهماتها الطوعية لميزانية الوكالة لعامي ٩٤ و٩٥ وسيتم اتخاذ الاجراءات اللازمة من أجل تنفيذ هذا القرار في القريب العاجل.

ندوة (الأمان النفسي)

أقامت إدارة الشؤون النسائية بلجنة التعريف بالإسلام مؤخراً ندوة تحت عنوان (الأمان النفسي) حضرها عدد من زوجات سفراء الدول المعتمدة لدى الكويت، وجمهور من المسلمات الجدد والمدعوّات، وتناولت في مجملها أثر المفاهيم والقواعد الإسلامية في النفس البشرية. وحاضر في الندوة كل من د. صلاح الدين أرقه دان، ود. طارق سويدان، حيث ربط د. أرقه دان بين الأمان النفسي والإيمان بالقدر، لأن الإيمان بالقدر يعطي الانسان شعورا بأنه مهما تعرض لأحداث خير أو شر فهي من الله. مما يبقى عنده مسألة الأمان النفسي حيّة ومتّقدة.
في حين تناول د. سويدان مسألة الأمان النفسي عند الإنسان، وقال: إنه لا يكفي ان يكون الانسان مسلما حتى يشعر بالأمان النفسي بالرغم من انه اكثر الناس شعورا به، وساق كثيرا من الأمثلة لضياع الأمان النفسي من الانسان الغربي.

ومن الجدير بالذكر أن (لجنة التعريف بالإسلام) استضافت في أواخر الشهر الماضي وفداً من الجنود الامريكيين الراغبين في الاطلاع على نشاطات اللجنة والمفاهيم الإسلامية التي تدعو إليها، وكان في استقبالهم أمينها العام الشيخ صلاح الراشد، هذا وقد ألقى الداعية الأمريكي (دانيال ماستر) كلمة ترحيب بهم وحثهم على الإطلاع على الإسلام الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

وفد طلابي اسلامي يزور الكويت

زار وفد طلابي يمثل (الاتحادات الاسلامية للمنظمات الطلابية لجنوب شرق آسيا) و(الاتحاد الوطني للطلبة المسلمين الماليزيين) وحل ضيفا على جامعة الكويت، ويتألف الوفد من ٣٠ طالبة و٢٠ طالبا، وقال د. عثمان الفليج (مساعد عميد شؤون الطلبة) أن زيارة الوفد الطلابي فرصة طيبة للتواصل الفكري والأكاديمي والحضاري بين الكويت ومناطق جنوب شرق آسيا، كما أعرب أعضاء الوفد عن إعجابهم بما رأوه في الكويت من نهضة عمرانية أعادت ما دمّره الغزو العراقي في مدة زمنية قياسية، كما أعجبوا بالمستوى العلمي الجامعي، وبالخطوات الواعية باتجاه استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية.

الاهتمام بالعربية الفصحى

دعت ندوة وسائل الاتصال التي ترعاها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم (إيسيسكو) التي اختتمت أعمالها في القاهرة مؤخراً، إلى الاهتمام بالعربية في كافة مواد البرامج المذاعة بالإذاعة والتلفاز، باعتبارها اللغة التي يستخدمها المسلمون جميعا في صلواتهم ومناسكهم، فضلا عن أنها لغة القرآن الكريم التي هي أساس وحدة الأمة ثقافيا وفكريا، إضافة إلى أن المسلمين – وهم يشاهدون القنوات الفضائية العربية – لا يفهمون اللهجات العامية المحلية، بل اللغة العربية الفصحى. كما وافقت إدارة الندوة على توفير الامكانات التقنية والبشرية والمادية الكفيلة بالنهوض ببرامج الثقافة والتراث الاسلامي على النحو الذي يحقق الهدف منها. ووافق المشاركون على دعوة رؤوس الأموال الاسلامية للاستثمار في مجالات انتاج البرامج الاعلامية ذات التوجه الاسلامي، وإنشاء قنوات فضائية ومحطات إذاعة وتلفزة وصحف إسلامية.

٢٧ ألف طالب أزهري

أعلن د. عبد الفتاح الشيخ (رئيس جامعة الأزهر) أن كليات الجامعة استوعبت ٢٧ ألف طالب وطالبة من الناجحين في الثانوية العامة لهذا العام.. منهم من قبل في كليات جديدة تضم الدراسات الاسلامية بـ(دسوق)، والاقتصاد المنزلي بـ(طنطا).

تفشي المخدرات في النمسا

أظهرت نتائج تقرير سنوي عن وضع المخدرات في النمسا ارتفاعا ملحوظا في عدد متعاطي المخدرات وتجارة نقلها وترويجها غير المشروع.

وأوضح التقرير أن ٢٢٦ شخصاً لقوا حتفهم من جراء تناول المخدرات في النمسا خلال العام الماضي أي بزيادة معدلها ٢٠٪ مقارنة بعام ١٩٩٢.

وأضاف التقرير أن سلطات الأمن والجمارك تمكنت من ضبط ٥٥٠ كيلو غراماً من القنب الخام و١٠٤ كيلوغرامات من الهيروين و٩٥ كيلو غراما من الكوكايين و٢٨٢٠٠ كيس صغير من مادة (ال إس دي) عام ١٩٩٣.

وحذر التقرير من أن ظاهرة الإقدام على تناول المخدرات المركزة القوية والخطيرة في ارتفاع مستمر إلى جانب لجوء عدد متزايد من الشباب إلى تناول الأدوية والعقاقير المؤثرة التي يمكن تصنيفها من المخدرات.

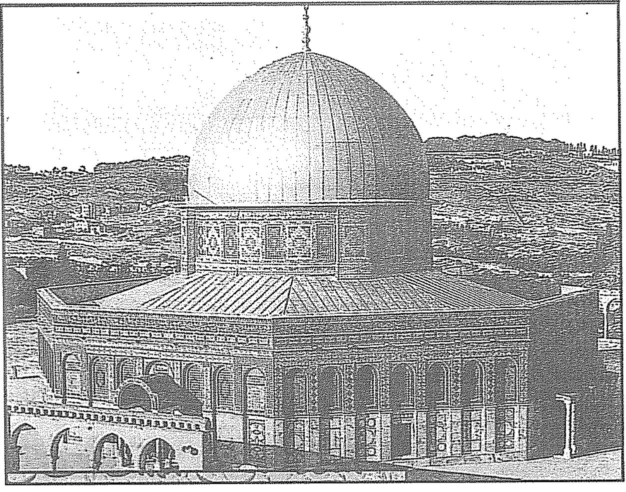
مسؤولون صينيون فاسدون!

أعلنت صحيفة القوانين الصينية أنه تمت معاقبة أكثر من ١٤٠ ألفا من المسؤولين في الحزب الشيوعي الصيني منذ إطلاق حملة مكافحة الفساد في أغسطس ١٩٩٣م.

ولم تحدد الصحيفة عدد الأشخاص الذين طردوا من الحزب، ولكنها أضافت أنه تم رفع (١٠) آلاف ملف إلى السلطات القضائية وتمت من جهة أخرى معاقبة ٤٥٢١ من كبار المسؤولين. وتم الإعلان عن هذه الأرقام عند افتتاح الاجتماع الوطني لهيئات مراقبة الحزب والإدارة في داليان (شمال شرق الصين).

وتابع المصدر ذاته أن المشاركين في هذا الاجتماع شددوا على أهمية مكافحة الفساد للتمكن من مواصلة الإصلاحات الاقتصادية في البلاد. يشار إلى أن عدد المنتسبين إلى الحزب الشيوعي الصيني يبلغ حوالي ٥٢ مليون شخص منهم ٣٠ مليون مسؤول.

فيلم وثائقي عن القدس



تعد منظمة اذاعات الدول الاسلامية (اسبو) فيلما وثائقيا عن القدس يغطي تاريخ فلسطين، ويهدف إلى التأكيد على إسلامية القدس وعروبتها، والحق الثابت لأهلها المسلمين في السيادة الكاملة عليها، وذلك لمواجهة خطر التهويد والعدوان على المعالم الحضارية الإسلامية للمدينة المقدّسة. وقد حذّر الأمين العام للمنظمة حسين العسكري من مخاطر تصدي العديد من المنظمات والهيئات بأرقى ما لديها من تنظيمات ردارية وتخطيطية واعتمادات مالية سخية لهذه الحملات الموجهة بشكل خاص ضد المجتمعات الاسلامية، كما هيأت محطات للبث الاذاعي والتلفازي وجهزتها بأحدث التقنيات لبث برامجها بأكثر من ثمانين لغة ومن مراكز واسعة الانتشار في مختلف مناطق العالم. وبالمقابل يتكشف لنا حجم الاهتمام المتواضع الذي يحظى به العمل الإعلامي الاسلامي المشترك.



انتهاكات حقوق الإنسان في كشمير

صرح (جيهارد بادم) رئيس المنظمة الألمانية لحقوق الإنسان في مقر الأمم المتحدة في جنيف أن الجيش الهندي يستخدم أبشع أنواع العنف ضد المواطنين في كشمير المحتلة، متجاوزاً في ذلك جميع المعايير الانسانية والأخلاقية. وأضاف (بادم) أن العاصمة الكشميرية (سيرنجر) تشبه المدن الواقعة تحت الحصار العسكري حيث تنتشر الثكنات العسكرية في كل مكان للقضاء على الحركات التحررية التي سمّتها الهند (إرهابية) و(انفصالية) تضليلا للرأي العام العالمي.

الكومبيوتر وتعليم الفقه

أنتجت شركة (خليفة للهندسة والكومبيوتر) برنامجا جديدا ضمن سلسلة (نور القرآن والسنة) لتحفيظ القرآن الكريم، كما أنتجت الشركة برنامجا لتعليم الأطفال الوضوء (أركانه وواجباته وسننه ومبطلاته)، وبرنامجا آخر لتعليم الصلاة.

أضواء حول الوصية الإختيارية

بقلم: رفعت محمد مرسى طاحون

الوصية الاختيارية (المستحبة) قربة يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل في آخر حياته حتى تزداد حسناته في الآخرة.. أو ليتدارك الإنسان ماعسى أن يكون قد وقع فيه من تقصير في العمل أو نقص في الحسنات.. أو بقصد مساعدة الأقرباء الفقراء غير الوارثين أو ذوي الأرحام المحجوبين بغيرهم والفقراء والمساكين والصالحين من الناس..وتشمل أيضاً(أيواء أبناء السبيل، وعمارة المساجد، وطلاب العلم، والمديونين..وغيرهم) راجياً بذلك تحصيل الثواب في الآخرة ورفع الدرجات.. ولما في الوصية من البر بالناس والمواساة لهم.

يقول تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾ (١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ماحق إمرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» (٢).

قال ابن عمر: «مامرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺيقول ذلك إلا وعندي وصيتي».

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفوراً له» (٣).

ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم في آخر أعماركم زيادة في أعمالكم. فضعوه حيث شئتم» (٤).

تعريف الوصية والحكمة منها

والوصية تعرف شرعاً: «بأنها تمليك مضاف إلى إلى مابعد الموت بطريق التبرع سواء كان تمليكاً لأعيان أو إدارة أو منافع».

والحكمة هنا من وقّت الوصية لما بعد الموت، بالرغم من أنه ليس وقتاً للتمليك، لأن الميت زال ملكه بعد وفاته. ولكن الشارع الحكيم أجازها للضرورة. رفقاً ورحمة بالأمة وتوسعة لغرض الخير والبر والثواب أمام طالبيها. حيث إن العمر يقصر عن إكتناز الخيرات. والموت قد يفاجىء المرء بدون إعداد له وتهيؤ لما بعده.

والوصية كما ذكر جمهور الفقهاء مستحبة. للشخص أن ينشئها وله ألا ينشئها. فإذا صدرت منه لاتكون لازمة. فله أن يرجع عنها قبل وفاته. فإذا مات ولم يرجع لزمته في حقه وحق ورثته بعد موته.

متى تتم الوصية الاختيارية؟

*والوصية الإختيارية(المستحبة) تتم بعد:

١- تجهيز الميت بكل مايحتاج إليه من وقت وفاته وحتى دفنه من نفقات (غسيل وتكفين وحمل ودفن) بما يليق بمثله بمقتضى الشرع وبحسب العرف من غير إسراف ولاتقتير.

٢- وكذا بعد قضاء الدين: كما أجمع العلماء سلفاً وخلفاً بأن قضاء الدين مقدّم على الوصية:

فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إنكم تقرؤون ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾، وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية.

ونرى هنا أن الحكمة في تقديم الوصية على الدين في الآية: ﴿من بعد وصية يوصي بها أودين﴾، إن الوصية مال يؤخذ بغير عوض. فكان إخراجها شاقاً على الورثة. وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوس الورثة مطمئنة إلى أدائه. ولهذا السبب قدّم الله سبحانه وتعالى ذكر الوصية على ذكر الدين في اللفظ بعثاً على أدائها وترغيباً في إخراجها.

ثم أكد ذلك الترغيب بإدخاله كلمة (أو) على الوصية والدين. تنبيهاً على أنهما في وجوب الإخراج على السوية. أن سهام المواريث كما أنها تؤخر عن الدين. فكذا تؤخر عن الوصية.

فمثلا: إذا أوصى الميت بثلث ماله. كانت سهام الورثة معتبرة بعد تسليم الثلث إلى الموصى له. فجمع سبحانه بين ذكر الدين وذكر الوصية ليعلمنا أن سهام الميراث معتبرة بعد الوصية كما هي معتبرة بعد الدين.

عموماً، يجب تقديم الدين على الوصية. لأنه حق ثابت وواجب في الأداء. بخلاف الوصية فإنها تطوع. والواجب يقدّم على التطوع.

شروط الوصية الاختيارية

ويشترط في الوصية الإختيارية (المستحبة):

١- ألا تكون الوصية لوارث، لما رواه أبو إمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أعطى كلّ ذي حق حقه. فلاوصية لوارث» (٦).

٢- ألا تزيد الوصية عن ثلث التركة، فعن أبي هريرة رضى الله عنه: إقرؤوا إن

شئتم ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ (٧).

كما ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاءني رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتدّ بي. أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلت:فالشطريارسول الله؟ قال: لا. قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث؛ والثلث كثير. إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس».

٣- في حالة زيادة الوصية عن ثلث التركة. لاتنفذ هذه الزيادة إلا بإجازة الورثة. فإن لم يجيزوها نفذت في ثلث التركة فقط.

شروط في الموصي والموصى له والموصى به

يشترط في الموصي، أن يكون أهلاً للتبرع. بأن يكون كامل الأهلية. وكمال الأهلية بالعقل والبلوغ والحرية والاختيار وعدم الحجرلسفه أو غفلة. وهنا؛ إذا كان الموصي ناقص الأهلية أو مجنوناً أو مكروهاً أو محجوراً عليه فإن الوصية لاتصح.

ويشترط في الموصى له: ألا يكون وارثاً. وأن يكون موجوداً وقت الوصية تحقيقاً أو تقديراً: أي يكون موجوداً بالفعل وقت الوصية. أو يكون مقدراً وجوده أثناءها. وأن لايقتل الموصى له الموصي قتلاً محرماً مباشراً (١٠). وهنا اذا قتل الموصى له الموصي قتلاً محرماً مباشراً بطلت الوصية له. لأن تعجيل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

ويشترط في الموصي به أن يكون بعد موت الموصي قابلاً للتمليك بأي سبب من أسباب الملك. فتصح الوصية بكل مال متقوم من الأعيان ومن المنافع. وتصح الوصية بما يثمره الشجر. وبما في بطن بقرته. لأنه يملك بالإرث. فما دام وجوده محققاً وقت موت الموصي استحقه الموصى له.

وتصح الوصية بالمنافع كالسكن. ولاتصح بما ليس بمال كالميتة.. وما ليس في حق العاقدين كالخمر للمسلمين.

طريقة حل مسائل الوصايا الإختيارية (المستحبة)

أولا:بالنسبة للوصايا التى لاتحتاج إلى إجازة أحد من الورثة، وهى الوصايا التى تكون في حدود ثلث فأقل من التركة.

صورها:

أ) ألا تكون الوصية بمثل نصيب أحد الورثة.

وهنا: تستخرج الوصية أولاً من التركة..وتمنح للموصى له.

ثم يقسم باقي التركة بين الورثة.

ب) أن تكون الوصية بمثل نصيب أحد الورثة:

■ قال ﷺ: «من مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفورا له»

وهنا: تقسم التركة بين الورثة لمعرفة سهام الوارث الذي أوصى بمثل نصيبه وهي تساوي سهام الموصى له.

ثم تقسم التركه على مجموع السهام (سهام الورثة + سهام الموصى له).

ثانياً: بالنسبة للوصايا التي تحتاج إلى إجازة الورثة، وهي، الوصايا التي تكون بأكثر من ثلث التركة.

صورها:

أ) ألا تكون الوصية بمثل نصيب أحد الورثة.. وتزيد الوصية على الثلث:

وهنا يكون أحد أمرين:

أن يجيز الورثة هذه الوصية: وهنا يخرج مقدارها من أصل التركة.. ثم يقسم باقي التركة بين الورثة تقسيم الميراث.

ألا يجيز الورثة هذه الوصية:وهنا تنفذ الوصية في الثلث فقط حيث يخرج ثلث التركة من أصل التركة.. ثم يقسم الباقي من التركة (الثلثين) بين الورثة.

ب) أن تكون الوصية بمثل نصيب أحد الورثة الذي يزيد عن ثلث التركة:

وهنا يكون أحد أمرين:

أن يجيز الورثة هذه الوصية، وهنا تقسم التركة بين الورثة لمعرفة سهام الوارث الذي أوصى بمثل نصيبه. وهى تساوي سهام الموصى له. ثم تقسم التركة على مجموعة السهام (سهام الورثة + سهام الموصى له).

ألا يجيز الورثة الوصية وهنا تنفذ الوصية في ثلث التركة فقط. حيث تمنح للموصى له. ثم تقسم باقي التركة(الثلثان) بين الورثة .

أمثلة على الوصية المستحبة

(مثال١) مات شخص عن (ابن، وبنت، وزوجة، وأم). وأوصى بثلث لأخته الشقيقة، وقد ترك ٣٦٠ فداناً. فكيف توزع التركة؟

من الملاحظ هنا أن الأخت الشقيقة ليست من والوارثين. لأنها هنا محجوبة (بالإبن) ولذا فإنها تستحق الوصية.

وهنا تحل المسألة كالتالى:

أ) نستخرج أولا الوصية من التركة ومقدارها =٣٦٠×١/٣=١٢٠ فداناً تمنح للأخت الشقيقة.

ب) ثم يقسم باقي التركة (٣٦٠ -١٢٠=٢٤٠ فداناً) بين الورثة كالتالى:

الزوجة:١/٨ فرضاً. لوجود الفرع الوارث: (٢٤٠×١/٨=٣٠ فداناً).

الأم: ١/٦ فرضاً. لوجود الفرع الوارث: (٢٤٠×١/٦=٤٠ فداناً).

الإبن والبنت: الباقي تعصيباً (١-(١/٨+١/٦)=١٧/٢٤) للذكر مثل حظ الانثيين: ٢٤٠×١٧/٢٤ = ١٧٠ فداناً (للابن =١٧٠×٢/٣=١/٣ ١١٣فداناً وللبنت = ١٧٠×١/٣=٢/٣ ٥٦فداناً.

أضواء حول الوصية الإختيارية

(مثال٢): مات شخص عن (زوجة، وابنتين، وأخ شقيق) وكان قد أوصى لجهة خيرية بمقدار ١٥٠٠ دينار، وكان ترك ٦٣٠٠دينار. فما نصيب كل من الورثة؟

الحل: من الملاحظ هنا أن الوصية أقل من ثلث التركة، وهنا تحل المسألة كالتالي:

أ) نستخرج أولاً الوصية من التركة ومقدارها ١٥٠٠ دينار. تمنح للجهة الخيرية.

ب) ثم يقسم باقي التركة (٦٣٠٠ – ١٥٠٠=٤٨٠٠ دينار) بين الورثة كالتالي:

الزوجة:١/٨ فرضاً، لوجود الفرع الوارث: (٤٨٠٠×١/٨= ٦٠٠ دينار).

البنتان: ٢/٣ فرضاً، بالتساوي بينهن (٤٨٠٠×٢/٣= ٣٢٠٠دينار).

(حيث يكون نصيب كل بنت = ٣٢٠٠×١/٢=١٦٠٠ دينار).

الأخ الشقيق: الباقي تعصيباً. (١ – (١/٨+٢/٣)=(٥/٢٤)=٤٨٠٠×٥/٢٤ =١٠٠٠دينار.

(مثال٣): مات شخص عن (زوجة، وأم، وأخوين لأم، وأختين شقيقتين، وأخ لأب أوصى له بمثل نصيب الأخ لأم). وكانت التركة ٧٦٠ فداناً .فكيف توزع التركة؟

الحل: من الملاحظ هنا أن الأخ لأب ليس وارثاً لأنه لم يبق له شيئاً تعصيباً لأن المسألة عالت. وهنا يعتبر الأخ مستحقا للوصية. إن نصيب الأخ لأب (الموصى له) المساوي لنصيب الأخ لأم: أقل من الثلث. وهنا تحل المسالة كالتالي:

أ) تقسم التركة بين الورثة لمعرفة سهام الوارث الذي أوصى بمثل نصيبه وهي تساوي سهام الموصي له. الورثة:

الزوجة: ١/٤فرضاً.

الأم: ١/٦فرضاً.

الأخوان لأم: ١/٣ فرضاً.

الأختان الشقيقتان: ٢/٣ فرضاً.

السهام: ٣,٢,٤,٨ . أصل المسألة ١٢ عالت إلى ١٧.

ب) وحيث أن الموصي للأخ لأب بمثل نصيب الأخ لأم إذانصيب الموصى له (الأخ لأب) = ٢ سهم. إذامجموع السهام = سهام الورثة + سهام الموصى له = ١٧+٢= ١٩سهماً. وهنا: قيمة السهم الواحد =٧٦٠/١٩= ٤٠ فداناً.

إذانصيب الاخ لأب (الوصية) =٤٠×٢= ٨٠ فداناً.

نصيب الزوجة =٤٠×٣= ١٢٠ فداناً.

نصيب الأم =٤٠×٢= ٨٠ فداناً

نصيب الأخوين لأم = ٤٠×٤= ١٦٠ فداناً (لكل أخ لأم=١٦٠/٢=٨٠ فداناً).

> ■الوصية الاختيارية (المستحبة) قربة يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل في آخر حياته لتزداد حسناته أو ليتدارك تقصيره

نصيب الأختين الشقيقتين =٤٠×٨= ٣٢٠ فداناً (لكل أخت شقيقة =٣٢٠/٢= ١٦٠فداناً.

(مثال٤): ماتت عن (زوج، وأخوين لأم، وأم) وتركت ١٢٠ فداناً. وكانت قد أوصت إلى جهة خيرية بستين فداناً. وقد أجاز الورثة هذه الوصية. فكيف توزع التركة؟

الحل: من الملاحظ هنا أن الموصى به أكثر من ثلث التركة. وأن الورثة هنا قد أجازوا هذه الوصية. وهذا شرط أساسي لتنفيذ الوصية التي تتعدى ثلث التركة. وهنا تحل المسألة كالتالي:

أ) نستخرج أولاً الوصية من التركة ومقدراها (٦٠فداناً) وتمنح للجهة الخيرية.

ب) ثم يقسم باقي التركة (١٢٠–٦٠=٦٠فداناً) بين الورثة كالتالي:

الزوج: ١/٢فرضاً، لعدم وجود الفرع الوراث (٦٠×١/٢= ٣٠ فداناً).

الأم: ١/٦فرضاً. لوجود عدد من الإخوة (٦٠×١/٦= ١٠ فدادين).

الأخوين لأم: ١/٣ فرضاً، لعدم وجود الفرع الوارث أو الأصل الوارث المذكر، فيكون نصيبهما =٦٠×١/٣= ٢٠ فداناً مناصفة بينهما.

(مثال٥): مات شخص عن (زوجة، وبنت، وأخت شقيقة) وترك ماقيمته ٤٢٠٠ دينار. وكان قد أوصى إلى جهة خيرية بمبلغ ٢٢٠٠ دينار، ولم يحجز الورثة تعدى الوصية عن ثلث التركة. فكيف توزع التركة؟

أ) إذا الورثة لم يجيزوا تعدي الوصية عن ثلث التركة. إذاً تنفذ الوصية هنا في ثلث التركة فقط. فيكون مقدار الوصية =٤٢٠٠/٣=١٤٠٠ دينار تدفع إلى الجهة الخيرية.

ب) الباقي بعد دفع الوصية للجهة الخيرية (٤٢٠٠ –١٤٠٠= ٢٨٠٠ دينار) يوزع بين الورثة كالتالي:

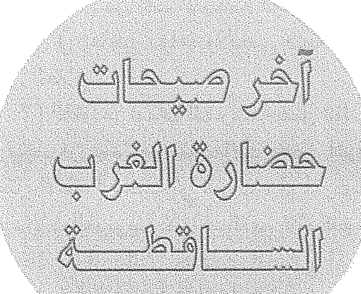
الزوجة: ١/٨ فرضاً، لوجود الفرع الوارث: (٢٨٠٠×١/٨= ٣٥٠ ديناراً).

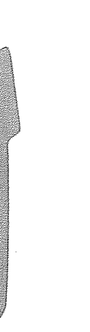
البنت:١/٢ فرضاً، لانفرادها ولعدم وجود من يعصبها (٢٨٠٠×١/٢=١٤٠٠ دينار).

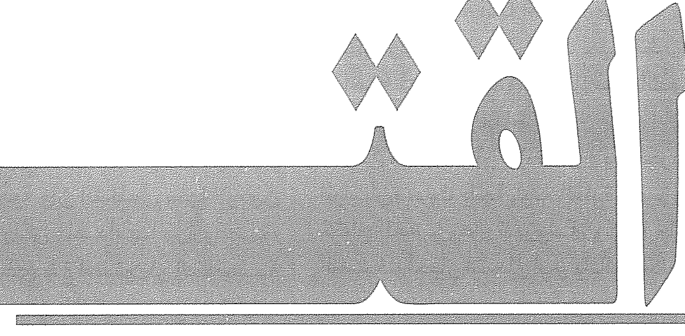
الأخت الشقيقة: الباقي تعصيباً، حيث أصبحت الأخت الشقيقة عصبة مع البنت: ١ – (١/٨+١/٢)=(٣/٨)= ٢٨٠٠×٣/٨= ١٠٥٠ ديناراً□

الهوامش:

١) البقرة:١٨٠.
٢) رواه البخاري ومسلم.
٣) رواه ابن ماجه.
٤) رواه ابن ماجه.
٥) النساء:١١.
٦) رواه احمد والترمذي وأبو داود.
٧) البقرة:٢٢٩.
٩) وهذا مذهب الأحناف.
١٠) وهذا مذهب أبو يوسف. وقال أبو حنيفة ومحمد: لاتبطل الوصية وتتوقف على إجازة الورثة.







القتل بدافع الرحمة

حياة الإنسان قيمة من القيم التي أحاطها الإسلام بسياج منيع من الحماية والرعاية، حيث حرم قتل النفس وسفك الدماء، واعتبر ذلك كبيرة من الكبائر، ووضع كل الضمانات التي تحفظ النفس وتحميها من التعرض للأذى أياً كان مصدره، حتى لو كان من المرء تجاه نفسه كتعريض النفس للتهلكة ﴿ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة:١٩٥]، أو الانتحار ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ [النساء:٢٩] فالآجال محددة بعلم الله سبحانه وهو وحده القادر على أخذها في حينها، ولا يملك أحد ان يضع نهاية لحياته بنفسه فينتحر أو يدعو غيره لمساعدته على إنهاء حياته أيا كانت الوسيلة إلى ذلك.

بقلم: أحمد ابو زيد

ولكن حضارة الغرب الساقطة التي تحمل منذ قيامها بذور فنائها وصلت الآن إلى مرحلة جديدة من الانحطاط والانهيار الخلقي والروحي فأصبحت تنظر لحياة الإنسان على أنها مجرد ثمن لما يقدمه من نفع لمجتمعه كالآلة التي تعمل في ورشة أو مصنع فإذا ماوصل الإنسان إلى مرحلة الكبر والعجز عن العمل فلاداعي لبقائه على قيد الحياة، ولا داعي لأن يشغل أسرة المستشفيات في حالة مرضه طالما وصل إلى سن الكبر، وإذا كان مرضه هذا ميئوساً من شفائه فما المانع في أن يتم قتله بدافع الرحمة، ويكون هذا القتل مقننا بحيث لايعاقب من يقوم به!!

الامتناع عن معالجة كبار السن

فقد انتشرت موجة في المجتمع الغربي تدعو إلى عدم تقديم العلاج لمن يزيد عمرهم عن سبعين عاماً لأنهم أصبحوا قوة غير منتجة والمجتمع الرأسمالي يقيِّم الإنسان تقييماماديا.

وبادرت بالفعل المستشفيات في بريطانيا برفض استقبال وعلاج المرضي كبار السن توفيراً للنفقات، وزعمت المستشفيات أن هؤلاء يحتاجون إلى فترة طويلة للشفاء وان العمليات التي تجري لهؤلاء تسبب تكاليف مالية باهظة على المستشفيات.

وقال تقرير أصدره الأطباء المتخصصون في العناية بكبار السن في لندن إن هذا موقف غريب من المستشفيات وطالبوا بوضع خطوط عريضة لتأكيد معاملة متساوية للجميع بما هو متيسر من الخدمات الطبية.

وقال البروفيسور «جون جريملي» رئيس قسم طب الشيخوخة بمستشفى «راد كليف بجامعة اسكفورد» إن لدية أدلة تفيد بأن كبار السن لايتلقون المساعدة في الوحدات العلاجية الخاصة بالقلب والأوعية الدموية، وان استبيانا شمل ١٧٥ مريضا أثبت ان الوحدات العلاجية تطبق سياسة دخول ترتبط بعمر المريض، وأن وحدات علاجية رفضت بصراحة شديدة دخول المرضى كبار السن.

دعوة إلى القتل

وقد أكد هذا المنطق غير الإنساني المسيو

• طبيب أمريكي يخترع آلة توقف ضربات القلب لمساعدة أصحاب الأمراض المستعصية على الانتحار

«جاك أتالي» مستشار الرئيس الفرنسي فرانساو ميتران بقوله: «إنني أعتقد أن إطالة العمر لم تعد هدفاً مرغوباً في منطق مجتمعنا الصناعي فالماكينة الإنسانية مادامت تنتج فهي تستحق البقاء والصيانة فإذا تجاوزت عمرها الانتاجي كانت تكاليف صيانتها خسارة اقتصادية وان التخلص منها لايكون بتركها تتآكل ولكن بإعدامها مرة واحدة، والإنسان الذي بلغ الستين أو الخامسة والستين وتوقف عن الإنتاج يصبح استمراره في الحياة عبئاً على طائفة المنتجين».

وهذه دعوة صريحة من هذا المسيو، لإقامة المقاصل والمشانق وكراسي الإعدام لقتل كل فرد بلغ الستين لأنه اصبح عالة على المجتمع وعلى طائفة المنتجين ولافائدة – عنده – من بقائه واستمراره على قيد الحياة.

القتل بدافع الرحمة

واما القتل بدافع الرحمة أو قتل الميئوس من شفائه فهي دعوة ليست وليدة اليوم في المجتمع الغربي، ولكن لها جذور تعود لسنوات عديدة، فقد ألفت جمعية في انجلترا عام ١٩٣٦م بعنوان «القتل بدافع الرحمة» طالبت السلطات بإباحة الاجهاز على المريض الميئوس من شفائه ولكن رفض طلبها.

وتكونت جمعية في أمريكا عام ١٩٣٨م لنفس الغرض وباء مشروعها بالفشل، ومازالت هذه الدعوة تكسب أنصاراً إلى اليوم وتجد لنفسها صدى كبير في المجتمع الغربي.

فقد قام طبيب أمريكي يدعى «جاك وكيفو» باختراع آلة توقف ضربات القلب لمساعدة أصحاب الأمراض المستعصية والمشكلات الصعبة وكبار السن في الإنتحار والتخلص من حياتهم، واستخدم هذا الطبيب جهازه في معاونة مريضة بسرطان الدم على التعجيل بوفاتها وكانت قد توجهت إليه مع زوجها بعد أن يئست من الشفاء.

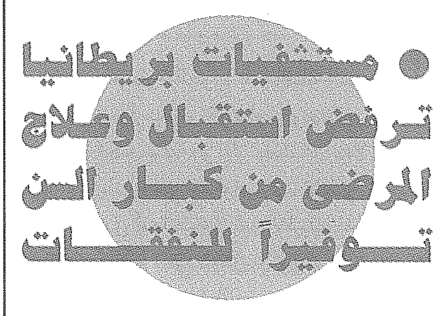
زوجة تساعد زوجها على التخلص من حياته

ونشرت الصحف مؤخراً ان زوجة يابانية أجهزت على زوجها استاذ الجامعة بسكين المطبخ بعد أن فشل في الانتحار شنقاً، ثم استدعت الشرطة لاعتقالها ومعاقبتها إذا كان ماارتكبته يستوجب العقاب، واوضحت الزوجة للشرطة أنها أقدمت على ذلك بهدف تحقيق رغبة زوجها في الموت حيث قطع منحة دراسته في بريطانيا وعاد قبل ستة أشهر من الموعد مصاباً بالإحباط.

ومن المعروف إن الانتحار لايعد جريمة في اليابان، حيث يلجأ إليه القادة المهزومون كتقليد لغسل عار الهزيمة، وكثيراً ما تنشر الصحف أخبار انتحار أسر يابانية بكاملها.

قانون هولندي يبيح القتل

ودعوة القتل بدافع الرحمة تصل إلى أكبر رواج لها في هولندا، فهي الدولة الوحيدة التي حسمت هذه القضية وتجرأت وأصدرت قانونا يبيح القتل بدافع الرحمة، فقد أصدر البرلمان الهولندي هذا القانون بعد دراسة



استمرت لسنوات بدأت باستطلاع للرأي العام طلبته لجنة تنسيق برلمانية شكلت عام ١٩٩٠م لتقصي حقيقة هذه القضية. وفي عام ١٩٩٢م قدمت مشروع قانون للبرلمان يحمل رقم ٢٢٥٧٢، وعاش البرلمان الهولندي في دوامة من المناقشات حول المبدأ ذاته «هل نوافق على القتل أم لا؟» وأخيراً وافق البرلمان وصدر القانون الهولندي بأنه من حق الطبيب قتل أي فرد يكون ميئوساً من شفائه وبناء على طلبه.

وجاءت الموافقة بأغلبية الأصوات ووضع البرلمان قواعد جديدة عند تطبيقه بحيث لايستطيع ان يستغله أحد في قتل إنسان أو الشروع في قتله مستغلاً هذا القانون.

واستقر الأمر على ان القتل – من باب الرحمة يخضع وسيظل خاضعاً للقانون الجنائي ويعرف على أنه: «قتل شخص بناء على طلب واضح وجاد من شخص آخر لوضع نهاية لحياته»

وتم وضع أربعة قواعد لتنفيذ هذا الطلب هي:

١) القتل من باب الرحمة هو فعل «غالبا يتمثل في تعاطي دواء» ولايغني هذا التوقف عن العلاج.

٢) القتل من باب الرحمة عمل تطوعي ويجب ان تستبعد منه حالات بعض المرضى مثل الأطفال حديثي الولادة أو المرضى في حالات الغيبوبة لأن حالتهم لاتمكنهم من اتخاذ قرار بشأن جدوى العلاج أو حتى المسؤولية القانونية في اتخاذ القرار.

٣) القتل من باب الرحمة يتم بواسطة الأدوية أو أية وسيلة أخرى.

٤) القتل من باب الرحمة يتطلب توافر شرط «العمد» ويجب أن يكون القصد واضحاً وصريحاً في ازهاق الحياة، اما مجرد القصد غير الواضح وغير الصريح والغامض فانه لاينطبق على حاله القتل من باب الرحمة حي يرحل المريض من عالمنا بكرامة.

وقد وضعت اللجنة المركزية للجمعية الملكية الطبية الهولندية عام ١٩٨٤م شروطاً جوهرية يجب على الأطباء اتباعها عند تنفيذ القتل من أجل الرحمة « وأكد القانون هذه الشروط وهي:

١) ان يكون طلب المريض عفوياً «بدون إحياء من أحد».

٢) ان يكون صاحب الطلب قد فكر جيداً قبل أن يقدمه.

٣) ان يتأكد من رغبته في الموت.

٤) ان تكون المعاناة من المرض قد وصلت إلى درجة غير محتملة.

٥) ان تجري مشاورات ومناقشات بين المريض وآخرين قبل توقيعه على قراره.

فإذا تأكد الطبيب أن هذه الشروط واضحة وثابتة فإنه يصبح على يقين جازم بأن المحكمة التي يقيم المريض في دائرتها لن تلاحقه قانونياً.

وخوفا من استغلال البعض للقانون وخاصة ذوي النفوس الضعيفة في ارتكاب جريمة قتل عادية للتخلص من إنسان مريض وضعت قواعد واجراءات وعقوبات لتطبيقها في حالة عدم ثبوت القتل من باب الرحمة، ويخضع القتل من أجل الرحمة للقانون الجنائي وتطبق عليه أحكامه.

آلاف الحالات يرغبون في الموت

ويعد تنفيذ هذا القانون الذي يبيح القتل ويقننه بالنسبة للمرضى الميئوس من

شفائهم أجريت دراسة استطلاعية استمرت ستة أشهر بين الأطباء وشلمت ٤٠٥ أطباء وكانت نتائجها كالتالي:

١- في عام ١٩٩٠م جرى في هولندا ٢٣٠٠ حالة قتل من باب الرحمة تمثل هذه النسبة ١,٨٪ من إجمالي مجموع الوفيات في هولندا.

٢- في ٤٠٠ حالة من هذه الحالات قدم الأطباء معونات للمرضى حتى يتخلصوا من حياتهم، وفي جميع هذه الحالات كان المرضى ممن يستحيل شفاؤهم، وفي ٧٥٪ من هذه الحالات توقع الأطباء علمياً ألا يتجاوز المتبقي من أعمارهم سوى أربعة اسابيع على الأكثر.

٣- من عام ١٩٨٦م حتى عام ١٩٨٩م كان هناك خمسة آلاف طلب سنويا، من مرضى يطلبون تخليصهم من حياتهم رحمة بهم، ونفذ الأطباء عمليات قتل من أجل الرحمة في ألفي حالة من الآلاف الخمسة الذين تقدموا بطلباتهم ومعظمهم كانوا مرضى بالسرطان، وحاليا أمام الأطباء، السلطات الصحية ١٥ ألف طلب من ١٥ ألف مريض يطلبون مساعدتهم للتخلص من الحياة.

تحريم قاطع

وانتشار مثل هذه الدعوة غير الإنسانية في المجتمع الغربي يدل دلالة واضحة على الانحطاط والسقوط الذريع لحضارة الغرب المادية، هذه الحضارة التي تهدر قيمة الحياة وتجعل الإنسان مجرد آلة، كما تؤكد هذا الدعوة عظمة الإسلام ونبل شريعته التي تحترم النفس البشرية احتراماً لاحدود له، وتضع كل الضمانات التي تحمي هذه النفس وتحقق لها عزتها وكرامتها بعيداً عن المزايدات، فالإسلام يحرم هذه الدعوة تحريما قاطعاً لانها قتل للنفس التي حرم الله قتلها، ولايبيح ذلك لمن يشرف على العلاج حتى ولو كان بإذن المريض، والمريض ان أذن به يعد منتحراً. ذلك لأن حياة الإنسان في ظل الإسلام قيمة في حد ذاتها وحق الهي مقدس جاءت كل الأحكام والشرائع للحفاظ عليه وحمايته قال تعالى: ﴿ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ [الاسراء:٣٣]، والحق الذي تزهق به النفس هو مابينه رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود: «لايحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»، والمارق من الدين التارك [متفق عليه].

وينذر الحق سبحانه من يعتدي على النفس البشرية بأشد العذاب فيقول تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما﴾ [النساء:٩٣].

والإسلام لايحمي حق الحياة للإنسان من غيره فقط، بل يحميه من نفسه فليس للإنسان الحق في ان يعتدي على نفسه، أو يعرضها للمهالك او يضع نهاية لعمره، ولذلك حرم الإسلام الانتحار واعتبره جريمة كبيرة في حق النفس، ففي الصحيح: «كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكينا فجز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، فقال الله تعالى: «بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة».



وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان الرسول ﷺ قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً».

لايأس من رحمة الله

والإسلام له نظرة خاصة للمرض حيث يعتبر ابتلاء من الله سبحانه لعبادة وهو مكفر للذنوب، والمسلم مطالب بالصبر على مرضه، وحق المريض في الحياة وفي العلاج حق مقدس فليس في الاسلام مايسمى «القتل بدافع الرحمة» بل أن ذلك هو اليأس من رحمة الله، ويجب على المسلم ألا ييأس من روح الله مهما تدهورت صحته واشتد مرضه، وألا يستبعد الشفاء منه فالله سبحانه قادر على كل شيء. قال تعالى: ﴿ولاتيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف:٨٧].

ففكرة التخلص من الحياة بالنسبة للمريض غير مطروحة اطلاقا في مجتمعنا المسلم بل ان مجرد تمني الموت لكي يستريح المسلم من عذابه ليس مطروحاً، لان غاية المؤمن هي رضاء الله، وقد روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «لايتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به فان كان لابد متمنيا للموت فليقل: اللهم أحيني ماكانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

فالمرض الذي يصيب المسلم ابتلاء من الله، ووسيلة من وسائل تكفير عن الذنوب، وهو قضاء من الله يجب أن يقبله ويرضى به ويصبر عليه، لأن في صبره عليه خيراً له، فقد روى مسلم عن صهيب بن سنان إن رسول الله ﷺ قال: «عجباً لأمر المؤمن ان أمره كله خيروليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له، وان اصابته ضراء صبر كان خيراً له».

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من تعب ولا وصب ولا هم ولاحزن ولا أذى ولاغم حتى الشوكه يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه».

وموقف المسلم من مرضه في حال المرض ليس الا تطبيقا للنظرة الإسلامية المتميزة التي يواجه بها كل مشاكله في الحياة وهو موقف رائع يتفرد به الإسلام، فالمسلم يكره المرض ويحترز منه ويسعى لتجنبه والوقاية منه، ولكن إذا حدث وأصيب به فإنه يتقبله كقضاء وقدر وابتلاء ويصبر عليه، وفي نفس الوقت يسعى للعلاج منه باتخاذ كل مايمكنه من وسائل وأسباب، ومنها العلاج المادي والتقرب إلى الله سبحانه حتى يتحقق الشفاء بإذنه تعالى، فإذا ماتحقق، فليشكر الله على نعمة العافية والا فليصبر وينتظر قدر الله سبحانه بانتهاء أجله □

مجالات الإبداع في الأدب الإسلامي [١/٢]

من بين ما اتهم به الأدب عندما يعبر عن التصور الإسلامي، أو ينبثق في إبداعه من رؤية إسلامية، أنه سيضيق الخناق على الأدب المبدع، ويحد من رفرفة روحه وخياله في المجالات المختلفة، والآفاق المتعددة، آفاق الإنشاء الأدبي، وأن الأدب الإسلامي سيتحرج من عرض بعض المشاكل، اجتماعية كانت، أو سياسية، أو اقتصادية.

كما سيقف عند المرأة، والتعبير عن بعض مشاكلها، وقضاياها، وعلاقاتها بالرجل (الجنس) ومايرتبط به من الشرف والعرض وما سوى ذلك.

بقلم: كمال سعد محمد خليفة

وإذا كان ذلك كذلك، فإن الأدب الإسلامي وأدباءه، سيتقوقعون على أنفسهم، ولايتفاعلون مع المجتمع الذي يعايشونه.

نقول لهؤلاء: إن الأدب الإسلامي، وكذا الأديب المسلم، ليس باستطاعتهما الخصام مع الحياة، أو الهروب إلى عصور قديمة، أو إنكار ما يعتلج على مسرح الحياة، من قضايا ومشكلات، فيما أن الأدب الإسلامي، والأديب المسلم، نصب أعينهما الإسلام، فلا يمكن بحال من الأحوال أن ينفصلا عن الحياة. فالإسلام كمنهج وعقيدة، ودستور حياة، دين شمولي: فالأدب الإسلامي يتسع اتساع هذه الحياة الشاملة.

والأديب المسلم شديد الارتباط بمجتمعه (فيقوم بتوصيل رؤية الإسلام للكون والحياة والعالم والإنسان، لابمفاهيم تجريدية، وأفكار صادقة، ومقولات قاطعة كالسكين، ولكن بالصورة المشخصة، والتجربة المعاشة، والخبرة، التي يجرى الدم في خلاياها وشرايينها فيبعث فيها الحياة، ويجعلها تضحك وتبكي، وتفرح وتحزن، وتتوحد وتتمزق، وتشرق وتغيم، وتظهر وتغيب، وتحيا وتموت) (١).

الأديب المسلم يتأثر بواقعه ويقوم بمعالجته

فلايمكن أن ينسلخ الأديب المسلم عن المجتمع الذي يعيش فيه، وعلى ذلك فإنه سيتأثر بواقعه، ويقوم بمعالجته من خلال رؤيته الخاصة. فالحد الفاصل بين الأدب العظيم والأدب التجاري هو أن الأديب العظيم – هو الذي – يستطيع أن يؤثر في مجتمعه، وأن يكسب رضاه، دون أن يخضع لإرادة هذا المجتمع، بل ربما استطاع ذلك وهو يقف معارضا لهذا المجتمع. والأديب التجاري: هو الذي يتملق الجماهير، ويخضع لها، ويترك إرادته تذوب في إرادتها، الأول: هو الذي يؤدي دور الأديب الحق في مجتمعه حين يتأثر بهذا المجتمع، ثم يحاول التأثير فيه، وهو تأثير له خطورته، لأن له خطته، وهدفه، أما الثاني: فلايمكن أن يكون عامل دفع في مجتمعه، لأنه سيترك المجتمع يدور في نطاق ذاته (٢).

كما أن الأديب الإسلامي، لايمكن أن يعقل مايجري على مسرح عالمه الإسلامي، من مشكلات سياسية أو اقتصادية، أو اجتماعية، فالأديب المسلم فرد يتفاعل مع المجموع الذي يشكل هذه المواقف والأحداث، فالأدب الإسلامي بإمكانه أن يحقق (حدا أدنى من التوحيد الإسلامي في الإحساس والرؤية والتجربة، في عالم دوره التمزق والتباعد، والقطيعة، وسوء التفاهم والبغضاء، فينزل إلى ساحة الأمة.شعوبها وجماهيرها الساحقة يتحدث عنهم وإليهم، ويجسد أمام وعيهم أهدافهم الضائعة، ومطالبهم الملحة، وآمالهم المرتجاة، لكي يحكى عن الآلام التي تجمعهم، والمصائب التي تلفهم، والويلات التي تطحنهم، والمؤامرات التى تحاك ضدهم، فيحضهم على التحرك من أجل قطع أيدي الكبار التي تمتد صباح كل يوم لكي تولم عليهم. على أرضهم وكرامتهم وشرفهم وأموالهم فتجعل منهم القصعة التى حذر منها الرسول ﷺ من أن تتداعى عليهم الأمم يوما رغم أنهم كثيرون.

الأدب يوسع المفاهيم

ولهذا فيعتبر الأدب هنا الضوء، أو الاشارة، والمعاونة، والأمل، والقدرة على التجاوز والانطلاق فيشد ملايين المسلمين على هم واحد، وإحساس واحد، ورؤية واحدة ومصير واحد. لقد بعثرتهم السياسات. فأحرى أن توحدهم الكلمات. فإن الأدب وإن كان غير السياسة، إلا أنه سياسى، بمعنى أنه لايزال يوسع مفاهيمنا عن الحرية الإنسانية (٣).

هذه حقيقة، ولكن هناك عديد من التساؤلات التي تضطرم في قلب الحياة، والتي لها علاقة وثيقة بالتغيير المستمر في الحياة، ومرتبطة كذلك بالفلسفات والدعوات الفكرية والمذهبية الجديدة في أرض الواقع. فهل للأديب المسلم أن يصم آذانه عن هذه التساؤلات.؟؟

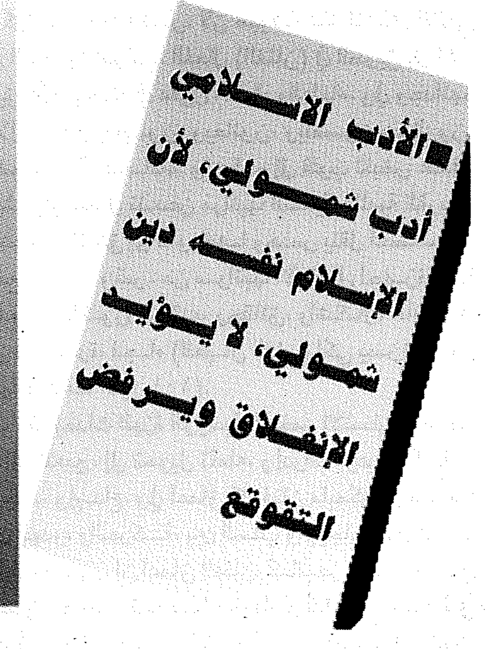
بالطبع ستكون الإجابة بالنفي. لأن الأدب يعيش الحياة بكاملها، ويعكس تأثر الأديب بهذه الحياة. ولكنه يحتاج إلى الشجاعة والمواجهة،

والتصور الفكري الواعي الصحيح.

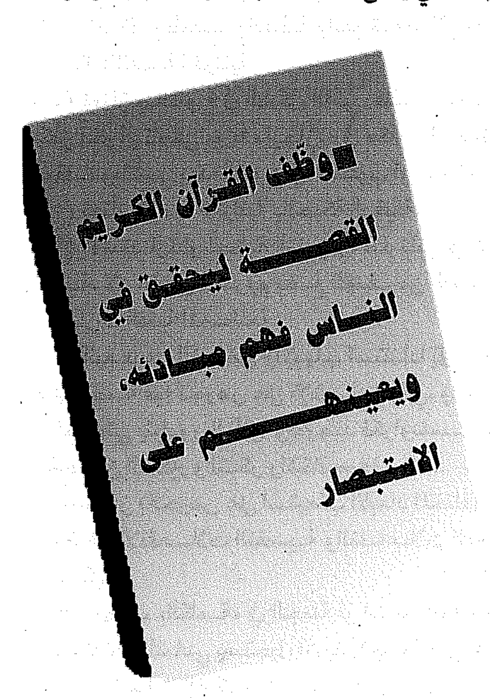
ونجيب الكيلاني يجيبنا في هذا المقام بأن هذه المواجهة، وتقديم العلاج، يحتاجان إلى شيئين هما: (٤).

الأول: توصيف الظاهرة، ومعرفة أبعادها، وأساليبها، ودوافعها، والخط المتوقع لمسيرتها، ونهايتها أو تطورها، إلى ماهو أخطر (أبعد) وأعقد، وإدراك أبعادها الداخلية والخارجية.

الثاني: التصور الفكرى، أو المنهج المناسب. أو العقيدة الراسخة التي يمكن استخدامها في التقويم والتقييم، وفي معالجة هذه الظاهرة حتى تستقيم الحياة، وتكون أكثر بهجة وسعادة.



■ لا يستطيع الأديب المسلم أن ينسلخ عن واقعه ولا عن مشاكل عصره، وتجاهل الواقع يتعارض مع (الأمانة) ومع (التفاعل الانساني)



فهذا أسلوب عام يعتمد عليه في تشخيص الظواهر (فكرية وسياسية واجتماعية) والتعامل معها ومعالجتها، إلا أن طريقة الفنان المبدع، تختلف في أسلوب الوصف والمعالجة، لأنه يتميز بخصوصية في العرض، والتصوير والأداء، كما يتميز بالتركيز على جانب معين ينفذ من خلاله إلى هدفه، حتى يحقق قيمة الجمال الأساسية للفن، إلى جوار قيمة النفع (المتعة والمنفعة للمتلقى) (٥).

الأديب المسلم لاينعزل عن الناس

فالأديب المسلم لايمكنه أن ينطوي أو ينعزل عن الناس، أو الحياة فلذا تكون مجالات الإبداع والابتكار في الأدب الإسلامي، واسعة - وستظل - سعة الكون والحياة، بأكثر مما يتخيل متخيل في أي لون من ألوان الآداب الأخرى (٦).

كما أن الإسلام كفل للأديب الحرية في ظل التصور الإسلامي، ليتناول كل مايعن له من مشكلات وقضايا، وليس حكما عليه إلا الشكل الفني الذي يرضي أذواق النقاد، ويجذب القارىء ويرضى عنه الآخرون، وكذلك مسؤوليته ووعيه بما يقدم من فكر، أو يرشد إلى سلوك أو يعبر عن علاقات، في ظل هدي قرآني عظيم. ﴿مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (٧).

فعلى الأديب أن يستشعر هذا الكون كله بجميع أشيائه، بإحساس المسلم المرهف، ثم يعبر عنه التعبير اللائق، بهذا الإحساس غير المتصادم، أو المتناقض مع الرؤية الإسلامية ثم يفعل بعد ذلك مابداله من معطيات في الشكل الفني، وعلى ذلك يصبح الأديب باستطاعته أن يبدع في مجالات الكون كله.

والقرآن الكريم معين الأدب الإسلامي الثر، وتربته الخصبةوالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي يموج كل منهما بالصور الزاخرة، والمواقف الباهرة، والصراعات - المتأججة، بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة، والحرية والاستبداد، والظلم، والعدل والصدق، والكذب.وما إلى ذلك من موضوعات شائقة، تغري بالأدباء أن ينهلوا، بل وينطلقوا منها في محاولة مايسمى (بالإسقاط) أو الاستدعاء، في الفنون - التعبيرية الإبداعية. كما أن هذا التراث الحضاري للمسلمين مليء، خاصة القرآن الكريم، بالقصص الفني الفذ الرائع، وزاخر بالأشخاص، والنماذج الإنسانية الحية في قصص، يوسف (عليه السلام)، وعيسى وأمه مريم (عليهما السلام) وأهل الكهف، وموسى وأخيه هارون، وصراعهما الطويل مع فرعون، وإبراهيم وابنه اسماعيل (عليهما السلام) وقصص اليهود مع جميع الأنبياء. وغيرها من القصص المفعم بالصور الفنية، والجمالية.

خصائص القصة القرآنية

فالقرآن الكريم. مدرسة الأدب الإسلامي الأساسية. وهاك بعض خصائص القصة القرآنية السامية التي أبدعها البديع، والمبدع لكل شيء (٨).

١) ارتباطها بالحقيقة والواقع التاريخي.

مجالات الإبداع في الأدب الإسلامي

٢) أنها أحسن القصص بأسلوبها ومضمونها، وتأثيرها وغايتها. فالقرآن الكريم مدرسة متميزة في الأداء القصصي، وضع الأسس الصحيحة لفن الكلمة الجميلة المؤثرة.

٣) أنها تقدم للتعليم والعظة والعبرة. فضلا عن المتعة الفنية الرائدة في جمالية القصة القرآنية.

٤) تمتاز بالتنوع في الشكل الفني، فتكون طويلة حينا، وقصيرة في مكان آخر أو تحكي جزءا بإيجاز، وفي مكان آخر بإطناب، حسبما يقتضي الموقف، ويقضى بهذا التنوع في الأسلوب أو العرض أو الأداء.

٥) تمتاز القصة القرآنية بالحبكة الدقيقة.

٦) الاستثارة أو لحظة التنوير، قد تأتي في شكل عبرة أو عظة أو حكمة، لأن القرآن الكريم يضع الهدف من القصة (المضمون) فوق الاعتبارات الفنية المصطنعة.

٧) البعد عن الغموض والإبهام، استنادا إلى طبيعة القرآن، ومن ثم فإن القصة فيه تحرص على الإشباع العقلي، والوجداني دون حيرة أو إبهام، حتى يتبلور التأثير ويتوحد فكراونفسا ويمهد السبيل لرحلة جديدة من التفكير والتذكر واتخاذ موقف واحد.

٨) تمتاز بالحرص على استيعاب الأبعاد المختلفة للشخصية، وخاصة في نطاق الانفعالات النفسية والتفاعلات العقلية.، والممارسات السلوكية.

٩) توظيف «الكلمة» في الجملة أو النسق العام، توظيفا فريدا بحيث تبدو كعنصر أساسي يستحيل أن يتم البناء الفنى بدونها.

١٠) الإيجاز والتركيز، أو مايسمى «بالتكثيف» وإذا جاء تكرارا فيبدو وكأنه صيغة جديدة. قمة في الإبداع والإشراق، تبعث على الاهتمام والمتابعة، والشعور بالاستمتاع والرضى والحماسة، عند كل المستويات (الثقافية) دونما ملل أو ضجر.

١١) التركيز على القضايا الأساسية في حياة الانسان كقضايا، التوحيد، والعبادة، الخير، العدل، الحرية، الصدق، الجهاد،الإيثار، الوفاء، المحبة، العلاقات الإنسانية، الصبر والاستقامة. إلخ من هذه القضايا التى تشكل حياة الانسان ومستقبله الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

القرآن الكريم حافل بالصور الرائعة للحياة

ومن الصور الرائعة التي يزخر بها القرآن الكريم، هذه الآية التى تصور حقيقة الحياة الدنيا: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأزينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ (٩).

أرأيت معي، لو أننا ذهبنا نضع من الصور الفنية مايفوق الجودة والبيان، هل كنا ننجح فينقل هذه الصورة الرائعة، التي تملك على القارىء والسامع معا، وجدانهم وتستلب ألبابهم، وتسكن من نفوسهم موقعا لايمكن بحال من الأحوال أن تأخذه أي صورة من إبداع الفنان، مهما علا شأنه، ورسخت قدمه في الفن والإبداع؟

نعم إنه إبداع البديع. بديع السموات الأرض، سبحانه وتعالى، عما يقولون علوا كبيرا.

وإذا ذهبنا نستقصي هذه الصور لما اتسع البحث كله لهذه الصور الجميلة الرائعة ففي كل آيه، وفي كل جملة وفي كل كلمة من القرآن الكريم، إبداع وروعة، وجمال مبهر ومعجز، ينمي فينا رهافة الإحساس، ويرتفع بنا إلى درجة يعتبر فيها الإنسان متذوقا حساسا.

فالقرآن الكريم في دعوته تجاه الطبيعة يعرف كيف يخاطب كينونة الإنسان، ويحرك كل مكنونات النفس، لأن طبيعة هذا التشكل الإلهي الفذ تقود الإنسان السوى الإيجابى، الفعال (الفنان) في الطريق إلى الله، بهزه الإيمان العميق الذي يحدثه في عقول الأدباء والعلماء، وفي وجدانهم وأفئدتهم فمن خلال رؤاهم يعاينون، ويعانون، ويلمسون وينظرون، ويسمعون، فتهزهم المعاينة والمعاناة. وتحيلهم إلى قلوب تنبض عشقا، وشوقا، وهياما، وشعرا، وعقول تندعن مرائيها النفعية، المادية القريبة، فتحطم جدران الأشياء. وتنطلق إلى ماوراءها وحدس ينقل أحساسيس الإنسان، من سمع، وبصر، ولمس، من مراتبها الأولى الى أجهزة فذة عجيبة للتعامل مع مافي الكون من قيم، وحقائق، وأشكال، غابت عن الأسماع والعيون أول مرة، فجاء (العيان الفني) لكي يمزق عنها الأستار ويعيد إليها صفاءها الأول (١٠).

فالطبيعة لاتقف عند إحداث الهزة الروحية في نفس الإنسان فحسب، لكنها تدفعه دفعا إلى التعبير، إلى تحويل تأمله، وإدراكه، وعيانه السلبي إلى فعل وحركة، وجهد، وإبداع، وفي أعماق كل فنان مايمكن أن نسميه: تقابلا منغما بين الهدوء والحركة، بين السلب والإيجاب، بين الأخذ والعطاء، بين التقبل والتعبير. إن أعماق الفنان، كالبحر الذي يضم في اللحظة الواحدة هدوءا حاليا وتمخضا مخيفا، أو كالسيمفونية التى تحتوي علي نغمتين متناقضتين، لكنهما في المدى النهائي للحن، موحدتان (١١).

القرآن الكريم يحث على الإبداع

فهكذا القرآن الكريم لم يقف حيال الطبيعة موقفا جامدا، ولكنه التحم معها، ونحوها لأداء المهمة الرئيسية لها، ألا وهى اثارة كوامن النفس البشرية، وحثها على الإبداع في ظل رؤية إيمانية عميقة: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ (١٢) و﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (١٣).

فهذه الطبيعة ما أرحبها وأوسع آفاقها، ألم يكن الأدب الإسلامي تعبيرا فنيا جماليا عن الكون؟ أو بعد هذا يتهم الأدب الإسلامي بتضييق آفاق الإبداع، وتحجيم انطلاقه، وهوربيب القرآن الكريم، ومنهله العذب، وغديره الدفاق؟

في القرآن الكريم أيضا من النماذج المتقابلة، مايذكي الصراع ويلهبه، ويثير المفارقات بين عدد من المظاهر، والمواقف، والشخصيات، مايدهش العقول، ويأخذ بالألباب، ويحفزنا على البحث والتأمل والمتابعة، مما يعد مجالا خصبا للإبداع الأدبي في ظل هذه المعطيات الفنية الراقية مما زخرت به القصة القرآنية كالصراعات المتعددة بين يوسف عليه السلام

واخـوته، وبين مـوسى وفـرعـون، وبين موسـى واليهود، وبين محمـد ﷺوبني قـومه، وعيسى بن مـريم وقومـه،ونوح عليـه السلام وابنـه وامرأته، ولـوط وامراته. كل هذه الصراعات تبلـورت من خلال حوارات رائعـة لاتملك من الكلمات مايمكن وصفهـا بـه من نوع القـوة والإيحاء والعمق صياغة رائعة وجديدة ﴿من لدن حكيم عليم﴾ (١٤).

القرآن الكريم فياض بالقصص الرمزي

هذا فضلا عن فيضان القـرآن الكريم فيما يمكن تسميته «بالقصص الرمـزي» (١٥) وهو قصص أسبـاب نزول آيـات القرآن الكـريم، فإن كثيرا من الآيـات كـانت تنـزل لأسبـاب وكـان لهذه الأسبـاب قصص يستحضرهـا الذهن عنـدما نستمع أو تقـرأ هذه الآيـة صاحبـة السبب كـآيـات الظهـار وغيرهـا. كما يـزخـر بـالقصص النفسي والتربـوي والاجتماعي، الـذي عنيت به كثير من الـدراسات الفنيـة الفذة المرتبطـة بالقرآن الكريم (١٦) لها من الأهميـة والفائدة مايجعلنا نقف مشدوهين أمامها حيث تعمقت وأظهـرت فيضا من هذا الجانب (الفني/ الأدبي) في قـرآننا العظيم. فـالقرآ ن الكـريم - كما قلنـا - جاء ليخـاطب كينونـة الإنسان. عقله وحسه، روحه وأعصابه، وجدانه وجسده، أحلامه ورؤاه. ومن هنـا انبعث من بين دفتيـه آلاف الخريجين على مر العصـور، كلهم كانوا ذواقين،كلهم كانوا (فنـانين)، لأن مخاطبة كينونة الإنسان لاتؤتي ثمارها، إلا بأن تصـاغ النداءات والتعـاليم، وفق أكثر الأسـاليب روعة، وجمالا، وأشدها استثارة لطاقات الإنسان ومكوناته جميعا فكرا، وقلبا، وعقلا، وضميرا، وفـؤادا، وعاطفـة، وروحا، وأحـلاما، ووجـدانا (١٧). فـالأدب الإسلامي، ينهل مـوضوعـاته، وإبـداعاتـه من القرآن الكـريم والتاريخ الإسلامي وحياة الأنبيـاء، والقادة المسلمين، فمجالاته متسعة اتساع هذه الحيـاة، ورحبة رحابة القرآن، والتـاريخ الإسلامي والحياة. والكون والإنسـان بقيمه وفضائلـه، ومتقابلاتهما وصراعـاتهما، بل إنه متسع أيضا اتساع الحياة الاخرى التي ينتظرها المسلم وماوراءها.

إذن، فبوسع الأديب المسلم أن يتنـاول كل مايحدث له من تجارب، أو ينضح به مجتمعـه من قضايا، وصراعات وأحـداث، وعلائق مختلفة، في هذه الحياة المضطرمة بكل مافيها ومن فيها، في ظل تصور إسلامي واع، ومسؤول مسؤوليـة كاملة عما يقول قال تعـالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (ق/١٨) أو مايعالج من تلك القضايا و الموضوعات.

فباستطـاعة الأديب أن يتحـدث عن الإنسان بـاعتباره خليفـة الله في الأرض، فهو ليس ملاكا، ولا إلها، ولا راغبا في أن يكون كذلك، فينظر إلى الإنسان على أنه عنصر ايجابي في هـذا الوجود، لاكما سالبـا تتحكم فيه قوى الحيـاة، من الاقتصاد والسيـاسة والمادة. ومـا إلى غير ذلك، فيراه انسـانـا ذا قـدرات، وطـاقات تـرفعـه إلى أعلى حين يعـرفهـا، ويحسن استخدامها، ومشتمل كذلك على منافـذ للضعف، ومنافذ للغزو ينفذ إليه منها عدوه الأول. الشيطان..

كما أن الأديب المسلم لايهمل الصراع. بين الحيـاة والموت، بين القـوة والضعف بين المؤمن والكـافـر، بين الصـالح والطـالح، بين الإنسـان والشيطان، ففيـه يجد الأديب المسلم آفاقا محلقة لإبـداعه الأدبي، ولكن عندما يصور الصراع في العمل الأدبي يهتف للإنسان دائما بالصعود من الضعف إلى القوة،ومن الشر إلى الخير ومن الكفر إلى الإيمان.

إذ أن جـانب الهبـوط مـوجـود في الإنسـان لايحتـاج إلى هتـاف، كما لاتحتاج لحظة الضعف إلى تسجيل (١٨).

الأدب الإسلامي لايهمل العواطف

فالإسـلام لايغفل العاطفة، والـرغبات الغـريزية لـدى الإنسان، لكن ماينبغي صنعه في الأنموذج الأدبي، ألا تشغل هذه الغرائز الحيز الأكبر في فن اللوحة الطبيعية لهذا الإنسان.

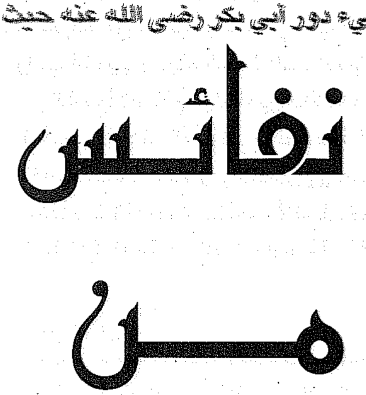
فـالأدب الإسـلامي، والأديب المسلم كـذلك لايهمـلان العـواطف والـرغـائب النفسية ولا لحظـات الضعف، أو على الأقل ألا يمجـد هـذا الضعف أو السقوط أو تطغـي مشاهد الـرغبة والعـاطفة على المشـاهد العظيمـة في حيـاة هـذا الإنسان، ولكن تصـور هـذه الأشيـاء على أنها ضعف، ومنافذ للشيطان، يهتف به الأديب للارتفاع عن هذا الضعف أو السقوط، لأن الأدب الإسـلامي أدب الاستعلاء والرفعـة بهذا الإنسان، وأدب التطويـر لهذه الحياة (أدب للحياة).تلك مهمـة الأدب الإسلامي، الارتقاء، والاصلاح، والتطوير. فالإنسان وان كان غاية العمل الأدبي إلا أنه ليس كل هذه الغـايات، فلقد أخطأ الذين تصـوروه كذلك ولكن هذه الغايـة (حتما ستصل بالإنسان إلى حـالة النشوة الـذهنية التي هى في قمتها سكينة، وأمن، يخلص الإنسان من الإحساس بالضياع أو العبث، لأنها غاية قائمة على العدل والحكمة) (١٩).

الهوامش:

(١) وظيفة الأدب في المفهـوم الإسلامي، مقال مجلة الأمـة عدد (٢٨) السنة الثالثةص: ٨-١٣ د.عماد الدين خليل.
(٢) الأدب وفنونه، ص٤٥، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، سادسة، ١٩٧٦م، القاهرة.
(٣) وظيفة الأدب في المفهـوم الإسلامي. مرجع سابق. ومقـال حول الالتـزام الأدبي في منظورة الماركسي لنفس المؤلـف، عدد الأمـة الخامس والخمسون.
(٤) مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص١٠٢، نجيب الكيلاني
(٥) المرجع السابق، ص١٠٢.
(٦) من قضـايا الأدب الإسـلامي، ص٥٨، د. صالح آدم بيلـو، دار المنارة، أولى، ١٩٨٥م، جدة - السعودية.
(٧) سورة «ق»، الآية ١٨.
(٨) القصة القرآنية والأدب الإسلامي، بـاختصار، مقال مجلة الأمة، عدد٥٦، د.نجيب الكيلاني.
(٩) سورة يونس، الآية: ٢٤.
(١٠) شيء عن الموقف الجمالي في الإسلام د.عماد الـدين خليل. مقال نشر مع مجموعة مقـالات في كتاب (المسلمون والعصر)، فصلي؛ يصدر عن إدارة مجلـة (العربي الكويتيـة) منتصف ينايـر ١٩٨٧م، رقم ١٤، ص١١٤.
(١١) المرجع السابق، ص١١٥.
(١٢) سورة فصلت، آية ٥٣.
(١٣) سورة الغاشية، الآيات ١٧-٢٠.
(١٤) سورة النحل، الآية ٦.
(١٥) هناك دراسـة قيمة لـلأستاذ أحمد محمـد جمال تحمل عنوان (القصص الرمـزي في القرآن الكـريم) صادرة عن دار الكتـاب العربي، لبنان.
(١٦) من هـذه الدراسـات (التصـويـر الفني في القرآن)، (في ظـلال القرآن الكريـم) لسيد قطب. وانظر (في قصص القرآن) لـلأستاذ محمد قطب عبدالعال، و(منهج الفن الإسـلامي) لمحمد قطب، و(منهج القصة في القرآن) لـلأستاذ محمـد شديد، و(القـرآن والقصة الحديثـة) لمحمد كامل حسن المحامي، وغيرها من الدراسات والبحوث في هذا المجال.
(١٧) في النقد الإسلامي المعاصر، ص١٠و١١، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، ثالثة، ١٩٨٤م. بيروت.
(١٨) منهج الفن الإسلامي، ص١٢٢، محمد قطب.
(١٩) نحو نظـرية لـلأدب الإسلامـي، د.محمد أحمد حمدون، دارة المنهل، أولى ١٩٨٦م، جدة - السعودية.



كان النبي ﷺ يأمر بعض صاحبته بتسجيل ماينزل من القرآن، بغية الحفاظ عليه في السطور كما هو محفوظ في الصدور، وقد انتقى لهذه المهمة أصحاباً أجلاء عرفوا بإيمانهم الشديد وادراكهم لرسالة الإسلام ومن هؤلاء: الخلفاء الراشدون، ومعاوية ابن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب، وثابت بن قيس. وغيرهم.
ظل هؤلاء يكتبون جميع ما ينزل في الرقاع وقطع الأديم (الجلد) وعظام الأكتاف والأضلاع، والعسف (جريد النخل) واللخاف (الحجارة الرقيقة) وهكذا دوّن القرآن الكريم كله في حياة المصطفى ﷺ وتحت إشرافه، وإن كان هذا المدون متناثرا بين صحابة النبي ﷺ وهنا يجيء دور أبي بكر رضى الله عنه حيث جمعه، وكان في صنيعه هذا كمن عمد إلى أوراق (تأخذ أرقاما مسلسلة) حيث كان الصحابة على علم تام بل وحفظ لترتيب آياته وسوره إذ جمعها وربطها بخيط حتى لايضيع منها شيء. ثم جاء عثمان رضى الله عنه فنسخ من هذا (المجموع) نسخا ووزعها على الأمصار. من هذه النسخ، ونسخ أخرى عديدة تعد من النفائس وكنوز التراث الإسلامي جمعتها الهيئة المصرية العامة للكتاب بمعرض خاص تجولنا فيه وأطلعنا على محتوياته الثمينة.



نفائس من المصحف الشريف بمعرض القرآن الكريم بالقاهرة

تحقيق: جمال فتحي عبد القوي

مصحف عثمان

يعتبر (مصحف عثمان) من أندر المصاحف وأقدمها، وهى نسخة نادرة ونفيسة، ولعلها هى إحدى النسختين اللتين تكلم عنهما المقريزي في خططه عند ذكره للجامع العتيق حيث قال: «وكان قد حضر الى مصر رجل من أهل العراق، وأحضر مصحفا وأودعه خزانة المقتدر وذكر انها نسخة (مصحف) سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، وأنه كان بين يديه يوم الدار وكان عليها أثر الدماء، وذكر انها أستخرجت من خزائن المقتدر فأخذه أبو بكر الخازن وجعله في الجامع، وقد نقل في حفل كبير، وقد جعل على هذه النسخة من المصحف خشباً منقوشا، وكان الإمام يقرأ فيه يوما، وفي مصحف اسماء بنت ابي بكر يوما، ولم يزل علي ذلك الى أن رفع هذا المصحف واقتصر على القراءة في مصحف أسماء وذلك في شهر المحرم سنة ثمان وسبعين وثلثمائة»..

وقال: «وقد أنكر قوم أن يكون هذا المصحف هو نسخة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه لأن نقله لم يصح ولم يثبت بحكاية رجل واحد».. ثم قال: «رأيت هذا المصحف وعلى ظهره مانصه: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله رب العالمين هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، حمله المبارك مسعود بن سعد الهيثمى لجماعة المسلمين القراء التالين له، المتقربين الي الله جل ذكره بقراءته، والمتعلمين له، ليكون محفوظا أبدا، وقصد بإيداعه فسطاط مصر في المسجد الجامع العتيق ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين، وذلك في يوم الثلاثاء

مستهل ذي القعدة سنة ٣٤٧هـ».

ويوجد بها خرم في مواضع متفرقة، وقد استكمل هذا النقص بخط مغاير لخط النسخة، وكتب بآخرها: قد تم هذا المصحف الشريف على يد محمد بن عمر الطنبولي الشافعي الأزهري بإسعاف وإمداد الوزير الأعظم الجامع محمد عل باشا سنة ١٢٤٦هـ

على ورق غزال

هناك أيضا نسخة قديمة نادرة من مصحف مكتوب على ورق غزال، ويقال إنه مكتوب على طريقة أبي الأسود الدولي في التنقيط، به آثار ترميم ويعيب على هذه النسخة قدمها وعليها بعض البقع وأوراقها غير متعاقبة، وهى نسخة مكتوبة بالخط الكوفي، ويرجع تاريخها الى القرن الثاني الهجري حينما كثر اختلاط العرب بغيرالعرب من الذين دخلوا في الإسلام حديثا وعرفوا اللغة العربية، وصعب عليهم قراءة اللغة العربية بالطريقة التي كانت تكتب بها في ذلك الوقت، فكثر اللحن، مما تطلب تدخلا سريعا فنشأت فكرة وضع قواعد للغة العرب، وتم ذلك على يد أبي الأسود الدؤلي - والى الكوفة سنة ٦٧هـ - وذلك بأن أتي بكاتب يجلس أمامه ويتبع حركات شفتيه وهو يقرأ القرآن الكريم، ومع الكاتب المصحف الشريف.. وقال له الدؤلى: (إذا رأيتني رفعت شفتي ضع نقطة على يمين الحرف. فإذا انتصبت شفتاي ضع نقطة فوق الحرف، وإذا انكسرت شفتي السفلى ضع نقطة أسفل الحرف)، وهذه النقط كانت تكتب بلون يخالف لون مداد الخط.

مصحف حرير

وفي معرض القرآن الكريم بالقاهرة مصحفاً من الحرير لايزال بحالة جيدة ومكتوب عليه (هدية لحضرة الخديوي من أمير بخارى) أما المادة التي كتب عليها فهى من ورق الحرير، محلى باللازورد، وماء الذهب إضافة الى الألوان البديعة والمزركشة والمصحف به أربعة تفاسير، كتب واحد منها في متن الصفحات، والثلاثة بالهوامش وهى تفسير القاضي البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل ثم جواهر التيسير لتحفة الأمير، وهو باللغة الفارسية للمولى حسين بن على الكاشفي الواعظ، وتفسير الجلالين «جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي» وتفسير آخر باللغة الفارسية.

يضم معرض القرآن النسخة الأصلية من المصحف (المنقط) لأبي الأسود الدؤلي، ومصاحف أخرى نادرة منها مصحف على ورق الحرير هدية من أمير بخاري للخديوي إسماعيل

أيضا هناك مصحف آخر من الحرير لكنه على هيئة شريط طوله ٥٥٧ سنتيمترا وعرضة ٧,٥ سنتيمترات، من الحرير الموصول بعضه إلى بعض، كتب في القرن الحادي عشر الهجري، والآيات القرآنية الكريمة مكتوبة فيه علي أشكال هندسية متقنة بالحبر الأسود والخط الثلث.

مماليك وعثمانيون

تعتبر مجموعة المصاحف العثمانية المملوكية على وجه الخصوص الموجودة بالمعرض من أهم المجموعات التى جعلتها أولى مكتبات العالم في مجموعات المصاحف، فهى الأضخم من حيث الحجم، وخطوطها أجمل ودقيقة الصنعة وكتبت خصيصا للمماليك، فكانت وقفاً على مساجدهم ثم جمعت ونقلت إلي دار الكتب.من بين هذه المصاحف مصحف عظيم الحجم كان مملوكا للسلطان فرج بن برقوق، وكتبه عبد الرحمن الصائغ عام ٨٠١ هجرية، واستخدم في كتابته قلما واحدا، وأنجزه خلال شهرين.

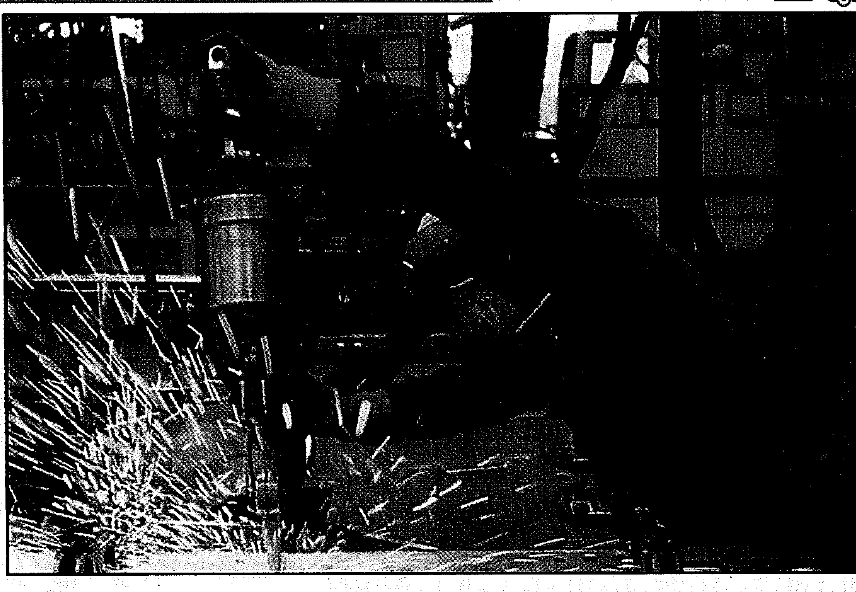
ومن بينها أيضا مصحف السلطان محمد بن قلاوون الذي كتب بالذهب الخالص، ومصحف الأشرف الناصر شعبان، أول من وضع فواصل الآيات وأحكام التلاوة في المصحف الشريف.

أما المصاحف العثمانية فالاهتمام بفن التذهيب فيها اهتمام بالغ، فتظهر المصاحف غاية في الفن والجمال، وكلها بالذهب الخالص، وأحيانا تبدو الصفحات المذهبة وكأنها لوحة رائدة، إلى جانب تذهيب الغلاف وبطانته أما الأوراق فأحيانا يتم تذهيبها دون تحديد أي زخرفة، وأحيانا تزين بعناصر زخرفية نباتية بمداد الذهب تظهر عند غلق المصحف.

الأصغر والأكبر

وأصغر المصاحف حجما بالمعرض هو مصحف عبارة عن نسخة، ثمانية الشكل طولها ٢,٥سم، وسمكها ١,٥سم، وكتب بخط نسخ دقيق جدا وربما كتب في القرن العاشر الهجري، وأسماء السور داخل هذا المصحف مكتوبة داخل مربعات محلاة بماء الذهب، بآخرها خاتم خماسي الشكل.

أما أكبر المصاحف حجما بالمعرض فهو نسخة نادرة حصلت عليها دار الكتب القومية كهدية من نواب بهوبال بالهند سنة ١٩٥٠م وهى مكتوبة بالخط الثلث في القرن الحادي عشر الهجري «تقديرا» وهذ المصحف طوله ١٥٠ سنتيمترا، وعرضه ٩٠ سنتيمترا، وبذلك يعد من أكبر المصاحف حجماً في العالم، ويتكون من سبعة أجزاء، و تتخلل أسطره ترجمة لماكتب باللغة الفارسية، وضع له غلاف من الفضة الخالصة المطعمة برقائق الذهب والياقوت□



– أن هـذه العمليـة إن كـانت قـد تمت في أوروبـا وأمـريكـا في ضـوء فلسفـات وأيـدولـوجيات معينـة.. وتمت في روسيـا أو اليابـان في ظل فلسفات مغايـرة.. إلا أن عملية التنميـة في كـافـة هـذه الحالات تحمل نفس المعنى.. – أنه ليس هناك مايمنع من استخدام التنميـة على أنها عمليـة تكـوين رأس المال بصورة متكررة مستمـرة شريطة أن يتم ذلك كله في ضـوء توجيهات القرآن الكـريم والسنة الشريفة.

كيف يمكن تحقيق استراتيجية إسلامية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية؟!

ضمن إطـار الاهتمام المتزايـد بـالتنمية وربطها بـالتكنولوجيا المتقـدمة.. والسعي إلى تطـوير الاقتصـاد ووسائل الإنتـاج وتحويل المجتمع الإسـلامي إلى قـوة دافعة قـادرة على العمل والجودة بشكل مستثمـر متزايد لـرقي الحياة وتحقيق حد الكفـاية للمواطنين.. وكيف أن الإسلام أعطى لهذه القضـايا الاقتصـادية والاجتماعيـة اهتمامـاً خـاصـاً فـاق كل التصـورات.. لأن تقـدم الأمم يرتكز على حسن آدائها وعدتها لإشاعة الأمن والطمأنينة..

فماذا يـرى الإسـلام في هـذا المجـال حتى يصبح المجتمع الإسلامي مثلاً يحتذى به؟!

وكيف نصل إلى إستراتيجيـة إسـلاميـة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية؟!

وماهي وسائل تحقيق هذه الإستراتيجية؟!

وكيف يمكن تحقيق أهداف هذه الإستراتيجية بعمق وفعـاليـة في أقصر وقـت ممكن؟! تشكل الإجـابة على هـذه الأسئلة هـدف هذه السطـور والـذي يتركز حـول الـوصول إلى استراتيجيـة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ضوء الإسلام ومبادئه وأصوله..

عـرض: حمدي الحلـواني

جهود ربع قرن من الزمان لتحقيق تلك الاستراتيجية

يقول الأستـاذ الدكتـور حاتم نصر خضير الخبير الاقتصـادي المصري: حقيقة أن هنـاك جهوداً قد استمرت قرابـة ربع قرن من الزمان في محاولة للتوصل إلى هـذه الاستراتيجية. وقد تمثلت في طرح البنوك كمؤسسـات مالية تمثل استراتيجية تنمية فعالة في الدول الإسلامية.

نتائج التجارب السابقة

وتتلخص نتـائج ومسلمات التجـارب التي أسفرت عنها هذه الجهود في:

– أن تعـريف التنمية كعمليـة تكـوين رأس المال بصـورة متكررة مستمـرة ومتراكمة هـو التعـريف المقبـول لـدى معظم المفكـرين والباحثين.

– أن العـوامل التي تعـوق التنمية بـالمعنى الـذي سلفت الإشـارة إليـه سـواء في جـانب العـرض أو في جـانب الطلب..في الـدول الإسلاميـة عديـدة ومتشابكـة منها العقبات المادية والإجتماعية والأخلاقية والثقافية ونظم الحكم.. وكل هـذه العـوامـل التي تـؤثـر على التنميـة تجدها في نهاية الأمـر عند تحليلها تنتهي إلى سلوك الفـرد سواء كان مـواطناً أو عاملاً أو مسؤولاً في مؤسسـة..

وكل نماذج التنمية في التاريخ الناجحة منها وغير الناجحة تـرتد في النهاية إلى القـدر الذي أمكن إدخـالـه على سلـوك الفـرد لتغييره أو لتشكيله في الاتجاه الذي يخدم عمليـة التنمية أو العكس.. وآيـة ذلك في تـاريخنـا الحديث ماحدث في ألمانيا واليـابان وروسيا والصين.. ويـؤكـد هـذه النماذج دور المثقفين في حـالـة ربطهم مع الجماهير من خلال المؤسسات التي تتصدى لتحقيق التنمية..

– أن تشكيل سلـوك الأفـراد للتفـاعل مع التنميـة وإحـداثها لايتم في يـوم وليلـة وإنما

يستغرق وقتاً.. وكل التجارب السابقة تشير إلى احداث التغيير المناسب في السلوك قد استغرق وقتاً وصاحبته مآس عديدة ولكنه كان شرطاً ضرورياً للتنمية..

– أن من غير المعقول أن يدور تفكيرنا حول إمكانية تكرر العوامل والقوى التي ساهمت في تشكيل سلوك الأفراد في النماذج السابقة.

– أن النموذج الوحيد الذي تم من خلاله في وقت قصير قلب أعماق الفرد وغير سلوكه تغييراً شاملاً في الاتجاه المناسب ودون عوامل خارجية هو نموذج العهد المكي والمدني في صدر الإسلام..

– توضع كل الاعتبارات السابقة في الحسبان.. وباستقراء الواقع الحالي والظروف المحيطة.. وفي ضوء عناصر وعوامل التنمية كعملية تكوين رأس المال بصورة مستمرة ومتراكمة فإننا نصل صيغة مؤسسة البنك الإسلامي..كاستراتيجية تكاد تكون وحيدة بحكم تكوينها ووظائفها للتصدي بعمق وفاعلية وسرعة للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تعوق التنمية.

مبادىء إسلامية لتحقيق التنمية

يوضح الأستاذ الدكتور عبد الله هدية عميد كلية التجارة جامعة أسيوط: أن الرقي الاقتصادي يستند إلى سبعة مبادىء أساسية هي:

الإستعانة بالمبادىء الإسلامية

١) المبدأ الأول:

الاستعانة بالمبادىء الاقتصادية الإسلامية .. فقد ثبت بالدليل القاطع أن الإسلام دين ودنيا وسلوك وعمل وأداة للتواصل والتقدم المنشود.. فلابد من تكثيف الجهود من أجل الكشف عن الأصول والمبادىء الاقتصادية الإسلامية بلغة العصر وربطها بعالمنا الاقتصادي الحالي.. لأن غلق باب الاجتهاد يعطل الأمة عن مواجهة حاجات المجتمع الضرورية..

وعي الفرد بدوره في صنع المستقبل

٢) المبدأ الثاني:

وعي الفرد بدوره في صنع المستقبل..فلابد من تحقيق الثقة للفرد وتوفير المناخ الملائم لكي يبذل كل جهد نافع .. فالاهتمام بالفرد كشريك أساسي في العملية الانتاجية من أثمن مايملكه الوطن.. كما أن تعاون الأفراد والوعي الكامل بدورهم الإيجابي في صنع المستقبل دعامة وركيزة هامة للرقي والتقدم...

كذلك فإن الإسلام لم يترك العنان للعمل كما أطلقته الرأسمالية الغربية بل ضمن التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع.. وعلى الدولة الإسلامية أن تشجع هذا التوازن.. والإسلام دعا إلى الوسطية في الجمع بين دور الأمة ودور الفرد.. ولن يحدث توازن في الحياة إلا إذا حدث هذا الوسط..

تطوير وسائل الإنتاج

٣) المبدأ الثالث:

تطوير وسائل الإنتاج.. فالإسلام وضع ضوابط للإنتاج بالمال والملكية وتوزيع الدخل واستخدام عناصر الانتاج المتاحة في المجتمع..

وترك لنا أن نستخدم عقولنا في تطوير وسائل الإنتاج لنصل إلى الصيغة التي تتفق مع الدين.. فلابد من الاهتمام بالصادرات ونظم الإدارة واستخدام الموارد البشرية والاقتصادية أفضل استخدام بتحويل المجتمع إلى مجتمع قادر على زيادة الإنتاج والجودة بشكل مستمر ومتزايد سنوياً.. والتصدير للخارج من أهم مبادىء التقدم والرقي الاقتصادي..

تطوير الفكر الإقتصادي

٤) المبدأ الرابع:

تطوير الفكر الاقتصادي لأننا في حاجة إلى تطوير كامل للفكر الاقتصادي. فالتغيير أساسي ويدفع نحو التطوير والارتقاء ونحو التقدم والعدالة.. فعلى علماء الفكر الاقتصادي في عالمنا الإسلامي بذل كل جهد من أجل شمول ووحدة وهدف السياسة الاقتصادية والتنسيق بين أدواتها وإعادة النظر في خطط التنمية الحالية بما يتفق وحاجة أمتنا.. فضلاً عن استخدام الطاقات الموجودة بكفاءة أكثر والعمل على توفير موارد أكثر لرعاية الإنتاج المحلي وجودته.. ومراجعة أنظمة الاستيراد لحماية الانتاج المحلي من المنافسة غير المشروعة.. وتحرير التجارة الخارجية تدريجياً لتحقيق الاستقرار.

الاهتمام بالاستثمارات للمدن الجديدة

٥) المبدأ الخامس:

الاهتمام بالاستثمارات للمدن الجديدة.. فلابد من توحيد قوانين الاستثمار المعمول به حالياً لكي يتولد لدى المستثمرين أكبر قدر من الثقة والضمان والاستقرار..وهذا يتطلب الحد من المتغيرات المتلاحقة في قوانين النشاط الاقتصادي.. ولتيسير تدفق الأموال لتشغيلها والالتزام بالقيم التي تفرض الجدية والانضباط..وإقامة مؤسسات متخصصة في خدمة صغار المستثمرين ..والإهتمام بالاستثمارات في المدن الجديدة بإقامة المصانع ومشروعات استصلاح الأراضي..وتشجيع الأفراد على المشاركة في تنمية المدن وتنشيط المدخرات فيها ولخدمتها في أوجه الحياة المختلفة بها..

ربط التكنولوجيا المحلية بالعالمية

٦) المبدأ السادس:

ربط التكنولوجيا المحلية بالعالمية ..وهوالمبدأ السادس..حيث ينبغي بذل الجهود لتطوير التكنولوجيا المحلية بالوسائل العملية الحديثة فنستضيء بمن سبقنا من الدول المتقدمة في كافة مجالات الحياة المختلفة علمياً وتقنياً واقتصادياً.. ونأخذ منها مايصلح للتطبيق لبلدنا.. ولابد من العمل الجاد للشكف عن الأصول العلمية الحديثة والارتباط بها.. لأن الإسلام لم يغلق باب الاجتهاد.. لأن غلقه يعطل حياتنا الاقتصادية.. ويعجزها عن مواجهة حاجات المجتمع..

تغيير نظام الأداء

٧) المبدأ السابع:

تغيير نظام الأداء.. فيجب الاستمرار في سياسة التغيير في إدارة المؤسسات الإقتصادية لاستكمال تنفيذ البرنامج الكامل للإصلاح الاقتصادي..

فالإسلام قد وضع أسس التخطيط الاستراتجي طويل المدى الذي تقوم عليه كل معايير التغيير المختلفة بالنسبة لكيفية التوافق مع السياسات والأساليب اللازمة لتغيير المجتمع مع المتغيرات العلمية المعاصرة. حتى يمكن للأمة مواجهة التكتلات الاقتصادية الكبرى الغربية..

ويضيف الدكتور عبد الله هدية قائلاً: يجب أن نستوعب مبادىء الإسلام في تنمية المال ثم نحوله إلى برنامج يناسب تكنولوجيا العصر□

محاولة الملحدين فصل الأدب عن الدين

لقد تيقن الغرب أنه لن يستطيع السيطرة على العالم الإسلامي عن طريق الحرب نظرا لما يحتويه الإسلام من منهج حاسم لمقاومة الاحتواء، والانصهار والمحافظة على التميز وعلى استقلالية الذات الإسلامية والتضحية بكل شيء في سبيل حمايتها، ولما كان منهج الإسلام في مقاومة الغاصب وحماية الثغور والمرابطة بها والتضحية بالأنفس والأموال، كل هذا من شأنه أن يقضي على كل محاولة خارجية للسيطرة..

بقلم: أحمد محمد محمد عبد العظيم

حرب الكلمة

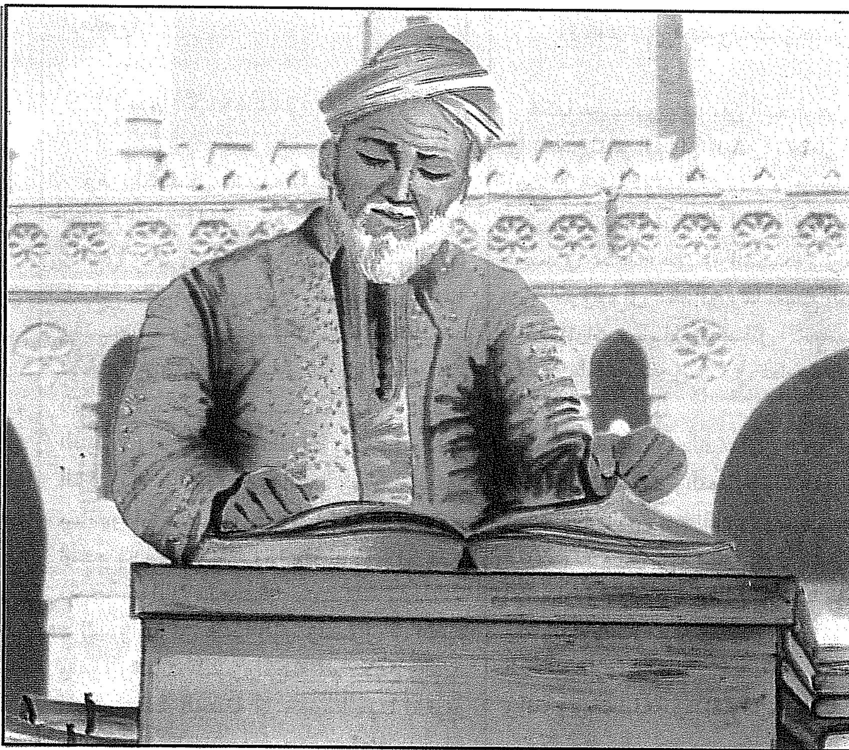
ومن هنا قد اتجهت خطة المؤامرة إلى ما أطلقوا عليه حرب الكلمة بدلا من حرب السيف، وترمي حرب الكلمة إلى تزييف مفاهيم الإسلام فيما يتعلق بالجهاد والمقاومة، ومحاولة إدخال تفسيرات وتأويلات من شأنها أن تقضى على القوة الإسلامية، كذلك العمل على: «الحد من نفوذ اللغة العربية» التي يجب أن تنتشر مع الإسلام ومغالبتها بالعاميات، من ناحية وباللغات من ناحية أخرى وإفساد المراجع وتغيير المفاهيم وهدم المجتمع وإفساد الفطرة الإنسانية بالحديث عن نهاية الحياة بالموت وذلك حتى يفسح المجال أمام الناس للركض من أجل الملذات وانتهابها قبل أن تأكلهم الحروب والقنابل الذرية (١).

وخلق جو من الريبة والقلق والشك والفساد الخلقي والاجتماعي وإيقاع الخلاف والصراع بين الجيرة المتلاقية وإثارة العصبيات التي أدت إلى الحروب والعداوات حتى ظهرت أعمال أدبية تعبث بالقيم الخلقية التي يحرص عليها الإسلام عبثا شديدا وتصور العفن والهبوط والنزوات الجنسية المحرمة على أنها عواطف إنسانية رقيقة جديرة بالاهتمام وتسوغ التحلل والتفسخ وتسعى إلى ترسيخه في أعماق الشباب والشابات تحت ستار المشاعر العاطفية والحرية الشخصية (٢).

فإن هذا اللون الجديد من الأدب الذي روج له الأدباء والنقاد المنسلخون عن العقيدة ودافعوا عنه ودعوا إليه لأنه الأدب الأكثر تعبيرا عن روح العصر وأشواق الإنسان المعاصر كما ذكر د. أحمد محمد علي: قد انغمس في التصورات اليونانية الوثنية والروح المسيحية والتيارات الفلسفية التي تموج بها الآداب الأوروبية قديما وحديثا فإذا نحن أمام أدب غريب علينا في تصوراته وأخيلته ورؤيته للحياة والإنسان والكون والوجود وعالم الغيب وعالم الشهادة ولم تعد كما كانت في ماضي أدبنا الجانح وصفا للعورات وفحشا في القول وقذفا للمحصنات، وإقذاعا في الهجاء، وغلوا في المديح، ووصفا لمجالس الشراب، وغزلا في المذكر، مما يعد خروجا على ضوابط الإسلام..

أدب وثني دخيل

ولكن مما يؤسف له أن هذه الآداب التي طمستها الفلسفات الأوروبية قد تجاوزت ذلك بمراحل كبيرة، فارتدت إلى الجذور نفسها تقتلعها من أساسها وتضع بدلا منها جذورا جديدة لتصورات وعقائد ومذاهب جديدة ماجاء الإسلام إلا ليقضي عليها ويقتلعها من جذورها.. فإن هذا الأدب إذا تحدث عن الألوهية والنبوة والعالم الآخر يقدم تصورا لا علاقة له بالإسلام من قريب أو من بعيد وإذا تحدث عن بداية الخلق أعاد مقالات سفر التكوين: وإذا تحدث عن هابيل وقابيل وإبراهيم وإسماعيل وبقية الأنبياء الماضين فإنما يقدمها في إطار رؤية الكتاب المقدس أو في إطار أسطوري لا حقيقية له، أما الصليب والمسيح والخطيئة والفداء



والصلب والخلاص وبقية مفردات العقيدة المسيحية فهي كثيرة في أدبنا الحديث بمعانيها المسيحية لا بمعانيها اللغوية، وأما الأساطير اليونانية والبابلية والأشورية والهندية والصينية فحدث عنها ولا حرج ومن هنا كان وجه الخطر في القضية، فإن المسألة ليست مسألة شكل فني أفضل، ولا لغة تعبير أرقى ولا طريقة تناول أسمى فكل هذا لا خطر فيه ولا خوف منه، بل وندعو إليه، ولكنها قضية محو وإثبات، محو للتصورات الإسلامية وإثبات لتصورات بديلة مناقضة لها تماما (٣).

وبعد أن فرغ «د. أحمد محمد علي» من كلامه السابق نراه يورد في كتابه نصا من المذكرة التي أفزعت لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر، فقدمتها إلى وزير الثقافة لكي توضح فيها موقفها مما ينشر في مجلة الشعر من شعر جديد: «إن مراجعة سريعة لكثير مما يسمى بالشعر الجديد لتكفي للدلالة على أن أصحابه واقعون تحت تأثيرات إذا حللناها وجدناها منافية لروح الثقافة الإسلامية التي هي الروح المميز لشخصيتنا الفنية على مدى العصور، مما يجعل كتاباتهم مرفوضة حتى لو أخرجناها من دنيا الشعر لندخلها في عالم النشر الفني وذلك لأنها تشيع في كياننا العضوي عنصرا غريبا يهدمه ولا يعمل على بنائه ونمائه.

من ذلك ميلهم الشديد نحو الاستعانة في التعبير بعناصر يستمدونها من ديانات أخرى غير العقيدة الإسلامية، بل ومما تأباه هذه العقيدة كفكرة الخطيئة وفكرة الصلب وفكرة الخلاص ذلك فضلا عما يستبيحونه لأنفسهم بالنسبة لكلمة «الإله» كأنما هي ماتزال عندهم كلمة بمعناها الوثني ولم تتخذ في الإسلام معنى خاصا يجب احترامه مهما كان السياق الذي ترد فيه (٤). وإن كان في الواقع أنه تحت يدي بعض الأعداد من المجلة التي جاء ذكرها في المقال السابق وأخص منه العدد رقم ٦٠ الصادر في ربيع الأول «١٤ أكتوبر ١٩٩٠ ويمكن أن استدل منه على مدى صدق نص المذكرة السابقة فقد جاء في قصيدة «مساء وحيد» لمحمود قرني التي يقول فيها:

■ الحد من نفوذ اللغة العربية يهدف إلى الحد من نفوذ الإسلام نفسه، فاللغة وسيلة الدعوة ومن مظاهر الوحدة

وإني أفسر حلم الأميرة وحيدا
ووحدي الذي سوف يأكل من رأسه الطير
إني الذي سوف يشرب من خمره الله (٥)

فأنا هنا لا أريد أن ألقي بما أحمل من هموم فوق رأس الأديب العربي فأغرقه من شعره إلى أخمص قدميه وأطلب منه موقفا فنيا عقائديا وفلسفة حضارية بل إنني أكاد أبرىء موقف الأديب وأقول كما قال د.يوسف حسن نوفل أكاده. لأن الأديب نتاج بيئته ومجتمعه بما يحمله هذا المجتمع من مثالب ومحامد، فإذا كان مجتمعنا في حيرة من أمره إزاء اصطخاب عاله بغزوات متعددة متلاحقة متناقضة متضاربة أفلا يكون شيئا حتميا أن يحار الأديب ويضطرب (٦).

امتحان حضاري ومحاذير

فنحن الآن أمام موقف امتحان حضاري عسير لا تستحيل منه النجاة بل تجب النجاة منه. لكن ذلك لا يكون إلا بعودة الأدباء إلى أحضان العقيدة الإسلامية والوقوف في وجه كل الذين ينادون بفصل الأدب عن العقيدة فإن الغزو الفكري أو الثقافي هو السلاح الذي يستخدمه أعداؤنا في نشر سمومهم الفتاكة، فلقد أصبح لخططهم هدف أساسي ورئيسي هو الغزو الثقافي، ومن هنا قويت المعاول التي مازالت تضرب في جدار الإسلام، محاولة أن تسرب تحت الأساس المكين شبهات وادعاءات في مجالات مختلفة ولا تزال تتردد بصورة أو بأخرى حتى ظن البعض أنها مسلمات وحقائق خاصة..

إن هذه المحاذير والتراكمات التي تدقها المعاول إن كانت تتصل باللغة العربية من ناحية فتتصل كذلك من ناحية أخرى بالشريعة الإسلامية، وتتخذ من التعليم والصحافة عامة والأدب بخاصة أدوات

محاولة الملحدين فصل الأدب عن الدين

فعالة لتثبيت الشبهات والسيطرة العقلية ووضوح بعض مظاهر التبعية والخنوع، بل الإحساس بالنقص تجاه حضارة الغرب المادية، سواء أكان ذلك الشعور تجاه الفكر بعامة أم بالتقاليد والعادات، فقد عمل الغرب المستعمر منذ مائتي عام على تحقيق أسباب الغزو الفكري في بلاد المسلمين مما خذل أبناء الأمة في شخصيتهم، وجعلهم يضامون في أصالتهم ومجدهم. حيث بدد شعورهم بالريادة ودعا بعض المخذولين منهم إلى صبغ فكرهم في زمن المعاصرة بمعالم التبعية والاحتذاء، بل والضعف الديني وفقدان الشخصية ولقد صدق عز من قائل في وصف هذه الحالة بقوله: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ [البقرة/ ١٢٠].

لقد سخر الغرب المستعمر وسائل ثقافته ومظاهر حضارته من أجل إعجاب الأمم بواقع حضارته وجذب أفكارهم نحوه حتى كادت أن تذوب الشخصية الإسلامية وتتلاشى في شخصية حضارية أخرى، والمسلمون ليسوا في حاجة إلى أن تصرعهم هذه الحضارة المادية، وليس من مصلحتهم أن يذوب وجودهم في خضمها، فالوضع الحضاري للعالم الإسلامي متخلف كثيرا ووضعه الاقتصادي أيضا لذلك أصبحت الشعوب الإسلامية مطمعا للقوى العظمى، وقد نجح بعضها في شد بعض الدول الإسلامية إليها وإلحاقها بتبعيتها، والمدهش أن هذه الشعوب جميعا على ضعفها وتخلفها مازالت تتعرض إلى الغزو الفكري المكثف، وإلى حملات تبشيرية، تنفق فيها الأموال الطائلة، وتبذل لها الجهود الضخمة لقتل ما بقي من شخصيتها الإسلامية ولمحاصرة إسلامها في زوايا المسجد وعزله عن الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية ولتصويره في أحسن الأحوال على أنه تراث مجيد لا يصلح للحياة المعاصرة.

أشكال جديدة من المحاصرة

ومن أشكال هذه المحاصرة أيضا تطبيع الفرد المسلم بطابع المدنية الغربية والشرقية، وملئه بقيمها وتصوراتها وسلخ عقيدته وتغيير ثقافته وآدابه وفنونه وتحويلها إلى مسخ تقليد الآخرين فإن إنسان الثلث الأخير من القرن العشرين يشهد كثيرا من القيم الدينية والروحية ينالها ويسمها بعض التشويه، بل إن بعض الناس قد أصيبوا بانهيار تام أو غير تام في عقيدتهم الدينية فهل كان هذا وليد يوم أم هو نتيجة عوامل متعددة؟

الواقع أن هذا التزلزل في القيم والموروثات الروحية لم يكن وليد المصادفة البحتة أو مصاحبا لتغيير مفاجيء. بل مهد له وسبقه اندفاع حضاري متهور إلى مجالات التقدم العلمي منذ بداية النهضة في العصر الحديث. وكما يعلق د.حسن نوفل بعد ذلك: التطور الحضاري في حد ذاته مرحلة هامة وجليلة في تاريخ البشرية دائما، والأخذ بوسائل التقدم العلمي شيء مشرق في حياة الإنسان، لكن هذا شيء، والالتواء بهذا المد الحضاري إلى غير وجهه تشويها للدين وغضا من قيمة الاتجاه الروحي في سبيل إعلاء الاتجاه المادي هو أسوأ ما في الأمر (٦).

■ الحروب الفكرية لا تقل خطورة عن الحروب العسكرية إن لم تكن أشد منها فتكاً

الاقتباس بضوابط وحدود

فكما هو معروف: «أن البحث عن الجديد والسعي لنمو الجهد البشري وتطور عطائه أمر في فطرة الإنسان ولولا هذه الرغبة المغروسة في الفطرة ما استطاع الإنسان أن يجدد في عطائه على مر العصور ولما انتقل من الكهوف إلى العمائر ولما صنع السيارات والطائرات وسائر وسائل الاتصال إنها رغبة ملحة مغروسة في فطرة الإنسان نحترمها ونرعاها.

ليس الخلاف في ذلك، ولكن الخلاف هو في نهج التحديث والنمو والتطور الذي يدفعه الإنسان منطلقا من رغبته هذه (٧) فالإسلام عقيدة فطرية تلائم نوازع الإنسان وتستجيب لمطالبه وإننا بإسلامنا ونظرتنا الإسلامية منفتحون على كل ما في العالم عارفون ببضاعته وعندنا حياة وإنتاج وبضاعة وبدافع من ديننا نستفيد من كل مفيد، جديد، صالح فليس من المقبول إذاً كما ذكر د.عبدالمنعم النمر «أن نستسيغ كل التصرفات التي يتصرفها غيرنا ولا نستطعمها دينا أو عقلا أو عادة فإن تفاهة التقليد تثير الضحك عادة، والذين يقلدون الفنانين إنما يريدون إضحاك الجماهير (٨)..

والولد الصغير حينما يقلد أخته الأكبر منه ويتحدث عن نفسه بضمير المؤنث يثير فينا الاشفاق عليه، والخوف من أن يتأنث في كبره ويكون مضحكة.. لكن إذا قلد أخته في المذاكرة والاجتهاد كان جيدا أو في الطاعة وتنفيذ التوجيهات.. لأن هذه الأشياء تكبر معه وتكبر قيمته وقدره. أما أن يقلد حتى يتأنث فهذه مصيبة لأنه يخرج بذلك عن طبيعته، فالتقليد والتأثر بالأشياء الحسنة أمر مطلوب ومحبوب، لكن التقليد فيما يضر مصيبة. التقليد الذي يضيع شخصية الإنسان ويهدر قيمته ويمسخ حياته ويبعده عن دينه وثقافته وأصالته كارثة، والمسلم أديبا كان أو غير أديب ينبغي عليه أن يحفظ نفسه وأمته من هذه الكارثة (٩) ويبتعد عن التقليد الأعمى، ولا يكون كالذين رسم الله لهم صورة زرية تليق بهذا التقليد، وهذا الجمود صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا يعني.

بل هم أضل من هذه البهيمة، فالبهيمة ترى وتسمع وهم صم بكم عمي قال تعالى: ﴿مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ [البقرة/ ١٧١]، صم بكم عمي، ولو كانت لهم آذان وألسنة وعيون، ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون فكأنها لا تؤدي وظيفتها التي خلقت لها، وكأنهم إذن لم توهب لهم آذان وألسنة وعيون، منتهى الزراية بمن يعطل تفكيره، ويغلق منافذ المعرفة والهداية، ويتلقى في أمر العقيدة والشريعة من غير الجهة التي ينبغي أن يتلقى منه أمر العقيدة والشريعة (١٠).

الاسلام كلٌّ متكامل

فإن عقيدة الإسلام تستجيب لمطالب الإنسان، فهي عقيدة فطرية تلائم كل نوازعه وإن طاقة الإبداع في الإسلام مثل أي عمل إبداعي يقوم به الإنسان شأنه في ذلك شأن الغرائز والقدرات والطاقات والميول والاستعدادات وكل ما وهبه الله للإنسان ليكون وسيلة للعمل الصالح فلا بد للأدب الذي يكتب أن يكون معبرا عن وجدان الأمة ومشاعرها وأحاسيسها وتصوراتها التي كونتها العقيدة الإسلامية لأن الإنسان هو اللبنة الأساسية لهذه الأمة فشأن الأدب في ذلك شأن سائر الغرائز التي وهبها الله للإنسان يمكن أن يتحقق على صور مختلفة بغض النظر عن الصواب في ذلك أو الخطأ.. فهل ترك الإسلام هذه الغرائز تعمل عملها بدافع الضرورات أو الحاجات والرغبات دون ضابط ولا رابط؟

إن الأمر لو كان كذلك لعمت الفوضى والمفاسد والشرور والفاحشة، وساد الظلم والفساد كما نرى ذلك واضحا وجليا بين الدول التي لا عقيدة لها ولا أخلاق ولكن الإسلام نظم للإنسان كل شؤون حياته ليسير في غاية معلومة فيها مصلحة للفرد والجماعة والوجود كله، وهذا يدلنا دلالة واضحة على الكذب الذي يدعيه أدعياء التطور أعداء الدين: أن الدين عقبة أمام التطور وأن الشاعر المسلم الملتزم بالعقيدة والأخلاق في نظرهم لا يمكن أن يحقق الإبداع إلا إذا انفصل عن الدين وترك الجماعة، حتى أوصد هؤلاء المعادون للدين والأمة الباب أمام الشاعر المسلم الملتزم.

■ يستجيب الاسلام لحاجات الإنسان الفطرية ويهذبها، فهل نحتاج بعد ذلك إلى بديل؟

وكان من نتيجته ظهور عدد من الملحدين الذين يحملون الهوية الإسلامية والاسم الإسلامي. الذين وظفوا أدبهم بحماسة بالغة في النيل من العقيدة الإسلامية، وإشاعة الفاحشة، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى أن يكون هناك أدب إسلامي يعبر عن الشخصية الإسلامية ويجسد تصوراتها عن الكون والحياة والإنسان في مواجهة آداب غصَّت بها ساحتنا الأدبية تجسد تصورات فلسفية ومذهبية وعقائدية غريبة عنا غربة كاملة (١١).

مسؤولية الأديب المسلم

فالمطلوب من الأديب المسلم أن ينطلق من رؤية الحلول الإسلامية في تثبيت القيم من خلال معالجته الصحيحة لها، ولا بأس في استخدام أي من الوسائل لتحقيق أهدافنا وتحسين مبادئنا في أي قالب من القوالب الأدبية كما ذكر د.أحمد السيد محمد «ينبغي علينا أن نعرض عن الرأي القائل بأن الأجهزة الوافدة إلينا من أمم تعادي الإسلام أو لا تدين به لا ينبغي لنا التمسك بها، لأنها تمثل غزوا ثقافيا هداما، فالقوالب الأوروبية في جوهرها وأدائها الوظيفي المعاصر وسيلة من وسائل الإعلام لا يكمن الخير أو الشر في تقنينها وإنما يكمن الخطر في طريق استخدامها ولقد استطاع الفن الروائي العالمي المعاصر أن يغزو جميع الأمم منذ القرن التاسع عشر الميلادي وأن يتسع لجميع متطلبات الناس بتنوع أشكاله وسهولة عرضه.. في كلمات مقروءة أو مسلسلات إذاعية.. أو غير ذلك من وسائل العرض.. فلا مناص لنا من استخدام هذه القوالب استخداما واعيا.. وليس هناك من يحول بيننا وبين ابتكار الشكل الملائم لهذه المضامين ولكن لا بأس من الاقتباس الرشيد» (١٢).

ولكي يخدم هذا الأدب قضايا الأمة الإسلامية ويعبر عن أي ناحية من نواحي الحياة تعبيرا سويا لا يتنافى مع الخلق الإسلامي ومع رسالة الإسلام، ولا شك أن الإسلام لم يلزم الأديب بألا يتحدث إلا عن الدعوة الإسلامية والجهاد الإسلامي، فالإسلام يستوعب الوجود ويستوعب الحياة ولكن ينبغي على الأديب أن يسخر قلمه ليعرِّف الناس بالإسلام لما له في تلك النظرة العريقة وهذه الساحة الرحبة، فإن هناك تباشير أمل على طريق الصحوة الإسلامية رغم كل القوى الهدامة التي تسلطت على الأمة الإسلامية في الفترة الأخيرة بعد توقف المد الإسلامي وامتداد الغزو الأوروبي والثقافة الغربية المعادية للأمة الإسلامية، لذا كانت هناك حاجة ماسة إلى ضرورة وجود الأدب المعبر عن آمال وآلام الأمة والملتزم بعقيدتها السامية□

الهوامش:

١ – أهداف التقريب لأنور الجندي.
٢ – حاجتنا إلى نظرية الأدب الإسلامي، د. عبدالباسط بدر.
٣ – الأدب الإسلامي ضرورة، أحمد محمد علي.
٤ – قضايا ومواقف، عبد القادر القط.
٥ – مجلة الشعر عدد ٦٠ أكتوبر ١٩٩٠م.
٦ – دور الأدب الإسلامي في العصر الحديث، د. حسن نوفل.
٨ – موقف الأدب الإسلامي من الحداثة، د.عدنان علي رضا.
٩ – شخصية المسلم كما يضعها الإسلام. د.عبدالمنعم النمر.
١٠ – في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب.
١١ – الأدب الإسلامي ضرورة، أحمد محمد علي.
١٢ – إسلامية المعرفة، أحمد سيد محمد.

حاسبهم الله على ما يقولون، وحسابه عسير، ولن ينفعهم يومئذ علمانية ولا تنوير، فهم يقولون عن «العلمانية»: إنها عزل الدين عن كل محاور الحياة، ومؤدي ذلك هو إجهاض الدين وتفريغه من محتواه. ويقولون عن «التنوير»: إنه تحكيم العقل البشري وإعلاؤه فوق كافة النصوص، ومؤدى ذلك إخضاع النصوص الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتا قطعي الدلالة، لتمحيص العقل البشري بكل ما يترتب على ذلك من آثار وخيمة.

والمحصلة النهائية لما يهدفون إليه وباختصار شديد أن ما لا تهدمه العلمانية يهدمه التنوير.

وتفصيل ذلك: أن الإسلام كما هو معروف ثلاث شعب رئيسية متكاملة، لا ينبغي أخذ شعبة أو شعبتين وترك الباقي، فهو دين كل زمان وكل مكان.

حلكة الديجور.. في دعاوي التنوير

بقلم الأستاذ:
عمر إبراهيم الراكشي*

شعب الإسلام الثلاث

الشعبة الأولى: هي العقائد والعبادات والشعائر وهي أركان الإسلام الخمسة.

والشعبة الثانية: هي التشريع الإسلامي والتقنينات الإسلامية بشقيها المدني والجنائي. ومن أمثلة ذلك أحكام المعاملات المدنية من بيوع ورهون ومداينة (استقراض) ومزارعة ومشاركة وزواج وطلاق وميراث ووصية ووقف إلى آخر ما قننت له الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات المدنية. أما القانون الجنائي الإسلامي فيتمثل في المباحات والمحظورات من الأفعال وفي العقوبات من حدود وتعازير. كما يتمثل التشريع أيضا في نظم الحرب والسلام ونظام الشورى والحكم في الإسلام. وهذا التفصيل في الأحكام هو بعض ما تميز به الإسلام كدين على ما سبقه من الأديان باعتباره آخر الأديان وآخر ما ارتضاه ربنا للإنسان من أحكام.

والشعبة الثالثة: هي الأخلاق الإسلامية، وهي في حقيقة أمرها محصلة العمل بالشعبتين السابقتين، وتتمثل في سلوكيات الفرد والمجتمع الإسلامي تحقيقا لقوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» رواه أحمد، والبخاري في الأدب.

والإسلام بشعبه الثلاث بهذه المثابة هو نظام حكم، ودستور حياة، ونمط معيشة، يبتغي سعادة المسلم والمجتمع الإسلامي في الدارين.. باعتبار أن الحياة الدنيا مزرعة الآخرة. تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات/٥٦]، ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ [القصص/٧٧]. ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ [آل عمران/٨٥]. وآثار هذين المبدأين الهدامين نستعرضهما بإيجاز فيما يلي:

آثار العلمانية

إن الدعوة الخبيثة للعلمانية تهدف إلى عزل الدين وتنحيته بشعبه الثلاث عن محاور الحياة، وهي في حقيقة الأمر إجهاض للدين وتفريغه من محتواه، فلا يتبقى منه إلا مظهرية الصلاة والحج، فيخرج المصلي من المسجد ليغش المسلمين، ويزوّر ويرتشي ويشهد الزور، ويرجع الحاج من حجه ليفعل نفس الشيء، ومن لم تنهه صلاته فلا صلاة له، فتنهدم الشعبتان الأولي والثالثة، وتصبح العبادة حركات رياضية بلا مضمون وبلا معنى وبلا هدف، ويصبح حديث سيدنا رسول الله ﷺ: «إنما

*محامي بالنقضوالادارية العليا - مصر

بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» غير ذي موضوع، للأسف الشديد.

أما الشعبة الثانية من الإسلام وهي الشرائع والأحكام، فقد نجح الغرب في عزلها عن المجتمع الإسلامي بنسبة كبيرة وهم ما ضون في ذلك، ولم يبق منها في بعض البلاد العربية إلا بعض أحكام الزواج والطلاق، وأحكام المواريث والوصية، أما بقية المعاملات المدنية فهي خاضعة لقوانين من صنع البشر. والقانون الجنائي الإسلامي بحدوده وتعازيره لم يوضع موضع التطبيق حتى الآن في معظم البلاد العربية والإسلامية، وحجتهم - صحت أو بطلت - أنهم لا يحمون بالسياج الجنائي الإسلامي أوضاعا مدنية غير إسلامية ومجتمعا غير إسلامي.

ويستشهدون في ذلك بما فعله عمر رضي الله عنه عندما عطل حكم قطع يد السارق في عام المجاعة، حيث يقع على عاتق الحاكم - ملكا كان أم رئيسا للجمهورية أم أميرا للمؤمنين - أن يوفر لكل فرد في المجتمع عملا شريفا يرتزق منه، بحيث إذا سرق الفرد بعد ذلك يقام عليه الحد، أما قبل توفير العمل له، فإن وزر السرقة يقع على الحاكم نفسه وعلى المجتمع غير المتكافل ويمتنع بالتالي تطبيق الحكم الشرعي بقطع اليد، لأن الفرد في هذه الحالة يكون قد سرق ليقيم أوده ويحفظ حياته.

آثار التنوير

وإذا صحت دعواهم في تعطيل حد السرقة للسبب المذكور، فكيف يصح قولهم عن حد قطع يد السارق إنه عقوبة موغلة في العنف يشوبها اللا إنسانية وضد الحضارة! ويتغافلون بذلك القول الخبيث عن الحكمة الإلهية الكامنة وراء تقرير هذه العقوبة.

وهذا التنوير الذي يزعمونه يصطدم شكلا بقاعدة شرعية أصيلة: وهي أن القرآن الكريم يقعد به ولا يقعد له. كما يصطدم موضوعا بقوله تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [الحشر/٧]، ويصطدم صراحة مع قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ [النساء/٥٩]. ولا يخفي أ ن ما يزعمونه هو أمر يتعدى حدود قاعدتي الاجتهاد والقياس المباحتين.

وبمقتضي ما يزعمونه فلا نستبعد يوما قريبا يجيء يعطلون فيه سريان حكم أو أكثر من أحكام المعاملات أو الزواج والطلاق أو صحة النسب أو المواريث والوصية، فيعطل العقل البشري - القاصر بطبيعته - سريان حكم من هذه الأحكام بحجة أو بأخرى، فتنهار بذلك الشعبة الثانية من شعب الإسلام الحنيف، والتي يتميز بها على سائر الأديان باعتباره آخر هذه الأديان، وآخر ما ارتضاه لنا ربنا من شرائع نسخت ما قبلها.

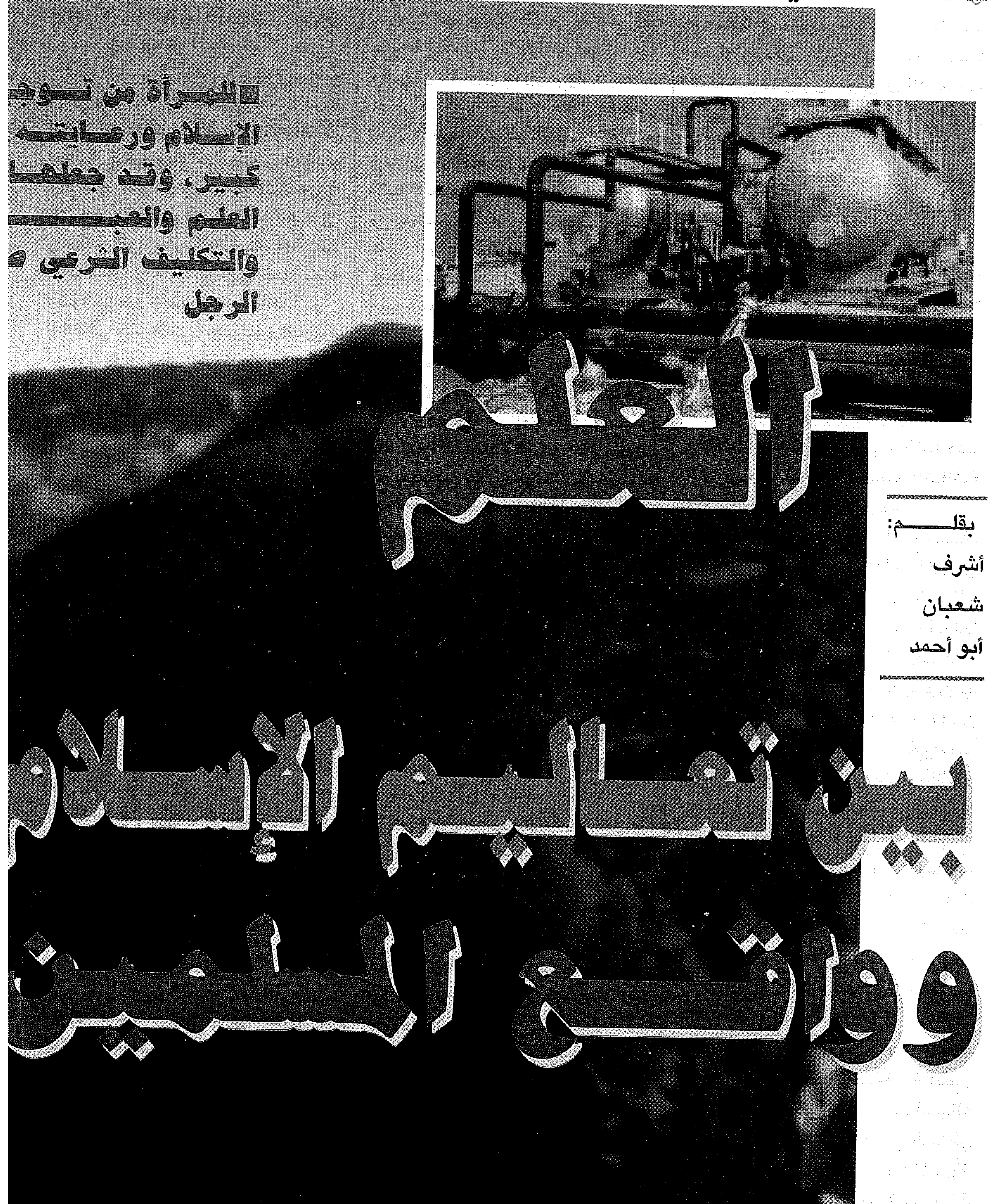
وهم يستخدمون في تنويرهم هذا ما يسمونه بكتب التنوير، وهي في حقيقتها خلاصة فكر الماركسيين والملحدين والمفسدين وأعداء الدين من الشرق والغرب بل ومن بعض من يرتدون عباءة الإسلام، ثم تباع هذه الكتب بأرخص الأثمان تشجيعا على تداولها بين الشباب.

ومما يذكر للإسلام في مجال الشعبة الثالثة المشار إليها وهي شعبة الأخلاق والسلوك، أنه عندما سادت القيم الإسلامية لم يرفض الإسلام كل القيم السلوكية الجاهلية أي القيم الأخلاقية التي سادت في الجاهلية، ذلك أنه من عظمة الإسلام وعدله أنه فرق فيها بين ما هو مستملح مقبول، وما هو فيها مستقبح مرذول، فرأي في الأولى ما هو جدير بأن يستبقيه، ورأي في الثانية ما هو واجب أن ينحيه، فاستبقى قيم الشجاعة والفروسية وإكرام الضيف ونجدة الملهوف وإغاثة الضعيف والوفاء بالعهد، ونحى عادة وأد البنات والأخذ بالثأر والرايات الحمر وأكل الربا وشرب الخمر ولعب الميسر.

لكن الإسلام لا يرتضي بحال من الأحوال أن تهدد كل قيمه السلوكية النبيلة، وأخلاقياته الرفيعة تحت دعاوي العلمانية والتنوير، لأنها هدم للدين ليس فقط في شعبته الثالثة ولكن في شعبه الثلاث برمتها.

مما تقدم يتبين أن «العلمانية» و«التنوير» هما معا سلاحا المقص الذي يقصون به شعب الإسلام الثلاث واحدة بعد أخرى، ويحولونها إلى جذاذات ومفردات متفرقات لا معنى لها، وبهذه المثابة يكونون قد أجهضوا الإسلام وأفرغوه تماما من مضمونه ومحتواه، فلا يبقى منه نظام حكم، ولا يكون منه دستور حياة، ولا يبقى منه نمط معيشة. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن هنا فلا يخفي علينا جميعا، أنه يغدو من واجب كل مسلم أن يتنبه لما يحاك له، وأن يبصر نفسه وأولاده بما هم مقبلون عليه، وأن يقفوا أمام هذه الدعاوي الخبيثة الباطلة لا بالعنف، ولكن بقرع الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، وفضح الوسائل والأهداف، فإذا اصطرع الحق والباطل فالنصر بإذن الله للحق وهو من أسمائه الحسنى، أما إذا اصطرع الباطل والباطل فالغلبة عندئذ للقوة الغاشمة، جعل الله بأسهم بينهم شديدا، وأظهر الإسلام على أعدائه □



■ للمرأة من توجي...
الإسلام ورعايته ...
كبير، وقد جعلها ...
العلم والعبــ...
والتكليف الشرعي ...
الرجل

العلم بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين

بقلـــم:
أشرف
شعبان
أبو أحمد

دعا القرآن الكريم في اكثر من آية الى التفكر والتعقل والتدبر والمشاهدة واستخدام الحواس وهي من أهم وسائل البحث العلمي قال تعالى: ﴿وسخّرلكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الجاثية:١٣]. ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعتاب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ [الرعد:٤]. ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ [آل عمران:١٩١]. ﴿الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ [الملك:٣].



الإسلام يشجع على تلقي العلم مطلقا

كما يدعو الإسلام الى دراسة العلوم المختلفة:

أ) دراسة الدين وفقهه قال سبحانه: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم﴾ [التوبة:١٢٢].

ب) دراسة نفس الانسان والكون بقول الله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت:٥٣].

ج) دراسة التاريخ واحوال السابقين من الأمم والشعوب قال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ [يوسف:١٠٩].

د) دراسة علم الحيوان: ﴿أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت﴾ [الغاشية:١٧].

هـ) دراسة علم الفلك: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ [يس:٣٧].

س) دراسة علم الجغرافيا: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ [الذاريات:٢٠].

ص) دراسة الجيولوجيا: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها﴾ [فاطر:٢٧].

ع) دراسة الكيمياء والفيزياء: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ [الحديد:٢٥]

العلم بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين

غ) دراسة علم النبات والزراعة ﴿فلينظر الانسان إلى طعامه. أنّا صببنا الماء صبّاً. ثم شققنا الأرض شقاً﴾ [عبس:٢٤-٢٦].

وأشاد القرآن الكريم بالعلم والعلماء فكان أول نداء فتح الله به على نبيه ايذانا ببدء الوحي قوله سبحانه وتعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم﴾ [العلق:١-٥].

وبالعلم أعلى الله قدر آدم على الملائكة المقربين: ﴿وعلّم آدم الاسماء كلها﴾ [البقرة:٣١].

وتوضح الاحاديث النبوية دعم الإسلام للعلم فيعتبر العلم جهادا ففي الحديث الشريف قوله الرسول ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» [رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه].

ولقد ذكر أمامه صلى الله عليه وسلم رجلان عالم وعابد فقال: «فضل العالم عل العابد كفضلي على أدناكم» [رواه الترمذي عن أبي أمامة] وكان افتداء الأسارى في غزوة بدر تعليم أولاد المسلمين القراءة والكتابة، وهكذا كانت السنة الشريفة مع القرآن تبيانا وهداية للعلم مما يدعو المسلمين الى الانكباب على العلم والارتواء من بحره الواسع وإدارة أعمالهم ومصارفهم وشركاتهم على أساس من العلم والخبرة بعد الدراسة والبحث ويتمثل ذلك في:

أ) إنشاء اقسام للبحث العلمي بالشركات الصناعية لتقديم الاساليب العلمية لرفع الكفاية الانتاجية للصناعة وتطويرها.

ب) الأكثار من الدورات التدريبية للعاملين بأجهزة الحكومة والمصالح والشركات لرفع الكفاءة الانتاجية ووضع الحوافز والمكافآت التي تدفع العاملين للاستفادة وتحصيل اكبر قدر منها.

ج) إنشاء الحكومات إدارات ومصالح متخصصة بالبحوث المتعلقة بالصناعة، وإدارات ومصالح للكفاية الانتاجية في الصناعة وتختص بكل مايؤدي الى رفع الكفاية الانتاجية كإجراء التجارب لزيادة الانتاج وتنظيم دراسات علمية وتدريبية للمشتغلين بالصناعة، وتحسين العلاقات الانسانية في العمل، ومكافحة الإسراف في عناصر الانتاج، والمعاونة في تنظيم وتخطيط الصناعات الجديدة.

ذلك أن رفع الكفاية الانتاجية والكفاءة العمالية تخدم الدولة، لأنها تحقق زيادة الانتاج القومي، وتساهم في زيادة الانتاج الصناعي لأصحاب رؤوس الاموال، وتسمح برفع أجور العمال نتيجة زيادة كفاءتهم وزيادة انتاجهم، وتعمل على خفض أسعار المنتجات وتساعد المستهلك في الحصول على المنتجات الصناعية بأقل سعر.

د) تتعاون الجامعات مع كافة أوجه النشاط الانتاجي في اجراء التجارب والأبحاث اللازمة - ومدهم بالمتخصصين في كل فرع من فروع الانتاج بصوره المختلفة - وإنشاء المعاهد والتخصصات التي تلبي طلبات التطور والتقدم في وسائل الانتاج.

لا تنسى فضل الله عليك

ولكن مهما بلغت درجة الانسان عن العلم، ومهما حصل عليه من درجات علمية فعليه ألا ينسى فضل الله عليه وانه سبحانه وتعالى هو الذي ييسر السبل ويهدي إليها ليتعلم الانسان، وهذا كله هو اقل القليل وما زال الانسان يجهل الكثير.

قال تعالى: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف:٧٦]. ﴿وسِعَ ربُّنا كل شيء علما﴾ [الأعراف:٨٩]. ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة:٢٥٥]. ﴿أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة:٣٠].

ومن ناحية أخرى يجب على من تصدى للكسب أن يكون عالما بما يصححه ويفسده لتقع معاملاته صحيحة وتصرفاته بعيدة عن الفساد.

فقد روى ان عمر رضي الله عنه كان يطوف بالسوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: «لا يبيع في سوقنا الا من يفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبى».

وقد أهمل كثير من المسلمين الآن تعلم المعاملة، وأغفلوا هذه الناحية وأصبحوا لايبالون باكل الحرام مهما زاد الربح وتضاعف الكسب وهذا خطأ كبير يجب ان يسعى في درئه كل من يزاول التجارة ليميز له المباح من المحظور ويطيب له كسبه ويبعد عن الشبهات بقدر الإمكان.

قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» فليتنبه لهذا من يريد أن ياكل حلالا ويكسب طيبا ويفوز بثقة الناس ورضي الله.

الأمية عقبة في وجه التقدم

أماعن الامية بوجه عام، فالامية عقبة في سبيل التقدم الاقتصادي والاجتماعي. والنظام التربوي الاسلامي لم يهمل هذه المشكلة بل انه اولاها اهتمامه منذ أول يوم نزلت فيه الآيات الأولى من القرآن الكريم. ومازالت التجربة الاسلامية في هذا المجال حية وميسرة لمن أراد الاستفادة منها، ولكن القضية تحتاج إلى عزمة إسلامية صادقة وجهاز تنفيذي كفأ يسعى الى محو الأمية في مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة.

لقد جاء الاسلام والمجتمع العربي تغلب عليه الأمية الكتابية تلازمها الامية الحضارية، وقد اشار القرآن الكريم الى هذين المصطلحين في مضمون الآية الكريمة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾ [الجمعة:٢].

إذن فهو مجتمع أمي يقف جهله بالقراءة والكتابة عقبة في سبيل تقدمه وقد طغت على المجتمع الجاهلي ايضا الأمية الحضارية التي أوجز ملامحها جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه في مقابلته لنجاشي الحبشة بقوله: «أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية تعبد الاصنام وتأكل الميتة وتأتي

الفواحش وتقطع الارحام وتسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف». ولاشك ان هذه الصفات والسلوكية تدل دلالة واضحة على مدى التخلف الحضاري والفكري الذي كان يعاني منه المجتمع العربي حين ظهور الاسلام.

وجاء الاسلام وبدأت آيات القرآن تنزل وقد لزم لمعرفتها تعلم القراءة والكتابة. وأدرك المؤمنون أن الاسلام دين معرفة وعلم وليس أدل على ذلك من كثرة تردد المصطلحات التي تتعلق بالكتابة والقراءة والعلم التي تضمنتها الآيات القرآنية فقد وردت مادة كتب ومشتقاتها خمسا وعشرين وثلاثمائة مرة.

ومادة (علم) ومشتقاتها احدى وسبعين وسبعمائة مرة ومادة (قرأ) سبعا وثمانين مرة، إلى جانب أن أدوات الكتابة وردت في السور المختلفة للقرآن الكريم فذكرت كلمة الصحيفة ومشتقاتها ثماني مرات وكلمة (القلم) والأقلام أربع مرات وواضح ان تكرار هذه الالفاظ المتعلقة بالقراءة والكتابة بالاضافة إلى الآيات والاحاديث النبوية الحاضة على طلب العلم والاشادة به كانت كلها كافية لشد انظار المسلمين الى إدراك أهمية العلم وحفزهم للسعي في طلبه. وقد كانت تجربة كتابة القرآن الكريم أولا بأول وفقا لنزوله حافزا قويا لإقبال المسلمين على تعلم القراءة والكتابة.

وقد أمر النبي ﷺ الوالدين ان يعلموا اولادهم، وأمر الذين يعرفون العلم والذين لايعرفونه ان يتعاونوا في طلب العلم وواجب الذين ليس لديهم علم ان يتعلموا من جيرانهم الذين يعرفون العلم ومن ذلك ماورد عن علقمة بن سعد بن عبد الرحمن بن أبزى قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثني على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال: «مابال اقوام لايفقهون جيرانهم ولايعلمونهم ولايعظونهم ولايأمرونهم ولاينهونهم. ومابال اقوام لايتعلمون من جيرانهم ولايتفقهون ولايتعظون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويتفقهون ويتعظون ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعالجنهم العقوبة» [رواه الطبراني].

ولم يكتف النبي ﷺ بالأوامر والوصايا، بل ترجمها الى واقع عملي، فارسل المعلمين الدعاة الى كل بلد من البلاد التي بلغتها دعوة الاسلام ليعلموا الناس هناك، ومنهم أربعون معلما قتلوا في حادثة بئر معونة ومنهم من أرسل إلى نجران واليمن وقد بدأ النبي ﷺ ببعث المعلمين الدعاة إلى اقوام مختلفة قبل الهجرة ومن هؤلاء المعلمين الدعاة مصعب بن عمير.. وعبد الله بن أم مكتوم الى المدينة.

وأول قانون لمحو الأمية في المجتمع الإسلامي كان بعد غزوة بدر الكبرى حيث أسر المسلمون سبعين أسيرا فكان يفادي بهم على قدر أموالهم فمن لم يكن له فداء وكان يجيد الكتابة طلب منه تعليم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة. وكان هذا أول سنة نبوية لمحو الامية في المجتمع الاسلامي الجديد، وبعد ذلك صار مسجد الرسول ﷺ بالمدينة اول مدرسة لتعليم المسلمين. وكان نتيجة لهذا النشاط العلمي والتعليمي ان الكتابة قد انتشرت في معظم جزيرة العرب تقريبا قبل وفاة الرسول ﷺ وبرزت فائدتها في حياة الناس ومعاملاتهم، وبهذا تكون مسيرة محو الامية في ظل التربية الاسلامية قد قطعت اشواطا بعيدة في سبيل القراءة والكتابة، وتحرر المسلمون من قيود الامية والجهل في فترة قياسية.

وعندما اجتاز الاسلام حدود الجزيرة العربية بفضل الدعوة والفتوح ازداد النشاط العلمي الذي ابتدأه الرسول قوة واندفاعا فعمت الحلقات العلمية المدينة ومكة والطائف وصنعاء والبحرين، وأسس الصحابة مراكز علمية جديدة في عواصم البلاد المفتوحة كالبصرة والكوفة وحمص ودمشق والفسطاط وغيرها. واستمرت المسيرة العلمية بعد ذلك في الاتساع كما وكيفا حتى عرفت أمة الأسلام بأمة العلم والمعرفة.

هدي النبي ﷺ في حرب الأمية

أما اليوم فقد وصل بنا الحال إلى مانحن عليه. فلابد من ان نسير على هدى رسول الله ﷺ في محو الامية.

فلو أدرك المسلمون مضمون الحديث السالف الذكر: «مابال أقوام لايفقهون جيرانهم..الخ» لما بقى في العالم الاسلامي أمي واحد.

ولوان في كل حي من أحياء المدينة وكل قرية من قرى الريف مسلما متعلما واحداً يعي مسؤوليته – والتي لخصها رسول الله ﷺ – حق الوعي لشمر عن ساعد الجد وبدأ في محو أمية الناس من حوله بادئا بمن يليه أهلا ورفاقا وخدما.

ويستلزم ايضا دعوة المتعلمين على مختلف مستوياتهم الى التطوع لمحو الأمية بنوعيها ولبدأ كل منهم بأقرب الناس إليه اهلا له وخدما في بيته وعما لايعملون تحت إشرافه، ويمكن الاستفادة في ذلك من ائمة المساجد ووعاظها ومن موظفي الدولة في أوقات فراغهم، ومن المحاليين الى التقاعد ممن تعينهم ظروفهم الصحية على ذلك، ومن الطلاب خلال العطلات، ومن وسائل الاعلام المتطورة كالتلفاز على وجه الخصوص. ومن مباني المدارس والمعاهد التعليمية المختلفة في غير أوقات الدراسة، والمساجد.

يصحب كل ذلك التأكيد المستمر على ان هذه المهمة من المهمات الشريفة التي يقوم بها المسلم ويتقرب بها الى الله.

وفي كل الأحوال يجب ان ينطلق اي حل لمشكلة الأمية من قيمنا وثقافتنا الاسلامية مدعما بروح الاحترام التى اضفتها التربية الاسلامية على العلم والتعليم والمعلمين والمتعلمين كي تبقى جذوة طلب العلم متقدة في روح كل مسلم لتثمر ثمرتها المرجوة ان شاء الله.

واذا كان هناك علم او عمل يحتاج اليه المسلمون في دينهم او دنياهم فان تعلمه وإتقانه فرض كافية تأثم الامة كلها اذا فرطت فيه وفي المأثور، مااكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ضلال، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله، وقد قيل: لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته، أما سمعتم قول الكفار في النار: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك:١٠].

العلم بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين

والله يحثنا على استخدام العقل، لذلك يجب على الانسان ان يستعمل عقله، وقد ورد أمر الله باستعمال العقل في كثير من الآيات القرآنية وذكرت مادة العقل ٤٩ مرة ومادة الفكر١٨ مرة وجاءت عبارة ﴿أفلا تعقلون﴾ ١٣ مرة، وعبارة ﴿لعلكم تعقلون﴾ ٨ مرات، وذكر لفظ (أولو الألباب) ومشتقاتها ست عشرة مرة.

والمتصفح لكتاب الله يجد ان الله تعالى يذكر في نهاية بعض الأحكام الشرعية او غيرها من الامور التقريرية انها ﴿لقوم يعقلون﴾، أو ﴿لأولي الالباب﴾، أو ﴿لقوم يتفكرون﴾، أو ﴿لعلكم تتفكرن﴾، أو ﴿لو كانوا يعلمون﴾.

قال تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ [الأنعام:١٥١].

كما ان الآيات الاخبارية القصصية التي تحكي قصص الأمم والانبياء السابقين تنص على ان تلك القصص إنما جاءت لقوم عقلاء أصحاب بصيرة قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف:١١١]. كما ان الفروض تشترط العقل لأدائها.

وإذا كانت الاحكام الشرعية والقصص والأخبار هي لقوم يعقلون فكذلك استكشاف آيات الله في كونه لايقدر عليها الا قوم عاقلون.

وإذا كان العاقلون وحدهم هم القادرون على استكشاف آيات الله في الكون والكائنات، فهم كذلك وحدهم الذين يخشون الله حق خشيته قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر:٢٨].

والحكمة هي ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها ولذا فالإسلام يبيح نقل تجارب ومعارف الآخرين بشرط الا يتنافيا مع تعاليم الإسلام.

إن عدد الأميين في الوطن العربي يصل الى حوالي ٣٥,٥ مليون أمي من أصل ٨٠,٨ مليون نسمة من السكان في مراحل العمر من ١٥- ٤٥ سنة، ومعنى الاحصائية ان نسبة الامية مازالت مرتفعة وهذا يعني أن مايقرب من نصف العرب ما زالوا أميين.

واليك معدلات الأمية كنسبة مئوية لبعض الدول العربية سنة ٨٥م:

الجزائر ٥٠-البحرين ٢٧-المغرب ٦٧-الاردن ٢٥-السعودية ٤٩-ليبيا ٣٣-تونس ٤٦-العراق ١١-الكويت ٣٠-الصومال ٨٨-سوريا ٤٠-مصر٥٦-اليمن ١٤٥

العلم طريق لزيادة الرزق

فالعلم طريق من طرق زيادة الرزق للفرد وللأمة حيث يضعها على طريق التقدم والحضارة لتواكب وتجابه غيرها من الأمم كما انه هو الطريق لإعداد القوة والتخطيط المدروس للاستخدام الأمثل للموارد الانتاجية وغيرها من ثماره التي ذكرناها سابقا.

ولكن ليس العلم هو الموزع للارزاق قال تعالى: ﴿إن قارونَ كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومُه لاتفرحْ ان الله لايحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك اللهُ الدارَ الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين. قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ [القصص:٧٦-٧٨].

لقد كان قارون من قوم موسى وآتاه الله مالاً كثيراوقد بغى قارون على قومه. وحاول قومه نصحه ولكن كان جوابه: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾، أي إنما أوتيت هذا المال استحقاقا على علمي الذي طوع لي جمعه وتحصيله وانها قوله المغرور المطموس الذي ينسى مصدر النعمة ويفتنه المال ويعميه الثراء. وهو نموذج مكرر من البشرية فكم من الناس يظن ان علمه وكده هما وحدهما سبب غناه.

وقال تعالى: ﴿فإذا مس الإنسانَ خيرٌ دعنا ثمّ إذا خوّلناه نعمةً منّا قال: إنما أوتيته على علم﴾ [الزمر:٤٩]. ﴿إنما أوتيته على علم﴾ قالها قارون، وقالها كل مخدوع بعلم او صنعة او حيلة يعلل بها ماقدر له من مال أو سلطان غافلا عن مصدر النعمة وواهب العلم والقدرة ومسبب الأسباب ومقدر الأرزاق. ولكنها فتنه للاختبار والامتحان ليتبين ان كان سيشكر أم سيكفر وإن كان سيصلح بها أم سيفسد. ولما فشلوا وأصابهم السوء ولم يغنِ عنهم علمُهم ولامالُهم ولا قومُهم شيئا.

وهذه سنة الله التي لاتتبدل تصيب كل مغرور أو مفتون بما رزق من علم ومال: ﴿قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون. فأصابهم سيئات ماكسبوا الذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمجرمين﴾ [الزمر:٥٠و٥١]. وقارون ذاته لم يجهر بكلمة الكفر ولكن اغتراره بالمال ونسبته إلى ماعنده من العلم جعلهم يسلكونه في عداد الكافرين ومن ثم استحق عقاب الله كما قال عز وجل: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ [القصص:٨١].

ولم نقصر حديثنا في التعليم عن الرجل فقط بل قصدنا المرأة أيضا. فللمرأة حق تعلم العلوم النافعة لها بالكيفية المناسبة لطبيعتها بشرط الالتزام التام بالآداب الإسلامية اللازمة لها، وأعظم ماينفعها تعلم شريعة الاسلام ومافيها من حلال وحرام وينبغي ان تتعلم مايلائم طبيعتها ويناسب اختصاصها الفطري في تربية الاولاد ورعاية البيت وزوجها فتتعلم فنون الخياطة والطبخ واصول تربية الأولاد ونحو ذلك: وهذا ماسيوفر للزوج أجرة الاستعانة بمربية او خادمة ترعى شؤون المنزل والأولاد. واذا ارادت المرأة المزيد من المعرفة فلابأس، بشرط الا يؤثر في قيامها بواجباتها المطلوبة منها كزوجة وام، وبشرط ان يكون التعليم بالكيفية المشروعة، فلا يجوز اختلاطها بالشباب بحجة التعليم أو ظهورها بالمحرم من اللباس فكل هذا وامثاله حرام لايباح ولايجوز ولوبحجة طلب العلم.

فطلب العلم كما انه فريضة على كل مسلم فهو فريضة على كل مسلمة، فإلى جانب العلم بالدين تتعلم التعليم العالي لتتخرج الطبيبة المتخصصة للنساء، والمعلمة التي تربي النشء□

اعترافات سيجارة؟!

للأستاذ: يحيى بشير حاج يحيى

أنـــا عُلَبٌ مُلَـــوَّنَـــةٌ   وعنـــدي الموتُ أشكـــالُ

فكـــم مِـــنْ أسرةٍ حُـــرِمَتْ   وَهـــانَ لأجليَ المالُ؟!

بِجَيْبِكَ فِي مَكـــانـــاتْ   ومـــنْ رِئَتَيْـكَ أقتـــاتُ

يَغُـــرُّكَ شكليَ الجَـــ   ـذَّابُ لكنّـي نِفـــايـــاتُ

أنـــا السّرطـــانُ والقـــارُ   أنـــا سلٌّ وأخطـــارُ

أنـــا الأمـــراضُ أجمعُهـــا   ومنهـــا أنتَ تختـــارُ

لقـــد سَفَفْتَ أجـــواءَكْ   ونـــاري أصبحَتْ داءَكْ

فكـــم آذيْـتُ أبنـــاءَكْ   وكم أحـــرقْتُ أحشـــاءَكْ

أنـــا في شُهـــرةٍ كُبرى   وتَعـــرِفُني المجَـــلاّتُ

فكم مِـــنْ فِتْيَـــةٍ هلَكـــوا   وأغْـــرَتْهُمْ دِعـــايـــاتُ؟

أنـــا أغلى مِنَ الـــذَّهَبِ   وَلِـــلأغـــوادِ مُنْتَسِبِي

فكـــم أوهمْتُ ذا هَـــمٍّ   بِتَـــأْخِيني لـــدَى الغَضَبِ؟!

مُقَـــامِـــي في الشّرايينِ   كَـــوِسْـــواس الشّيَـــاطينِ

فحتّـــامَ تلـــومـــوني   وبـــالـــرِّئَتين تَغْـــذُوني؟!

عَـــدُوِّي صـــاحِبُ الصَّبْرِ   ومَنْ يقـــوى على قَهْـــري

نَجـــا بـــالعَـــزْمِ والإيمانِ   مِـــنْ كَـــدَري ومِـــنْ شرّي

أعـــاديكم، وتَحْمُنَـــي   وبـــالأمـــوالِ تَفْـــدوني

إلى الأمـــراض أدعـــوكم   وأنتـــم لا تعـــادوني؟

تَعـــالَـــوْا يـــا أَحِبّـــائي!!   لأقتُلَكُـــمْ بِـــأَوْبِـــائي

وأجعلَكـــم مهـــازيـــلاً   وأهـــدافـــاً لأدوائي

أنـــا وصَـــديقتي «الشّيشَـــةْ»   نُعَكِّـــرُ صـــافيَ العِيشَـــةْ

ونجعَـــلُ مَـــنْ لـــه «كَيْـفٌ»   كطَيْرٍ نَتَّفـــوا رِيشَـــهْ

احذروا الشيشة والتدخين

بقلم: محمد بشير الوظائفي

انتشرت في الآونة الأخيرة بعض المقاهي في الاحياء السكنية، واعداد من الشيشة (النارجيلة) مصفوفة أمام مداخلها لإغراء وإغواء ابنائنا الشباب للجلوس في تلك المقاهي وتدخين الشيشة التي كانت مقصورة على كبار السن في المقاهي الشعبية فحسب.. فأصبح استعمالها في المقاهي الأخرى قتلاً لنفس الشباب.. وجسمه ووقته، دون حسيب أو رقيب..

مضار التدخين العامة

إن نظرة سريعة إلى الدراسات والاحصائيات التي قامت بها هيئات صحية إقليمية وعالمية عن أخطار التدخين عموماً والشيشة بشكل خاص، توضح بشكل لا يقبل النقاش أضرار هذا السلاح الفتاك نظراً لاحتفاظ مدخن الشيشة بكمية كبيرة من أول أكسيد الكربون السام أثناء عملية الاحتراق مع الفحم، والذي ينتج عنه الدوران (الدوخة) والصداع والخفقان والغثيان والسعال وغير ذلك لمدخن الشيشة اللعينة..

لقد كنا نتطلع إلى تعاون كبير من السادة اولياء الأمور والمدارس والجهات المختلفة الحريصة على بناء الشباب وتنشئتهم تنشئة سليمة صحيحة بحيث يركزون اهتمامهم على توجيه الشباب ونصحهم وبيان الأخطار الناجمة عن التدخين وغيره من العادات الاجتماعية الضارة والخطيرة.. إلا أن مايجري من انتشار للمقاهي بين المساكن ودفعها الشباب إلى تدخين الشيشة والسجائر يضاعف من الأخطار المحدقة بالشباب.

فمختلف الأمم والهيئات مازالت تعاني من صرف بلايين الأموال التي تصرفها شركات تصنيع التبغ لاغراء الشباب في التدخين بينما تبذل الجمعيات والجهات الصحية الجهود المضنية من خلال وسائل الإعلام المختلفة لتحذير الشباب من اخطار التدخين بأنواعه على صحة المدخنين وغير المدخنين وعلى البيئة.. وقد جاء في احدث التقارير الصادرة مؤخراً في جنيف عن بعض العلماء والمهتمين ان مدخنا يموت كل عشر ثوان في العالم..نتيجة التدخين؟ وانه خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٠ وعام ٢٠٠٠ سيكون التبغ قد قضى على نحو (٦٠) مليون شخص في الدول النامية فقط.. نصفهم ممن هم في سن الشباب؟

اما عن غير المدخنين الذين يتضررون من جراء تدخين الآخرين فإليكم هذه الأحصائية:

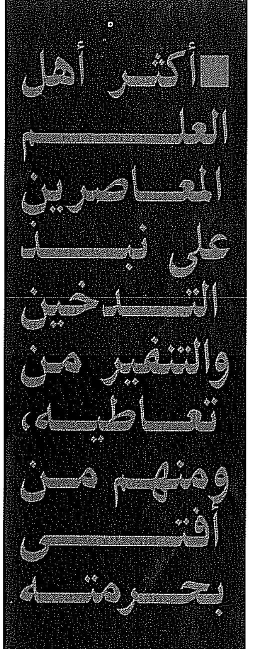
ـ ٢٤٪ من النساء البالغات اللواتي يتعرضن لدخان أقاربهن في المنزل.

ـ ٣٩٪ من النساء اللواتي يتعرض لدخان زملاء العمل.

ـ ٥٠٪ من النساء اللواتي يتعرضن للدخان في الاماكن العامة.

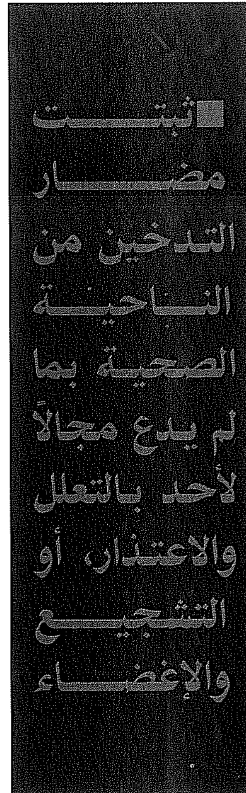
كل أولئك معرضات لخطر الاصابة بسرطان الرئة..

اما أطرف ماكتب حول الحرب الدائرة بين الشركات المصنعة للسجائر والجهات الحكومية في الولايات الأمريكية، فقد رفعت ولاية فرجينيا الغربية دعاوى ضد شركات التبغ لاستعادة أموال صرفت على الرعاية الصحية للمرضى المدخنين، وهي ثالث ولاية تقوم بذلك بعد ولايتي فلوريدا ومسيسيبي.



فتوى الشيخ ابن باز بتحريم التدخين

اما من جدة بالمملكة العربية السعودية فقد



أعلن عن فتوى صدرت عن فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز بتحريم التبغ حيث قال: (إن التبغ بكل انواعه محرّم كالخمر لكونه خبيثا ويشتمل على اضرار كثيرة ولايجوز بيعه ولاتدخينه ولا التجارة فيه. واضاف أن الله سبحانه وتعالى قد أباح لعبادة الطيبات من المطاعم والمشارب وحرّم عليهم الخبائث، اما التبغ فليس من الطيبات بل هو من الخبائث. كما أكد فضيلته بأن كل من يدخن أو يتاجر بالتبغ عليه أن يبادر إلى التوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى والندم على مامضى والعزم على أن لا يعود إلى ذلك).

وقد نقلت هذه الفتوى جريدة القبس الكويتية بتاريخ ٢/٦/١٩٩٤ عن وكالة الأنباء الإسلامية التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة.

أقوال العلماء في التدخين

هذا ويطيب لي أن أرفق نشرة صادرة عن مكتب منظمة الصحة العالمية لإقليم شرق البحر المتوسط في القاهرة تتضمن الحكم الشرعي في التدخين، وذلك على لسان بعض العلماء المسلمين اثابهم الله.

ولايسعنا في هذا المقام إلا أن نشد على أيدي كافة العاملين في مجال مكافحة التدخين من جمعيات أهلية، ولجان رسمية محلية واقليمية وعالمية، مقدرين لهم جهودهم في الوقت الذي نأمل فيه من الجهات المختصة في الكويت اعطاء موضوع انتشار المقاهي بين المساكن جلّ اهتمامهم حفاظا على ابنائنا من معاول الهدم التي ترفعها وتشجعها شركات تصنيع التبغ بأنواعه سالكة في سبيل ذلك شتى الطرق متجاهلة بجشعها صحة الأفراد، والبيئة. وتصب غايتها فقط في الربح من تجارتها بأسلحة دمار الإنسان.

(أصبح واضحا جليا أن شرب الدخان، وان اختلفت أنواعه وطرق استعماله، يلحق بالإنسان ضررا بالغا، ان آجلا أو عاجلا، في نفسه وماله، ويصيبه بأمراض كثيرة متنوعة، وبالتالي يكون تعاطيه ممنوعاً بمقتضى هذه النصوص، ومن ثم فلايجوز للمسلم استعماله بأي وجه من الوجوه، وأيا كان نوعه، حفاظا على الأنفس والأموال، وحرصا على اجتناب الأضرار التي أوضح الطب حدوثها، وابقاء على كيان الأسر والمجتمعات بإنفاق الأموال فيما يعود بالفائدة على الإنسان في جسده، ويعينه على الحياة سليما معافى، يؤدي واجباته نحو الله ونحو أسرته. فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. والله سبحانه وتعالى أعلم).

الأمام الاكبر جاد الحق على جاد الحق/ شيخ الأزهر.

(الحكم الشرعي الذي تطمئن إليه النفس أن التدخين حرام. الدخان من الخبائث لمذاقه المرّ، ورائحته الكريهة، وأضراره البالغة، وعواقبه الوخيمة، ويكون حراما. والله سبحانه وتعالى أعلم).

د. حامد جامع/ وكيل الجامع الأزهر سابقا، خبير موسوعة الفقة الإسلامي بالكويت.

(الأن وقد حسم أهل الذكر والاختصاص الطبي الأمر، فإن حكم شرب الدخان، بصفة عامة، يدور بين الحرمة والكراهة التحريمية.. وينبني عليه حكم الاتجار فيه، الذي يدور أيضا بين الحرمة والكراهية التحريمية، بالنسبة لمن يريد البدء في هذا الاتجار لأنه حينئذ يتاجر في حرام ضار، أو في مكروه كراهة تحريمية، تقف على حدود الحرام).

د. زكريا البري/ أستاذ ورئيس قسم الشريعة وكلية الحقوق بجامعة القاهرة، وعضو مجمع البحوث الإسلامية ولجنة الفتوى بالأزهر.

(إن مكافحة أو مقاومة التدخين سواء أكان حراما أم مكروها، أمر يقره الإسلام، لأنه يجب على المسلم أن يكون قوياً كاملا في كل نواحيه الصحية والفكرية والروحية والاقتصادية والسلوكية بوجه عام).

الشيخ عطية صقر/ عضو لجنة الفتوى ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

(وحيث ثبت أن شرب الدخان وتعاطي السموم المخدرة بإجماع العقلاء، والمختصين من الأطباء، ضار بالنفس والعقل والمال، ويؤدي إلى إتلافها، أو الاعتداء عليها بتعطيلها وضعف انتاجها كمّاً أو كيفاً، وجب الحكم بتحريم تناولها، وتحديد عقوبة رادعة للجالبين لها والمتاجرين فيها والمتعاطين لها، كثر ماتعاطوه أو قل).

الشيخ عبدا لله المشد/ عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر.

(شرب الدخان حرام، وزرعه حرام، والاتجار به حرام، لما فيه من الضرر، وقد روي في الحديث: «لاضرر ولاضرار» ولانه من الخبائث، وقد قال الله تعالى في صفة النبي ﷺ: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية.

هذا؛ وبالله التوفيق□

الإسلام دين الأنبياء جميعاً، تتغير التفاصيل وتبقى الضرورات والأصول

حصافة سليمان عليه السلام في إسلام بلقيس ملكة سبأ

بقلم: عبد المحسن محمود قاسم*

اصطفى الله سبحانه وتعالى رسله من صفوة خلقه، وخصهم بمعجزات وآيات بينات، منقطعة النظير، عن بقية خلقه، للدلالة على أنهم مبعوثون من الله، وتبليغ رسالته الى خلقه، بصدق وأمانة، وقد ميز الله كل رسول بمعجزة خاصة به، ومن معجزات سيدنا سليمان عليه السلام، تسخير الريح له تسير بأمره، وتحمله مع جنده مسافات شاسعة في ساعات معدودة، ومنها ذوبان النحاس، حتى كان يجري كأنه عين ماء متدفقة من الأرض، وعلمه الله كلام الطير والدواب وأصوات جميع الحيوانات، كما سخر له الجن تعمل بأمره وإرادته ما شاء ممايعجز عنه البشر، ومنها نقل عرش بلقيس الذي نتحدث عنه في هذا البحث، كما نتحدث عن الصرح الأملس البللوري الشفاف الذي بناه.

إن رسل الله جميعا لايكرهون الناس على الإيمان، ولكن يقنعونهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والأدلة العقلية والبراهين المنطقية والمعجزات الحسية، وحينئذ يصل الإيمان الى قلوبهم، ويدخلون في دين الإسلام طواعية، وتلهج ألسنتهم بذكر الله ووحدانيته، وإعلان الإسلام، كما فعل سحرة فرعون تجاه عصا موسى. حيث قالوا: ﴿آمنا برب العالمين. رب موسى وهارن﴾ [الأعراف:١٢١و١٢٢].

بلقيس والدعوة الى الإسلام

كانت بلقيس ملكة مدينة سبأ (باليمن) وقومها، يعبدون الشمس من دون الله، ولهم معبد بسمى معبد الشمس ، له نوافذ متعددة، تدور عليها الشمس على مدار شهور السنة، وقد أرسل اليها سليمان كتابا يدعوها فيه مع قومها الي الإسلام، فاستشارتهم، ثم أرسلت رسلها بهدية عظيمة، تليق بسليمان! فردها إليها مستنكرا ومتوعدا! فبعثت إليه: إني قادمة اليك. ولو ان سليمان كان يعتد بقوته المادية فحسب؛ لاكتفي بها، سيما وقد أعطاه الله طوائف الإنس والجن والطير: ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ [النمل:٣٧].

ولكنه يعلم ان القوة المادية وحدها لاتكفي؛ فقد يشهد اللسان ولايصدق القلب إذاً لابد من القناعة، لابد من القوة المعنوية؛ ولذا أراد سليمان ان يرى بلقيس وقومها بعض ماخصه الله به من العجائب، الدالة على عظيم القدرة، وصدقه في دعوى النبوة.

معجزة نقل عرش بلقيس من اليمن

﴿قال يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين﴾ [النمل :٣] طلب سليمان من أشراف من حضر من حاشيته؛ ان يأتوه بعرشها، ومأدراك ماعرشها! انه عظيم بالنسبة الى عروش أمثالها؛ صخامة وقيمة، سريريمتد عشرات الأذرع طولا وعرضا وسمكا، وكان مضروبا من الذهب والفضة، مكللا بالجواهر المختلفة الأشكال والألوان والأحجام والقصر المزين بالسرير، المنقطع النظير، له أبواب عديدة، عليها حراس شدادأغلقت دونهم الأبواب، وارتحلت صاحبة العرش العظيم من أرض اليمن، مع ألوف من قومها وأقيالها، الى ان قربت من مقر سليمان، وحينئذ استشار سليمان حاشيته في إحضار عرشها ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ [النمل:٣٩] اي من مجلسك للحكومة، وكان يجلس الى نصف النهار، ورد عليه سليمان﴿الذي عنده علم من الكتاب﴾ [النمل:٤٠].

والتعبير عن سليمان بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة بسببه قال:﴿أناآتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [النمل:٤٠] أي في لمح البصر، وكأن سليمان استبطأ العفريت فقال له

*موجه عام تربية اسلامية سابقاً – ج.م.ع

ذلك، أوأراد اظهار معجزة في نقله، فتحداهم أولا، ثم أراهم أنه يتأتي له مالايتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم، وتم لسليمان ماأراد، ورأى العرش بين يديه، فـ(قال) تلقيا للنعمة بالشكر، على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى: ﴿هذا من فضل ربي﴾ تفضل به على من غير استحقاق، والإشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين.

تنكير عرش بلقيس لاختبار ذكائها

وفضلا عن معجزة نقل العرش الى حضرة سليمان لم يكتف سليمان بذلك، بل أراد استثارتها واختبار ذكائها، وهل ستهتدي الى معرفته، أو الى الجواب اللائق بالسؤال الذي سيوجه اليها ﴿قال نكّروا لها عرشها﴾ [النمل:٤١] اي غيروه الى حال تنكره اذا رأته بزيادة أو نقص أو غير ذلك، يريد اختبار عقلها في معرفته، وإظهار معجزته لها، لتوقن بنبوته، وتؤمن بالله ورسوله، إذا رأت تقدم عرشها، وقد خلفته، مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس. ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾ اي فعرفته، وشبهت عليهم، كما شبهوا عليها، إذ لم يقل: أهذا عرشك؟ ولو قيل قالت: نعم، كما أنها لم تقل: هو لاحتمال ان يكون مثله، وهذا من كمال عقلها.

وقال سليمان وقومه لما رأوا لها معرفة وعلما: ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ [النمل:٤١] عطفوه على جوانبها؛ لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله؛ حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا، واحضاره ثمة من المعجزات التي لايقدر عليها غير الله، ولاتظهر إلا على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. أي: وأوتينا العلم بالله وقدرته، وصحة ماجاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه، لم نزل على دينه، ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له.

إزالة شبهة بلقيس في عبادة الشمس

ولم يكتف سليمان عليه السلام باثبات نبوته ورسالته لبلقيس برد هديتها، ومعجزته المنقطعة النظير، بنقل عرشها العظيم، في مدة ارتداد الطرف وقد خلفته في حراسة مشددة، مما جعلها توقن بكمال قدرة الله، وصحة نبوة سليمان - اقول لم يكتف بذلك بل أراد معه ان يمحو ما في قلبها من الوثنية، وحتى تضم الى الاقتناع الباطني التسليم الظاهري، فتقر باللسان وتدخل في دين الإسلام، لذا أمر قبل مجيئها ببناء قصر عظيم فخم من الزجاج الأملس الشفاف الصافي وأجرى تحته ماء كثيرا متموجا، يتراءى لمن ينظره أنه لجج البحار.

■ما زعمه البعض في قصة زواج سليمان من بلقيس عار عن الصحة

وكان الزجاج من اللطف يخفي على عين رائيه، فلا يرى إلا تموجات الماء من تحته، وكان غرضه بذلك ان يريها كيف ينخدع العقل بظواهر المرئيات، فيخفي عليه مالطف من الماديات، ليكشف شبهتها وقومها في عبادة الشمس من دون الله، ويعلمها ان الظواهر كثيرا ماتخفي وراءها من الأمور الغيبية، التي لايعلمها إلا ذوو البصائر المشرقة، لتعلم ان الشمس التي عبدتها وقومها من دون الله، لما يرون من تأثيراتها في العوالم الأرضية، كانت حجابا كثيفا، حجب عن بصائرهم معرفة الله الذي خلق الشمس، وجعلها سببا للتأثير في غيرها من الكائنات، كما حجبت ظواهر التموجات المائية عن عينها رؤية الزجاج الذي بنى منه الصرح، وأنهم وقفوا عند الشمس التى هى حلقة من سلسلة الأسباب المؤثرة في غيرها من الكائنات، ولم تنفذ عقولهم الى معرفة الله الذي خلق الأسباب والمسببات، وجعل بعضها موثرا في بعض بقدرته التى لاتحد، كما وقفت هى عند ظواهر تموجات الماء، فحسبته لجة، ولم تر الزجاج الشفاف الممرد من فوقه.

وكانت هذه الطريقة العملية من أنجع طرائق سليمان عليه السلام في هداية بلقيس الى الله تعالى، فلما جاءت بلقيس إليه، وأراها معجزته في احضار العرش من بلادها، أراد ان يريها ذلك البرهان المحسوس على بطلان الوثنية، وعلى ان وراء عالم المادة قوة إلهية خفية غيبية، يرى الناس آثارها في أنفسهم وفي الآفاق، وان لم يعرفوا كنهها وحقيقتها لسموها عن إدراك العقل، الذي لايستمد معلوماته إلا من الحواس فأمرها بدخول الصرح ﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ أي ماء كثيرا، وخفيت عليها رؤية الزجاج، كما يري الرائي كوبا من الماء الملون، فيخيل اليه انه ماء بلا قدح، فتأهبت لخوض الماء ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ [النمل:٤٢] اي جمعت عزمها للسباحة، كما يقال: شمر فلان عن ساعدالجد، وكشفت الحرب عن ساقها، وعض على كذا بالنواجذ، لا يراد حقيقة التشمير والكشف والعض، وانما هذه كنايات لطيفة عن الاشتداد في الأمر.

﴿قال﴾ سليمان علي السلام ﴿انه صرح ممرد من قوارير﴾ اي من زجاج، ساعتئذ تكشفت الحقيقة لبلقيس، وشع في قلبها نور الحكمة والهداية فبدد مابقى في قلبها من ظلام الوثنية الأولى، هنالك

حصافة سليمان عليه السلام في إسلام بلقيس ملكة سبأ

فهمت بلقيس سرما أراده سليمان عليه السلام من بناء الصرح، وتيقنت ان عينيها خدعتا برؤية تموجات الماء، فلم تريا الزجاج المملس من فوقه، كما خدع عقلها بتأثيرات الشمس المحدودة في العوالم الأرضية، فظنتها لقدرة ذاتية فيها، ونحلتها صفة الألوهية وعبدتها من دون الله تعالى ،فلم ينفذ عقلها الى ماوراء الشمس لمعرفة الإله الذي خلقها وأبدعها وأجراها في فكلها لمستقر لها،وخلق فيها الضوء والحرارة المؤثرين في عوالم الارض، وتبين لها جليا انها وقفت عند بعض الحلقات في سلسلة الأسباب، ولم تسم الى مسبب الأسباب.

فأيقنت ساعتئذ ان وراء هذا العالم المادي [اسبابه ومسبباته] إله تعالى عن المادة وملابساتها، وتسامي عن مشابهة المحدثات ولقد اثر فيها ذلك البرهان المحسوس تأثيرا بالغا، فندمت على مامضى من عمرها في ظلام الوثنية الأولى لتقليدها قومها في معتقداتهم الباطلة، وفارت قوة الإيمان في قلبها، فلم تستطع كتمانها، ولم تتردد في إعلان إسلامها، فتوجهت بقلبها وشعورها، ضارعة الى الله: ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل:٤٢].

الإسلام دين الأنبياء جميعا

ان في قول بلقيس: ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ لدلالة على ان الإسلام دين الأنبياء جميعا، وان الاختلاف بين الأديان ليس من طبيعة الأديان، وإنما نشأ من رؤساء الدين الذين حرفوها عن وضعها الصحيح ويؤيد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [يونس:٧٢] وقوله تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة:١٣٢]، وقوله تعالي على لسان إبراهيم واسماعيل عليهما السلام: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [البقرة:١٢٨] وقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف:١٠١] وقوله تعالى: ﴿وقال موسى لقومه ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين﴾ [يونس:٨٤] وقوله تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ [آل عمران:٥٢] وقوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران:١٩]. وصفوة القول ان دين الله واحد؛ منذ آدم عليه السلام الى قيام الساعة ،الأصول واحدة، والفروع تختلف باختلاف العصور.

زواج سليمان من بلقيس

ذكر المفسرون والقصاص ان الصرح اصطنعه سليمان لما قيل له: ان ساقيها وقدميها كقدمي الحمار. ثم جلس على سرير في صدر الصرح، وعندما أشير عليها بالدخول فيه؛ كشفت عن ساقيها حقيقة! فرأى سليمان قدميها وساقيها حسانا! وأراد تزوجها، فكره شعر ساقيها، فسأل الإنس عما يذهبه، فقالوا (المواسي) فكره ذلك، ثم دعا الشياطين، فوصفوا له النورة — و هى اخلاط تضاف الى حجر الكلس من زنيخ وغيره وتستعمل لإزالة الشعر ـ فأزالت بلقيس شعرها بهذه النورة، ثم تزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام.

الرد على هذه المزاعم

ذكرنا فيما سبق ان المراد من ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ أنها تهيأت وقصدت وجمعت عزمها واستعدت لدخول الصرح بملابسها كما تفعل المحتشمات في عصرنا عندما يردن ان تمس مياه البحر أو الاحواض أقدامهن.. فهى كناية لطيفة يراد بها الاستعداد والتهيؤ، ولم تكشف عن ساقيها حقيقة، وسياق آيات القصة في القرآن الكريم، ترد ذلك ردا صريحا، فهى صريحة الدلالة في ان سليمان عليه السلام أرسل اليها كتابه يدعوها فيه الى دين الإسلام وانه أحضر عرشها من بلادها، ليريها معجزة نبوته، ونكّره ليختبر عقلها، وعمل لها الصرح ليزيل شبهتها في عبادة الشمس. وقد فهمت بلقيس غرضه، وانجلت أمامها الحقيقة، فلم تستطع كتمان إيمانها، ولم تتمالك أن ﴿قالت ربي إني ظلمت نفسي﴾ [النمل :٤٢] بعبادة الشمس التي حجبتني عن معرفتك ﴿وأسلمت﴾ الآن ﴿مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل:٤٢] وذلك صريح في أن بناء الصرح كان طريقة من طرق الهداية العملية، أثرت في نفس بلقيس تأثيرا بالغا، كانت نتيجته ان أعلنت إسلامها، وأقرت بأنها ظلمت نفسها من قبل بالعقيدة الباطلة التى حرمتها من نور الهداية، فهذه الخاتمة هى التي تتناسب مع بناء الصرح للهداية، ولاتتناسب مع بنائه للتأكد من جمال ساقيها، أو وجود الشعر فيهما من عدمه، أو الزواج منها، فلم تسق القصة لأجل ذلك، ولايوجد دليل يؤيده. كما أن هذه المزاعم لاتليق من امريء عادي، فكيف برسول اختاره الله واصطفاه لرسالته، ليخرج الناس من ظلمات الوثنية الى نور التوحيد والإيمان، هذا فضلا عن أنه لم يثبت ان سليمان تزوج من بلقيس. وصفوة القول ان بناء الصرح طريقة عملية من طرق الهداية الربانية□

﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام:٣٨].

من الأمور المسلم بها أن محمداً ﷺ، كان أمياً لايقراء ولايكتب، وقد نشأ في (مكة) حيث لم تكن هناك علوم ولامعارف ولاجامعات ولامدارس تقرأ فيها العلوم الكونية، كالذي حدث في (طيبة) عاصمة مصر القديمة، وفي (أثينا) عاصمة حكماء(الإغريق).

كما أن محمداً ﷺ،كان بعيداً عن ذلك المحيط العلمي الذي كان موجوداً في (الشام وفي الأسكندرية وروما).

ومع ذلك فإن الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم لم تكن معلومة في القرن السابع الميلادي، حيث بعث النبي ﷺ ولم يكتشف العلم أسرارها إلا منذ عهد قريب.

حياة الحيوان كما صورها القرآن

■إن شعراء «الحداثة» في غفلة عما يرومه الخطاب الشعري المعاصر من مقاصد تتحقق معها وتتألق رسالته التغييرية الاستشرافية

بقلم: أمين محمد عثمان

فطرة الله

وأرجو أن يتأمل القارىء هذه الآية الكريمة: ﴿ومامن دابة في الأرض ولاطائر بجناحين إلا أمم أمثالكم مافرّطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام:٣٨]، فقد وصف الله الجماعات من الحيوانات والطير والحشرات بأنها أمم لها نظامها وعاداتها وبأنها تشبهنا في أن لها عقلاً يدبر أمرها!

فكما أن الناس يمسكهم نظام، ويضبط حياتهم سلوك، وتربط بينهم عادات، وتحكمهم قوانين، فكذلك كل جنس من أجناس الحيوان.وكل نوع من أنواعه، له عالمه الذي يعيش فيه،ولغته التي يتفاهم بها، وله نظامه الذي يأخذ به الخارجين على نظام الجماعة، المتمردين على أوضاعها المستقرة فيها.

إن هذه الحقيقة العلمية لم يعترف بها علماء الحيوان إلا حديثاً..ولقد أكتشف العلماء أن جماعة الحيوان والطير يربط آحادها رباط اجتماعي وثيق وأن منها ماتعيش في صورة ممالك ذات نظم ثابتة (كالنمل والنحل) وغيرهما، وأن لكل جماعة لغة يتفاهم بها أفرادها.

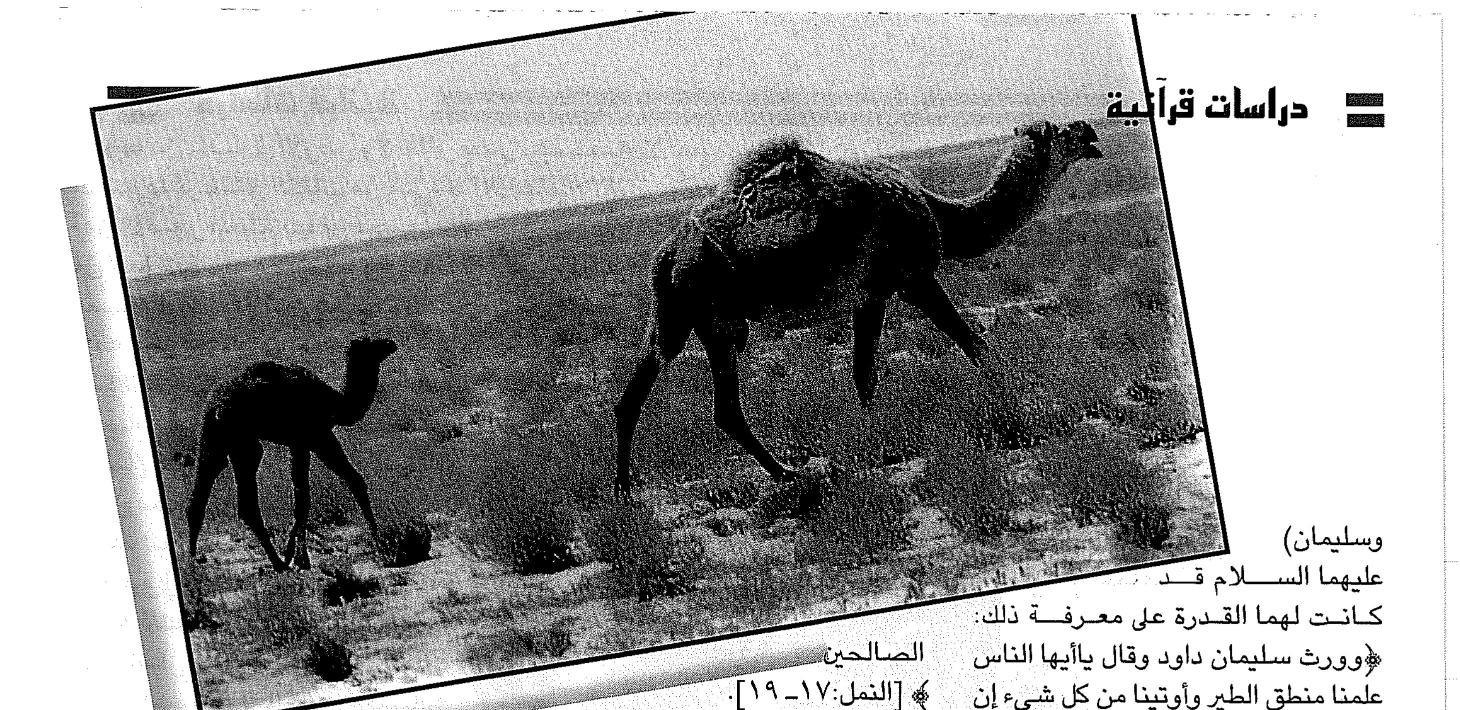
وقد اتضح أن بعض الخواص التي كنا نتخيلها مقصورة على الجنس البشري كالميل لتكوين المجتمعات، والرغبة في التملك، وحب السيطرة والحنين إلى الوطن وحب الولد..إنما هي سجايا أساسية في كل الأحياء والفقريات.

ولقد قلبت هذه الاكتشافات كثيراً من الآراء الراسخة بحيث تشكل انقلاباً في العلوم الطبيعية، كما قال العالم (روبرت أردري) في كتابه (تكوين الإفريقيين).

ولقد كشف عالم ألماني بعد ملاحظات دقيقة، لم يتنبه إليها العلماء، وهو أن الطيور لاتصدح فقط ولكنها تتكلم. ولها مثل البشر لهجات خاصة مثال ذلك ان (الشحرور النمساوي) لايفهم لهجات الشحرور (البافاري) والشحرور (الفرنسي) لايفهم لهجة الشحرور (الإنجليزي).

إن هذه الحقائق التي توصل إليها العلماء في الوقت الحاضر. قد سبق إليها القرآن الكريم. منذ أربعة عشر قرناً. وقد أثبت القرآن أن هناك خاصية لبعض الناس اصطفاهم الله لرسالته، وأكرمهم بوحيه. وأعطاهم قدرة على معرفة لغات الحيوانات وتفاهم الحشرات، وألهمهم مايعرفون به منطق الطير.

فقد جاء في الآيات (١٦) ومابعدها من سورة (النمل) مايؤكد أن (داود



وسليمان) عليهما السلام قد كانت لهما القدرة على معرفة ذلك: ﴿وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾.

نملة سليمان

فهذه النملة على صغر حجمها، وضآلة شأنها، تقف من سليمان موقف النّد للنّد وتتصدى له وهو في بهاء ملكه.. ومظاهر عظمته.. وقد حشر له الجن والإنس والطير في مظاهرة ولاء.. واستعراض انقياد وخضوع.. وإذا النملة التي يمر بها سليمان فلايأبه لها، ولايحفل بها، بل ولايكاد يذكر من أمرها شيئاً.. تلقى سليمان لقاء مثيراً، وتحاجه في منطق قاهر، لايقل عن منطق سلطانه القوي.

إنها تقوم على دولة لاتقل عن دولته نظاماً وإحكاما وروعة، وانها لتقوم على رعية تسوسها بالرأفة والحكمة، وتحوطها بالرعاية والعناية، وتوفر لها الأمن والسلامة، واستمع إلى قوله تعالى: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون. حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون. فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ [النمل:١٧-١٩].

لغة الكيمياء في عالم النمل

والسؤال الذي حير العلماء زمنا طويلا هو (كيف تستطيع ممالك النمل التفاهم فيما بينها أثناء بناء بيوتهم المكيفة الهواء، وعند تقسيم العمل في مجتمعاتها بين مختلف أفرادها)؟

ثم جاءت الإجابة بعد أبحاث طويلة تبرز وتشهد بإعجاز الخالق في جميع مخلوقاته، وتوضح أن يكون لكل مخلوق لغته التي يتميز بها.

فممالك النمل يفرز أفرادها مواد كيمائية، من خلالها يجري التفاهم حول كل شيء تشبه (الحروف والجمل) في لغة البشر، لكل جملة حروفها المكونة من العناصر الكيمائية التي تشكل قواعد هذه اللغة.

وعندما توصل بعض العلماء إلى حروف هذه اللغة لم يصدقوا في البداية هذا الإعجاز المتجسد داخل مجتمعات هذه الحشرة الاجتماعية.

وعندئذ قاموا بتجربة شهيرة.. اعتمدت على تغطية جسم نملة — في عنفوان شبابها ونشاطها — بالمادة الكيمائية المعبرة في لغة النمل عن الموت.. أي الرائحة الخاصة التي تنبعث عادة من جسم نملة فارقت الحياة.. وبعد وقت قصير جاءت المفاجأة عندما التفت الشغالات حول هذه النملة وقامت بحملها وسط موكب جنائزي والإلقاء بها خارج المملكة رغم أنها حية ومليئة بالنشاط.

وحين عادت النملة التعسة إلى قومها تحمل نظرات الدهشة والعتاب لم تتردد الشغالات في تكرار الموقف نفسه..

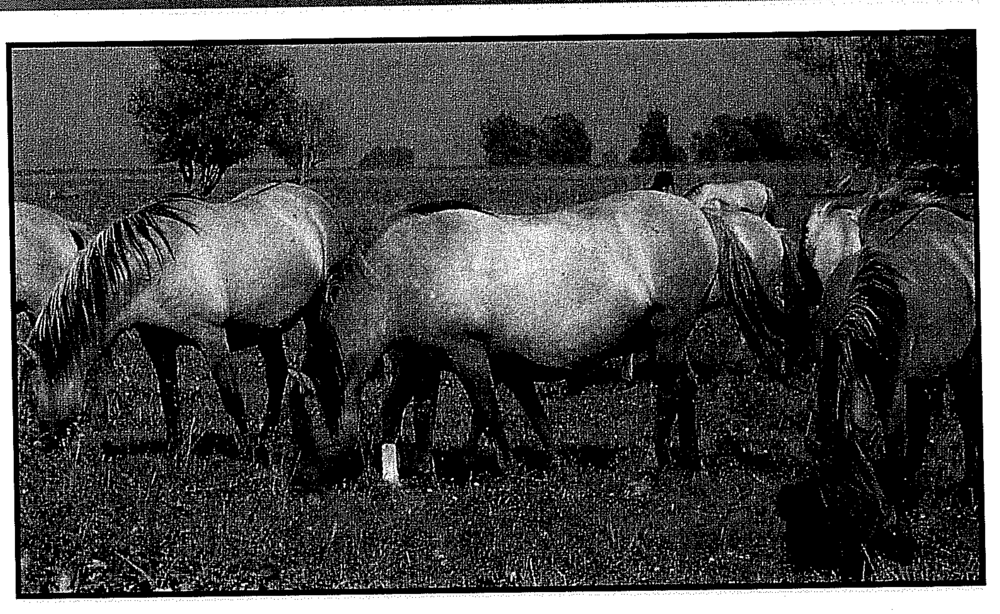
ومن هذه التجربة الفريدة اقترب العلماء من معرفة إحدى معجزات الخالق الذي قدر فهدى: ﴿ومامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ [هود:٦].

الهدهد وسليمان

وقصه (سليمان) مع (الهدهد) مشهورة ذكرها القرآن الكريم في سورة (النمل). ذكر (الزمخشري) في تفسيره (الكشاف):

كان سليمان قدنزل على غير ماء فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء، فلم يعلموا له خبرا، وكان

■ صوّر القرآن الكريم حياة الحيوان تصويراً دقيقاً يدل على إعجاز الوحي



والجن والشياطين عن الماء، فلم يعلموا له خبرا، وكان الهدهد هو دليل الماء..يقول القرآن الكريم متحدثا عن سليمان عليه السلام.

﴿وتفقد الطير فقال مالي لأرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنّه عذاباً شديداً أو لاذبحنّه أوليأتيني بسلطان مبين. فمكث غير بعيد فقال أحطت بمالم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ [النمل:٢٢ـ٢٤].

إن الهدهد وقصته مع سليمان لاتقل روعة وعجبا عن قصة النملة.. فقد جاء إلى سليمان وهو في أبهة ملكه وعظمة سلطانه، وبين يديه ماسخر الله له من الجن والإنس والطير ليلقاه بهذا الخبر أحطت بمالم تحط به، هكذا المتمكن من نفسه، الواثق من وجوده، يقول قولة الحق في غير خوف أو تردد.

نظرة الإنسان إلى عالم الحيوان

ومن هنا يمكن أن تتغير نظرة الإنسان إلى عالم الحيوان.. وأن يفتح له العلم الحديث آفاقا جديدة في دراسة علم الحيوان فلا يقف عند حدود دراسة جسدية له، تدور حول الوظائف العضوية ومايتصل بها، بل ينبغي أن يتجاوز هذه الدراسة إلى دراسة نفسية وعقلية أيضا.. بحيث يكوِّن من موضوع هذه الدراسة لغة الحيوان، وعن طريق التعرف إلى هذه اللغة يمكن التعرف على معارف عالم الحيوان، ونظرته إلى الكون، وصراعه مع الطبيعة، ووسائله التي بلغها في التغلب عليها، ولربما يقع للعلم في هذه الدراسات، من أسرار وعجائب مالم يقع له إلى اليوم من أسرار وعجائب!

ويوم يبلغ الإنسان من العلم مايستطيع به الالتحام مع عالم الحيوان والتفاهم معه.. يومئذ يكون الإنسان بحق هو سيد العالم الأرضي وخليفة الله فيه.

وقد أنبأنا رسول الله ــ الذي لاينطق عن الهوى ــ أن هذا اليوم آت لاريب فيه فقد روى الإمام (أحمد) في مسنده عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، وتخبره فخذه بما حدث أهله بعده».

بين دارون وديكارت

لقد كان العلماء ــ قبل الآن ـ لايعترفون للحيوانات والطير بعقل ولاذكاء، وكانوا يظنونها مجرد آلة حية تحس وتتألم، ولكنها لاتعقل، وكل مايشاهدونه من آثار التفكير والتدبير يعتبرونه من ثمرات الإلهام والغرائز.

بقي هذا الاعتقاد إلى عصور متأخرة فكان الفليسوف (ديكارت) يرى أن الحيوان كالآلة المعقدة المجردة من الحياة العقلية، فهو لايفكر كما يفكر الإنسان، بل يعبر في سلوكه عن الغرائز.

وقد اشتهر هذا التعريف عن (ديكارت) وتناقله الناس واتخذوه قضية مسلمة ولم يعترف للحيوان بعقل أو تفكير إلا في القرن (الثامن عشر).

ومن ذلك ماأعلنه العالم الشهير(دارون) مؤسس مذهب (النشوء والإرتقاء). أن التفكير موجود في الحيوان ولكنه بدرجة أقل من الإنسان.

إن هذه الحقائق التي أعلنها القرآن الكريم، عن الحيوان، هي ولاريب، أحدى معجزات القرآن، الذي قرر حقيقة علمية اعترف بها العلم الحديث، بعد أن اتسعت البحوث في الحيوان والطير، وقضى العلماء أعمارهم في ملاحظتها ودراستها.

الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

يقول الدكتور (سوندجراس): إن رأس الحشرة أفضل من رأس الإنسان!

في الواقع أن رأس أية حشرة، مجموعة من

■لكل جنس من أجناس المخلوقات، وليس للانسان وحده، قانون ينظم حياته وعاداته وسلوكه، ولغة خطاب يتفاهم بها

حياة الحيوان كما صورها القرآن



الأجهزة التي تؤدي عشرات الوظائف بطريقة سهلة وسريعة، لايستطيع الإنسان أن يحققها بحواسه، وفقا لبحوث العلماء التي أمضوا فيها طوال حياتهم لدراسة الحشرات.

وقد ثبت أن رأس الحشرة مزودة بمجموعة من الحواس المتعددة الأنواع والوظائف ومن ذلك أعضاء التغذية - مثلا - فهى قادرة على التهام أي طعام بخلاف الحيوانات الأخرى التي تنتقي طعامها.

ومنها عيون الحشرات فهى شديدة التعقيد وبالإضافة إلى ماتؤديه من وظائف عند الإنسان، فهى أيضا حواس للمس وشم الرائحة. وأحيانا تلتقط الأصوات الذبذبات كالراديو، والرادار كما سنذكره بعد قليل.

أما فم الحشرة فهو يؤدي عدة عمليات كالقبض على الأشياء وعضها، ومضغ الطعام وإحداث ثقب في مادة ما، وإن كانت هذه المادة سميكة لاتقدر على اختراقها المسامير والإبر. كما تفعله (البعوضة) عندما تثقب جلد الفيل أو الجاموس ثم تمتص ماتحويه من سوائل. إن الله قد زود هذه الكائنات الضعيفة بأجهزة لم يزوِّد الإنسان بمثلها، وليس معنى هذا أنها أرقى منه في سلم التطور ولكنها ذات مميزات لوحصل عليها الإنسان لكان أرقى وأفضل مما هو عليه الآن.

الحرب الخفية بين الخفاش والفراشة

الخفاش من أغرب الحيوانات الثديية، فهو يختبىء نهارا في إحدى المناطق أو الكهوف المهجورة، ثم تتجمع أسرابه عند غروب الشمس، وتنطلق في الليل المظلم، تعرف طريقها بدقة،رغم جميع العقبات، فكيف يستطيع الخفاش معرفة طريقة في الظلام، والانقضاض على ضحاياه للحصول على غذائه؟

في البداية اعتقد العلماء أن للخفاش عيونا خارقة، قادرة على الرؤية في الظلام لكن تجربة علمية شهيرة تمثلت في استئصال عيون الخافش ثم إطلاقه - وهو فاقد البصر- بددت هذا الاعتقاد.

فإن الخفاش بعد فقدان عيونه، واصل طريقه الطبيعي، يتجنب طريق العقبات مثل الأسلاك أو البنايات العالية، وينقض على مصادر غذائه من الحشرات الطائرة بلا أدنى خطأ، أو انحراف.

عندئذ أكتشف العلماء خفايا السر الكبير، فالخفاش لايعتمد على عينيه إنما على أروع جهاز (للرادار) فهو يطلق أثناء طيرانه صريرا ذا نغمة خاصة، ويحسب بسرعة الوقت بين انطلاق الصوت وعودة صدى هذا الصوت، وحين يصطدم بجسم يعرف نوعه إذا كان ضمن قائمة غذائه، أو يتجنبه إذا كان عقبة في طريقه، أو عدوا يفوقه قوة وشراشة.

لكن فصيلة ذكية من الفراشات التي يتغذى عليها الخفاش استطاعت تحدي هذا الطائر الثديي المخيف بجميع انواعها. لأنها تملك جهاز يقوم بمهمة التشويش على (رادار) الخفاش وكل موجة صوتية يطلقها الخفاش، ترد عليها بموجة، موجة مضللة تصيبه بالارتباك والعجزعن الانقضاض عليها.

ويقول العلماء: إن حرب الأمواج الصوتية التي توصل إليها البشر مؤخراً، بدأت على الأرض بملايين السنين، وكان أبطالها كائنات صغيرة لكنها انطوت على مقدرات عظيمة، وكأنها توشك أن تقول للعلماء ماقاله الله سبحانه لنبيه الكريم﴿وقل رب زدني علماً﴾.

حياة الإنسان معلقة بجناح الطائر

وفي قوله تعالى﴿ ولا طائر يطير بجناحيه﴾ مايثير التساؤل: لماذا كان ذكر الجناحين هنا مع أن الطائر لايطير إلا

■كشف عالم ألماني أن للطيور لغة تتكلمها، وأنها لا تفهم لهجات بعضها، فلا يفهم الشحرور النمساوي مثلا كلام الشحرور البافاري ولا الفرنسي

بجناحيه، والجواب عن ذلك:

انه في ذكر القرآن الكريم الأجنحة لكل طائر.. مايدعو الإنسان إلى اعادة النظر وإمعانه في هذه المخلوقات الضئيلة. وفي دقة تركيبها، وروعة بنائها وأنها على صغر حجمها ـ عالم متكامل في تكوينه، قد أودعت يد القدرة فيه من الأجهزة والحواس، مأأودعته في أرقى الكائنات الحية من قوة ومشاعر ومدركات.

يقول بعض العلماء: (لو لم يكن للطائر ريش لما عاش على ظهر الأرض إنسان ولاحيوان) وليس هذا الكلام يلقي على عواهنه، أو يقال على علاته. لأن الريش هو الكساء الذي يغطي جسم الطائر، ويصونه من حر الصيف، وبرد الشتاء ولولاه لهلك الطائر. وزال بذلك أهم عامل طبيعي يعوق نمو الحشرات فتنتشر بشكل مروع، وتحصد الزرع وتأكل الخضرة وتموت الحيوانات آكلة العشب ثم تموت الحيوانات آكله اللحوم، وتصبح الحياة قبراً لادبيب للحياة فيها.

إن الله سبحانه يجعل في الأرض توازنا عجيبا بين الحشرات والطيور فالأولى تظهر في أواخر الربيع من بيض وضعته في العام السابق، أو من شرنقة كانت تضمها في الشتاء..وفي نفس الوقت الذي تكثر فيه الحشرات تكون صغار الطيور قد خرجت من بيضها واحتاجات إلى الغذاء، فيجمع لها أبواها الحشرات بمقادير كبيرة من مطلع الشمس إلى مغربها، فينقص عدد الحشرات نقصا بالغا. ولولا ذلك لأصبحت وباء يعجز الإنسان عن مكافحته!

ومن الريش يتكون جناح الطائر الذي يحمله من مكان إلى آخر باحثا عن قوته ويمكنه من الهجرة في الشتاء عندما يندر الغذاء، وتقل الحشرات، فيحل في إقليم فيه دفء يجد فيه بغيته من الغذاء وضالته من الحشرات.

وفي الجناح قدرة خفية لايعرف مصدرها، فالقطار والسيارة والطائرة تقطع المسافات الشاسعة بالطاقة المولدة من الخارج ولكن جناح الطائر يحمله آلاف الأميال بدون أن يستمد طاقة من الخارج.

وقد يرفرف الجناحان بسرعة عظمية مدة طويلة من الزمن مدفوعين بقوة كامنة لايدرك منشؤها ولا المورد الذي يغذيها وتتضح هذه الظاهرة في العصفور الطنان الذي يزيد حجمه قليلا عن النحلة.. فإنه يستقر في الهواء تحت زهرة بها رحيق مرفرفا بجناحيه وبسرعة مفرطة حتى ليخيل للرائي أنهماه ساكنان.

هجرة الطيور

هل لدى الطيورعقل (ألكتروني) تهتدي به؟ هل تهتدي بالشمس في الظلام؟ هل تهتدي بجاذبية الأرض هل تهتدي بالغريزة عبر الأميال؟

إنه في الوقت الذي يدبر فيه كبار العلماء الطبيعيين وسائل السفر في الفضاء بين الكواكب يحاول بعض العلماء في ميدان آخر، اكتشاف كيفية سفر الطيور عبر المحيطات على ظهر الأرض؟ كيف يغادر (خطاف البحر) القطبي، موطنه في الشهر السادس من عمره، وقد ولد تحت حرارة تبلغ عشر درجات مئوية في القطب الشمالي، ويأخذ طريقه إلى المنطقة الجليدية في القطب الجنوبي يقطع فيها أحد عشرألفا من الأميال؟! وبعد أن ينقضي فصل الشتاء يطير عائداً إلى نفس موطنة الأصلي في الشمال ليقضي فصل الصيف هناك؟

إلى قدرة قلبه وجناحيه على أحتمال ذلك تعد معجزة بكل المقاييس. ولكن كيف يستطيع عقله الذي لايزيد عن حجم الدبوس أن يحل مشاكل السفر عبر البحار التى أرهقت الجنس البشري آلاف السنين؟

لقد اخترعت (البوصلة) في القرن (الثاني عشر) وبعد اختراعها بثلاثة قرون تمكن (كولومبس) من عبور المحيط الأطلنطي.

ولكن الطيور كانت تقوم برحلاتها البحرية في ثقة إلى جميع أنحاء العالم قبل ذلك بمليون سنة، إنه حتى الآن لايوجد لدينا أي فهم كامل في كيفية قيام الطيور بهذه الرحالات، وإن كانت هناك محاولات جادة لاكتشاف هذه الكيفية.

ماالذي يوجه الطيور وبأي شيء تهتدي في مسارها؟ أبالنجم القطبي مثلاً؟ أم بالشمس والقمر، أم بالرياح والجو، أم بالجاذبية الأرضية ما الذي يعطيها إحساس بالاتجاه؟

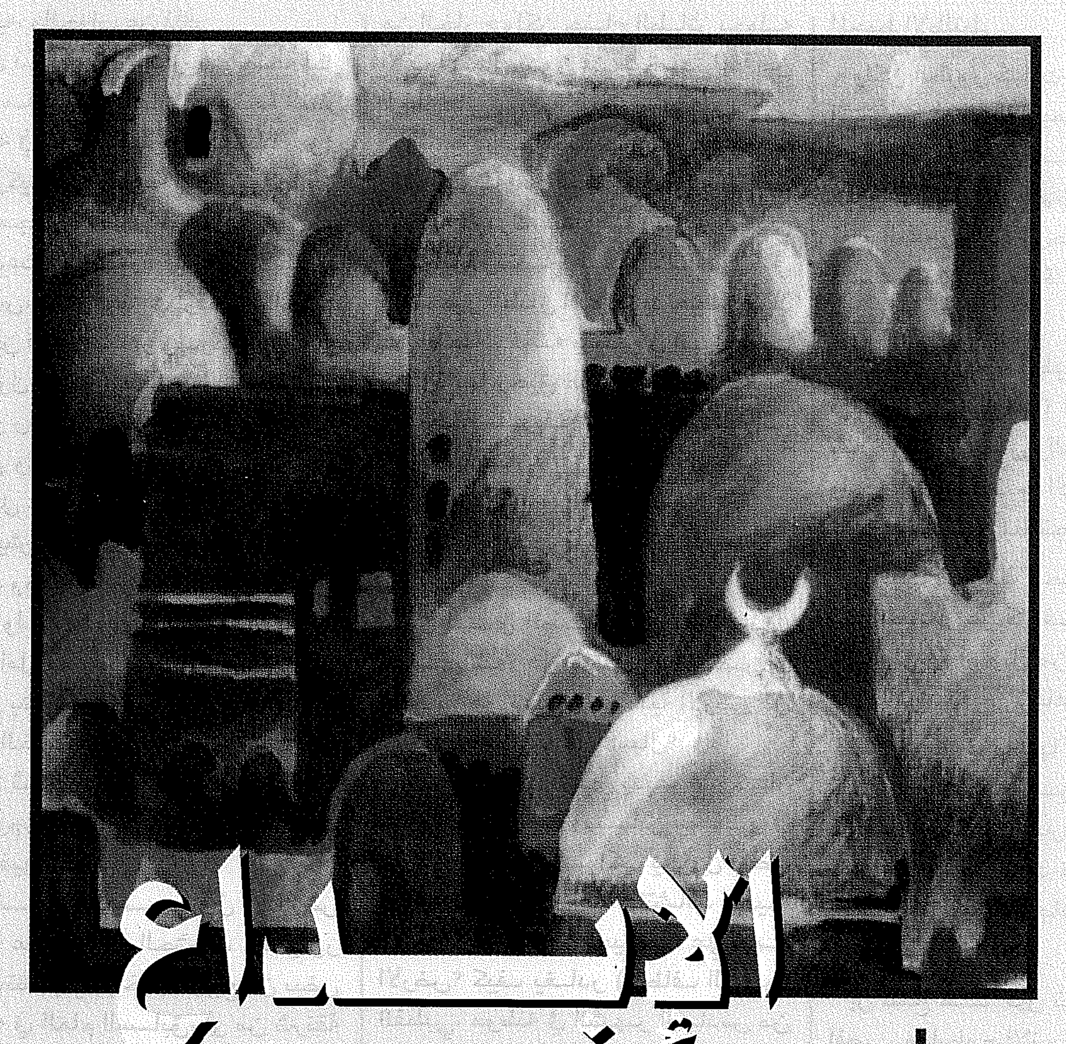
وأعجب من ذلك الحركة المشتركة التي تصدر عن كل فرد، في سراب من (الزرازير) أو رتل من صغار السمك عندما تريد تغيير اتجاهها.

ذلك أن كل فرد منها يدور على نفسه، كما لو كانت كلها يسيرها عقل واحد، هل يخاطب قائد السرب أفكار الأفراد فتصدر منه موجات تستقبلها عقول الجميع فيتجهون اتجاها واحداً أويميلو ن ميلة وحدة؟

إن صح هذا فإن تخاطب الأفكار أقصى مايطمح الإنسان إلى الوصول إليه في عصر الحضارة وقد سبقه إلى ذلك الحيوانات والطيور بآلاف السنين.

إنه بإزاء هذه الصورة الرائعة من القدرة الحيوانية تمثل أمامنا آلاف الضحايا البشرية، التي تقتل في الصحراء على بعد أميال محدودة من موطنها . ولاتجد من حواسها وقوة تفكيرها مايهديها سواء السبيل، فتموت من الإعياء والجوع، أو تفترسها السباع.

وليتذكر القارىء بعد ذلك قوله العليم الحكيم: ﴿وما من دابة في الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام:٣٨] □



الإبداع بين الرؤية الإسلامية والغربية

■ يحتاج الإبداع إلى الشعور والإحساس بالحرية والانطلاق وعدم الكبت أو الرضوخ لأي نوع من القهر

بقلم: علي القـــاضي

(الإبداع) تعبير يقصد به المقدرة على عمل شيء جديد ومبتكر وإخراجه إلى حيز الوجود والإبداع في الفن والأدب: معناه: الخروج على أساليب القدماء باستخدام أساليب جديدة وقد وردت في القرآن الكريم هذه الكلمة في أربع آيات ومنها قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة:١١٧] بمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض على غير مثال سابق.

الإبداع ظاهرة عامة يمكن أن توجد في كل المجتمعات الإنسانية وفي مختلف مراحل التطور الاجتماعي والثقافي. والعمل الإبداعي يتجاوز التجربة الإنسانية العادية ويدخل عليها الكثير من عناصر التحوير والتعديل التي قد تؤدي في النهاية إلى تغييرها تغييرا شاملا، بحيث تتعارض مع الأوضاع التقليدية.

والإبداع لن يحقق رسالته الصحيحة إلا إذا تمكن من توصيل التجربة الإبداعية بكل إنجازاتها إلى الآخرين حتى يحصل على تقبل المجتمع لعمله الإبداعي. والعملية الإبداعية يقصد بها العملية الذهنية التي يمكن عن طريقها تصور العمل الإبداعي وحده كلية، قبل الشروع في إنجازه وهي في حقيقتها أقرب إلى الحوار المتبادل بين الأوضاع الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع، والتكوين النفسي والوجداني للفرد والمجتمع.

والإبداع يحتاج إلى الشعور والإحساس بالحرية والانطلاق وعدم الكبت أو الرضوخ لأي نوع من القهر - بما في ذلك القهر السياسي - الذي يقضي في كثير من الأحيان على الحرية الإبداعية وإلى اختفاء أو انزواء كل الحركات الإبداعية.

والمبدع في العلم أو الفن: هو الشخص القادر على إدراك الروابط الخفية بين الأشياء.

دعائم الإبداع

وللإبداع الحقيقي الذي يمكنه أن يحقق وظيفة هذه الحياة دعائم أهمها:

أولا- الأصالة:

فالمبدع لا بد وأن يكون ذا فكر أصيل، وهذه الدعامة تتجلى في ميل بعض الأشخاص إلى التجديد، ومن ذلك استخدام بعض الشعراء لتشبيهات جديدة وابتعادهم عن التشبيهات الشائعة في المجتمع، كما تتجلى في استخدام بعض المصورين للألوان في علاقات جديدة. وفي استخدام بعض العلماء أساليب جديدة في تجاربهم وتحليلاتهم.

ثانيا- الطلاقة:

ويقصد بالطلاقة القدرة على إنتاج أكبر عدد من الأفكار الإبداعية مع سرعة التفكير السليم والتطبيق السريع للكلمات مثلا والقدرة على وضع الكلمات في أكبر قدر ممكن من الجمل والعبارات ذات المعنى المفيد والمثير في الوقت نفسه.

■يقوم الإبداع الاسلامي على تأصيل القيم الجمالية والمضامين الفكرية ضمن الفهم الاسلامي للكون والحياة ودور الانسان القيادي فيها

ثالثا- المرونة:

ويقصد بالمرونة الإشارة إلى القدرة على تغيير الحالة الذهنية بتغيير الموقف ومظهر ذلك: قدرة الشخص على أن يعطي - تلقائيا - عددا متنوعا من الاستجابات التي لا تنتمي إلى مظهر واحد والمرونة التلقائية هي التي يمكن تحديدها لدى الفنانين والأدباء المبدعين.

والمبدع يتميز بالحساسية فهو يرقب الأشياء التي لا يرى فيها غيره كالألوان كما ويلمس الأشياء واستجابات الآخرين.

وبذلك: تصبح المرونة وظيفة متخصصة في ألوان النشاط وأنواعه ويمكن عن طريقها أن نغير من وجهة نظرنا إلى أمر من الأمور أو مشكلة من المشكلات.

رابعا- التقويم:

والتقويم هو الذي نحكم عن طريقه على الأشياء أو الموضوع من حيث ملاءمته، لأنه يوضع على أشياء أخرى أو يدخل في سياق معين كالشاعر والمصور والعالم والفيلسوف.

مجالات الإبداع

والإبداع يشمل كل مجالات الحياة.. فالإبداع في في السياسة: يعني التغيير المفيد في توزيع السلطة في المجتمع. والتغيير في عقول الناس وأفكارهم فيما يتضمن وسائل معاشهم، والتغيير في أذواق الناس ووجدانهم وعواطفهم. والتغيير في سلوك الناس بحيث يكون سلوكهم أفضل ومتمشيا مع قيم المجتمع وأخلاقه والإبداع بكل صوره يختلف من مجتمع إلى مجتمع.

والإبداع في العلوم الاجتماعية هو تقدم علمي بحثي يقوم بإسهام جوهري في إثراء الرصيد المعرفي لأي تخصص من التخصصات.

ويتحقق الإبداع في العلوم الاجتماعية بتقدم علمي - بحثي - يقوم بإسهام جوهري في إثراء الرصيد المعرفي لأي تخصص من التخصصات.. وبطرح بعض الفروض الهامة وتحسين منهجية بعض النظريات أو الغوص في الكشف عن خبايا بعض البحوث القديمة المهملة - في عمليات هامة رئيسة بالنسبة لمسيرة المشاريع العلمية في هذه العلوم.

وبذلك يأتي الإبداع من تلاقح العلوم لا من انعزالها بعضها عن بعض ولا من الإفراط في التخصص المتقوقع.

فخروج عالم الاقتصاد أو عالم النفس من مجال تخصصه بشيء ما واحتكاكه - على الهامش - بتخصصات أخرى مجاورة يرشحه للإبداع في دنيا الأفكار والمعارف في علوم الإنسان والمجتمع.

والإبداع الإسلامي يستوعب كل ما في الحياة وفق التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحياة بحيث لا يزيف حقيقة ولا يخلق وهما فاسدا ولا يحابي ضلالا ولا يزين نفاقا. بل إنه يطلق نيرانه على شياطين الانحراف والقهر والظلم، لأن له وظيفة في هذه الحياة، هي تحقيق وظيفة المسلم طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى.

ومن ثم فإنه ينهض بعزائم المستضعفين وينصر قضايا المظلومين ويبشر بالخير والحق والجمال ومن هنا فإن الإبداع في الإسلام لا يكون عبثيا بل إنه إبداع الضمير الحي والوجدان السليم والتطور الصحيح والخيال البناء والعواطف المستقيمة، فهو لا يتجه إلى انحراف نفسي ولا إلى اعتلال شعوري ولا إلى مرض فلسفي، وما إلى ذلك مما نراه في الحضارة الغربية.

وهو يقوم أيضا على تأصيل القيم الجمالية والمضامين الفكرية الأصيلة. وهو وثيق الصلة بالصحوة الإسلامية في جميع المجالات.

والمبدع المسلم لا يكمن فيه الخلل الداخلي ولا الخلط الأهوج بين الوسائل والغايات، ولا

الابداع بين الرؤية الإسلامية والغربية

يكمن فيه سوء النية ولا العداء لكل شيء في الحياة، الأمر الذي جعل الغرب يعيش في ظله بسبب الخواء الروحي الذي دفعه إلى التهكم من القيم النبيلة وأفكار العقيدة الدينية ذلك لأن المبدع المسلم مرتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم والمنهج الإلهي، إلى جانب الالتزام الداخلي الذاتي يعد الوجه الآخر للصدق.

والالتزام في الإبداع معناه القناعة الإيمانية والسلوك المطابق لكل ما يتعلق بها، والالتزام بذلك التزاما داخليا وخارجيا في وقت واحد، وذلك يكون في إطار المسؤولية الإيمانية. فالميزان من صنع الله تعالى

والمبدع المسلم خاضع لحساب الضمير ولحساب المجتمع في الدنيا، وخاضع لحساب الله تعالى في الدنيا والآخرة. وحريته تكون في إطار المنهج الإلهي.

والإبداع في المنهج الإسلامي وسيلة من وسائل التربية، وله تأثيره المتميز على نفسية المتلقي وفكره حتى وإن لم يدركه.

والمبدع المسلم يعيش عقيدة وفكرا وسلوكا من نوع خاص، وذلك يؤثر في مكوناته النفسية والعقلية ويؤثر في قدراته الإبداعية.

الإبداع والفكر

والإسلام دعا إلى إعمال العقل والتفكير، والنصوص القرآنية تحث على التفكير والتدبر ففي ذلك آيات لقوم يتفكرون وعبرة لأولي الألباب وأصحاب العقول المتدبرة والمتفكرة يقول الله تعالى في ذلك: ﴿أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير﴾ [العنكبوت:١٩]، ويقول: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾ [العنكبوت:٢٠].

وقد عاب القرآن الكريم على أقوام لم يفكروا ولم يفقهوا ووصفهم بأنهم كالأنعام بل هم أضل - لأنهم لم يوظفوا حواس التفكير والتدبر فقال: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف:١٧٩].

فالإسلام دعا إلى الفكر والتدبر وهو الدين الذي قال: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [النمل:٦٤].

والفكر في الإسلام مطلق بلا حدود ولكن على ألا يتعدى المفكر بفكره والمبدع بإبداعه الثوابت التي جاءت ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية. ولايمكن للمبدع المسلم أن يقول: إنه لا علاقة للدين بالإبداع أو يزعم أن الدين لا علاقة له بالفن.

ذلك لأن الدين الإسلامي جزء من كيان الإنسان بل إن الإنسان الذي لا دين له ما هو إلا حيوان، ولا يمكن للحيوان أن يبدع أو يفكر لأن الإبداع الفكري والإبداع الفني صفة من صفات الإنسان الذي يحس بوظيفته في

يتجاوز العمل الإبداعي التجربة الإنسانية العادية ويعدّلها بحيث تتقدم على الأوضاع التقليدية

هذه الحياة.

ولذلك فإن رسم صورة لامرأة عارية لا يمكن أن يسمى في الإسلام إبداعا، وكذلك القصيدة التي تدعو إلى الخلاعة الجنسية.

وهكذا كل ما يمس حياء الناس وأخلاقهم أو يسيء إلى أذواق الناس وقيمهم ودينهم وأخلاقهم فكل ذلك يسمى قبحا ولا يسمى إبداعا وفنا.

ولأن الإبداع الحقيقي يشمل كل ما يخدم الإنسانية من اختراعات وابتكارات، ولا يصح أن تتحول حرية الإبداع إلى عوامل لإفساد الأخلاق والقيم والمجتمع، فإن الإسلام قد وضع ضوابط لحرية الإبداع فقد زكى الكلمة الطيبة وجعلها صدقة يتصدق بها الإنسان ذلك لأن النبي ﷺ جاء ليتمم مكارم الأخلاق. وبذلك يتمكن المسلم من أداء وظيفته في هذه الحياة في عمارة الأرض وفي عبادة الله تعالى بالمعنى الشامل للعبادة. ولذلك فلا يوجد في الإسلام رذيلة ولا يوجد انحلال أو انحراف أو تفسخ مشروع.

والحرية في الإسلام لها ضوابط ويمكن لأي مسلم أن يفعل ما يريد وأن يقول ما يريد ما دام ملتزما بهذه الضوابط. ومن هنا فإننا نجد الإسلام قد شجع الناس على التعامل بما خلق الله تعالى في الطبيعة من جمال السماء والأرض.

ولذلك فلا بد وأن تضع الحكومات الإسلامية أجهزة للإشراف على الفكر الفاسد الذي يضر بعقول الناس تحت اسم الإبداع فالكلمة الملوثة أخطر على الإنسان من الأدوية الفاسدة، لأنها تعم الناس جميعا وآثارها أكبر وأخطر.

الإبداع في الغرب

الإبداع في الغرب لا حدود له والحرية - لما يسمونه المبدع - شاملة وكاملة وتحت قشرة المسيحية الرقيقة ظلت في شعور الأوروبيين تلك النظرة الإغريقية إلى الله فالعلاقة الإغريقية بين الله وبين البشر هي العلاقة القائمة على السرقة والاغتصاب والصراع والانتقام والوحشية والعنف.

يقول بعض كتاب الغرب: إن حرية الإبداع هي القدرة على اقتحام المحرمات الثلاث: الدين والسياسة والجنس فهي المجال الحيوي الذي يتحرك فيه الإبداع. ومعنى هذا أن حرية الفنان في الإبداع هي التي تتيح له تجاوز الضوابط والحدود والحرمات بل وإهانة المقدسات والاستهانة برموز الدين وتجريد كل ذلك من الأخلاق الفاضلة.

وهذه النظرة أدخلت في بيوت بعض المسلمين كل معاني الفحش والرذيلة بدعوى الضرورة الفنية وحل مشكلات المجتمع. والناقد الفني (جان كلير) يؤكد أنه منذ الحرب العالمية الثانية حدثت تحولات جذرية في المجال الفني حيث تدفق سيل من الاتجاهات الغربية المبتذلة ومحاولات الهدم الفني والرغبة الجامحة في التدمير وذلك الطموح الذي لفت الأنظار اعتمادا على التخويف والتزييف ومن أمثلته: فن الطبيعة، الشراسة، الفن النظري، البدائي، اللا شكلي، الكهربائي إلى أكثر من مائتي تصنيف للفن الحديث لهذه المسميات

التي داهمت المجتمعات في هذا العصر. ثم يقول: «إن هذه التسميات تتم عادة عن عمليات تزييف واسعة للواقع وتزييف للكلمات والأفكار بهدف إخفاء اللعبة المستترة التي كانت تتم خفية».

وفي الغرب يدخلون إلى عالم الإبداع مجرّدين من القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة ويجعلون ذلك غايتهم وذلك مقبول عندهم بكل صوره.

سمٌ ودسم

وقد استطاع الغرب أن يدخل خطرين إلى فكرنا الأدبي الإسلامي:

الأول: أنه أعطى كاتب القصة التاريخية حرية التصرف في الواقع بما يتفق مع هواه.

الثاني: أنه أعطى الحرية في اقتحام المحرمات تحت اسم الإبداع وحرية الإبداع والفن.

وهذا يفتح الطريق أمام إشاعة الفاحشة.

ومن هذا المنطلق ظهر المذهب الوجودي لسارتر والمذهب السريالي الذي يهدف إلى هدم جميع الحركات الذاتية النفسية.

ومن أهدافه الأساسية: هدم كل معتقد وهو في ذلك يخضع لسلطة فرويد في إعلاء الجنس وفي تفسير كل شيء به حتى رضاعة الطفل من ثدي أمه.

وهناك دعاوى هدامة ترمي إلى تحطيم النظام الاجتماعي وتوهين العزائم في كل مكان وإحياء النزوات ومن ذلك:

المذهب العبثي: الذي يدعو إلى التحرر من قيود أي مسلك أخلاقي.

ومذهب الدادية: الذي يدعو إلى تدمير منابع الفكر واللغة معا.

وهذه المذاهب تركز على حرب اللغة العربية بدعوى أن في قواعد اللغة العربية ثوابت لا يصح أن تستمر مع أن هذه الثوابت هي التي تحفظ اللغة وتحفظ الإسلام.

والإبداع الفني في الغرب يجعل الصور المحسّة بعامة وجسم الإنسان بخاصة له المقام الأول في فلسفة الجمال. وهذا معناه الهبوط بالفن إلى التقليد اللاواعي والمحاكاة اللاواعية ولذلك فإن أغلب الأعمال الفنية ما هي إلا حوار مكرر من الإنسان وصورته وتقوقع الإنسان في داخل نفسه.

والسينما تصور المرأة – في الإبداع الغربي – وكأنها لم تخلق إلا لمتعة الرجال وخيانة الرجل لزوجته وقد اختفت صورة المرأة المكافحة التي تعيش في ظل المعاني الآسرية.

وتصورها على أن لها الحق في ممارسة كل الأفعال غير الأخلاقية في حرية تامة، وإلا فهي الضحية وهي المظلومة في حقوقها الإنسانية.

وباسم الإبداع والفن والحب ترتكب كل الآثام ثم تلتمس لها الأعذار، وقد أصبح أبطال الشاشة هم القدوة والمثل للشباب، فهم يقلدون ما يرونه في السينما من تصرفات وملابس وأزياء وأفكار.

ويقولون: الدين قيد على الإبداع والفن والجمال وهذا مفهوم غربي غير إسلامي، لأن الإسلام هو الحياة الحقيقية والحياة الحقيقية هي الإسلام وكل مذهب ملزم بالفكر الذي يدعو إليه.

الانسان أولاً

والإبداع في المنهج الإسلامي وسيلة من وسائل التربية وله تأثيره المتميز على نفسية المتلقي وفكره حتى وإن لم يدركه بسبب التأثير. والمبدع المسلم يعيش عقيدة وفكرا وسلوكا من نوع خاص وذلك يؤثر في مكوناته النفسية والعقلية وفي قدراته الإبداعية.

والتصور الغربي للإبداع قائم على مادية الإنسان وحيوانيته وإنكار الروح، والسبب في ذلك الداروينية التي تولدت عنها الماركسية، وعلم النفس الحديث، وعلم الاجتماع الحديث وقد صور فلاسفة الإبداع في الغرب الدين على أنه علاقة تعدد وتضاد بينه وبين الإنسان.

فتارة يقولون: الإبداع غاية وأن شعارات الدين والسياسة وغيرها تفسد الإبداع.

وتارة يقولون: إن الأديان قيود، والإبداع حرية وانطلاق.

ومرة ثالثة يقولون: إن الدين عماده الأخلاق، وإن الإبداع لا يعبأ بهذا الجانب، لأنه يهتم بكل ما هو جميل ولا يفكر فيما إذا كان يعبر عن فضيلة أو يعبر عن رذيلة، والإسلام يحافظ على شخصية الفرد وأخلاقه كما يحافظ على شخصية المجتمع وأخلاقه حتى يمكن للجميع أن يؤدوا وظيفتهم في هذه الحياة باعتبارهم خلفاء الله في الأرض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله تعالى الخالق الرازق المحيي المميت الذي سيحاسب الناس على أعمالهم: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [الزلزلة:٧و٨].

والإنسان إذا فقد فرديته ووعيه الذاتي بنفسه وأصبح مندمجا مع غيره في كتلة واحدة لاتمايز فيها كما هو الحال في قطيع الغنم فإن آدميته تكون قد ضاعت في اللحظة نفسها، وذلك يقتل فيه الإبداع ويعدم الأفكار. بل يصبح المبتدع – إن وجد – منحرفا ويصبح التفكير ساذجا وخارجا عن الجماعة، والإبداع ليس الغموض، كما يحاول الغرب أن يصوره، بل هو الوضوح دون إهدار للقيم الفنية الجمالية والمبدع يعبر عن الحياة من خلال نفسه وفكره، يبدع لها صورة مؤثرة آخاذة ترتبط بذاته وخصوصياته فتبدو متفردة جميلة.

ثم إن الإبداع يرتبط بالمسؤولية النابعة من صميم الإسلام، على عكس الفلسفات الغربية التي تنوعت وتعددت وأصبحت لا تلتزم بالقيم، وبذلك استمالت المتحللين من القيم والأخلاق والمبادىء، وقد فهموا أن ذلك هو قمة الحرية: مع أنه في حقيقته قمة العبودية. لأن الحرية الحقيقية تتبعها المسؤولية النابعة من ضمير الفرد ومن قيم المجتمع على السواء.

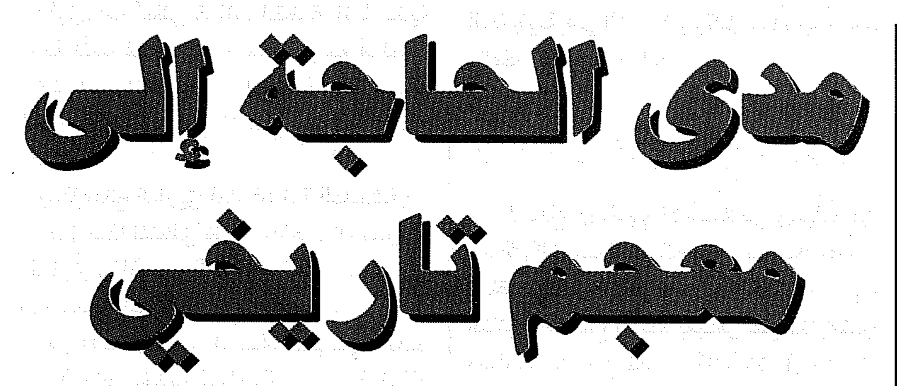
والإبداع لذلك يقدم الإحساس الرفيع للناس في صورة من صوره. والإسلام يوقع على الحس البشري توقيعات شتى تهز الوجدان من أعماقه في توجيه القلب البشري إلى آيات الله سبحانه وتعالى في صفحة الكون.

والإسلام وهو يربي الروح يعمل على إثارة الحياة فيها عن طريق النظره والتفكر، ثم يوجه القلب البشري إلى علم الله تعالى الشامل لكل ما في الحياة، وإذا كان الغرب يعمل على إبراز الجنس في لوحة الإبداع والفن فإن الإسلام يصور الحب بالمعنى الشامل للحب والجمال – الجمال الأكبر المستمد من ناموس الكون وهو الذي ينبغي أن تمارسه الفنون الإنسانية الرفيعة التي تتجاوب تجاوبا صحيحا مع حقيقة الوجود وذلك هو الجمال الذي يؤدي وظيفته في هذه الحياة.

وذلك هو الإبداع الذي يجعل المسلم قادرا على الانسجام مع نفسه ومجتمعه ومع الكون ومع ربه سبحانه وتعالى، وهذا ما يميز المبدع المسلم عن غيره ممن يسمون بالمبدعين في الشرق وفي الغرب على السواء□

يصطبغ المعجم العربي عادة بالصبغة الثقافية التي تسود العصر الذي يظهر فيه

أسفرت أبحاث المهتمين في العصر الحديث بقضايا المعاجم العربية عن عدة نتائج، كان من بينها كثرة المعاجم العربية في مختلف العصور الأدبية، باستثناء العصرين الجاهلي والأموي، وأن هناك درجات من التفاوت بين عصر وآخر، وأن العصر الحديث أكثر العصور تأليفاً ووضعاً للمعاجم، وخاصة تلك المعاجم التي تتسم بالصبغة المدرسية، أو ذات الطابع التعليمي، كما يرون أن تلك المعاجم تتنوع منهجياً، وتختلف كماً في استيفاء المواد اللغوية، وفي الأسلوب العلمي الذي اتبع في معالجتها، وأن المعجم العربي يصطبغ عادة بالصبغة الثقافية التي تسود العصر الذي يظهر فيه هذا المعجم أو ذاك..



مدى الحاجة إلى معجم تاريخي

غير أن هذه الاستخلاصات تبقى هامشية قياساً إلى شعور أكثر الباحثين المعاصرين بالحاجة الماسة إلى ضرورة وجود معجم تاريخي يعمد أساساً إلى التأريخ لحياة الكلمات، ويتعقب هذه الكلمات في مراحلها المختلفة، ويوضح ما يمكن أن يكون قد طرأ عليها من تغيير أو تبديل في مختلف الأزمنة، وما طرأ على أبنيتها وصيغها واستخداماتها ودلالاتها من تطور وفقاً لمقتضيات كل عصر.

الباعث على وضع المعجم التاريخي

ويبدو واضحاً أن هذا الشعور كان وليد العصر الحديث، وأنه تولّد ابتداء لدى نفر من المستشرقين، نتيجة إحساسهم بالغربة عند قراءتهم للنصوص العربية، ونتيجة تأثرهم بما لديهم من معاجم عُنِيَ بعضٌ منها بالجوانب التاريخية لحياة المفردات اللغوية. ففي الثلاثينيات من هذا القرن، قام المستشرق الألماني أوجست فيشر(*) بعد اقتناعه بضرورة وجود معجم عربي يكون في المكتبة العربية إلى جانب المعاجم العربية الأخرى، بمحاولة لوضع معجم تاريخي يعد الأول من نوعه، وقد أهدى جذاذات أصول هذه المحاولة إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٣٦م، ثم انعقدت النيّة حينئذ على استكماله وطبعه، ولكن العمل فيه توقف أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم استؤنف بعدها، ثم توقف عند عودة هذا المستشرق إلى ألمانيا، وعودة أصول هذا المعجم معه، ولا شك أن ما بقي من بعض جذاذات هذا المعجم يؤكد أن صاحبه قد عُنِيَ بناحية هامة فيه كان قد أغفلها أصحاب المعاجم من قبل، وهي تعقب معاني كل كلمة في مراحل حياتها، وفي مختلف العصور والأمكنة، وبيان ما اعتورها في مدلولها من تغيير(١)..

موقف الباحثين العرب من المعجم التاريخي

تركت أفكار هذا المستشرق آثارها لدى العديد من الباحثين العرب، وبخاصة في مصر ممن وقفوا بصورة أو بأخرى على أفكار هذا المستشرق وغيره – من أمثال دوزي (**) وتأثروا بها. ولعل من أبرز هذه الآثار على المستوى الرسمي، ما نصت عليه المادة الثانية من قرار إنشاء مجمع اللغة العربية وهي أن يقوم (المجمع) بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة لتاريخ بعض الكلمات وتغيّر مدلولاتها. ولا شك أن هذا الشعور أخذ يزداد قوة عندما وقف نفر من الباحثين على المعاجم الغربية ومن بينها المعاجم التي تُعْنَى بالجانب التاريخي وفي مقدمتها قاموس أكسفورد الذي اتخذه بعضهم أنموذجاً لمشروع قاموس تاريخي عربي، فارتفعت الأصوات التي تعبر عن الحاجة الماسة إلى مثل هذا القاموس، ومن بين هؤلاء المرحوم أحمد أمين الذي نادى صراحة بضرورة وجود قاموس تاريخي، وذلك في كتاب ضحى الإسلام (٢)، كما تحدث عن العقبات التي تعترض سبيل هذا المعجم في كتاب فجر الإسلام (٣)، ثم تبعه نفر آخر من الباحثين نذكر منهم على سبيل المثال حسن عون في كتابه اللغة والنحو (٤)، والدكتور حسين نصار في

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي

كتابه المعجم العربي(٥)، والدكتور تمام حسان في كتابه اللغة معناها ومبناها(٦)، والدكتور علي عبدالواحد وافي في كتابه فقه اللغة(٧)، ود.محمود حجازي في كتابه علم اللغة (٨) وغيرهم.

ويبدو أن أكثر هؤلاء الباحثين يعبرون عن الحاجة إلى قاموس تاريخي عندما يكونون بصدد دراسة إحدى الظواهر اللغوية، أو الأدبية، أو النقدية، فيقفون أمامها ويريدون أن يحددوا بدقة الفترة الزمنية التي ظهرت فيها اللفظة المعبرة عنها فلا يجدون ضالتهم في المعاجم اللغوية العربية فيلجأون إلى عملية التأريخ لها من ناحية ثم يلجأون – بعد طول العناء – إلى التمني والأمل في وجود قاموس تاريخي يحقق لهم ضالتهم ويسد النقص الذي يعتري المعاجم العربية.

وعلى سبيل المثال قام الدكتور محمود حجازي بالتأريخ لكلمة (اسم) وذهب إلى أن عمرها يزيد على خمسة وأربعين قرناً، وإلى أنها من أصل ثنائي (٩)، كما عرض إلى كلمة (نَقَلَة) وهي من المادة العربية (نَقَل) التي تفيد النقل المادي ونقل الشيء من مكان إلى مكان وذهب إلى أن معناها تَطَوَّرَ إلى النقل المعنوي ونقل الفكرة من لغة إلى أخرى ورأى أن تاريخ هذه الدلالة لهذه الكلمة يعود إلى القرن الرابع الهجري (١٠). والدكتور حجازي هو الذي يرى أن دراسة حياة كل كلمة عمل علمي، وهو أحد الدعاة إلى إيجاد

قاموس تاريخي، وأحد الذين تأثروا كثيراً بأفكار المستشرق أوجست فيشر. وكذلك قام الدكتور شوقي ضيف بالتأريخ إلى كلمة (مقامات) (١١)، وفعل مثله د. محمد مصطفى هدارة في عرضه لكتاب الأسس الفنية للنقد الأدبي، حيث عُنِيَ فيه بتطور المفهوم اللغوي لكلمة (فن) (١٢). وهذا كله من شأنه أن يؤكد حاجة هؤلاء الدعاة إلى قاموس تاريخي لأنهم هم الذين شعروا بالمعاناة الحقيقية، وهم يبحثون في تراثنا فلم يجدوا ما يسعفهم لتحديد الفترة الزمنية التي وجدت فيها هذه الدلالة أو تلك.

موقف العقاد من القاموس التاريخي

وقد تفرد الأستاذ عباس محمود العقاد من بين الباحثين العرب برفض فكرة القاموس التاريخي، ورأى أن الدول الغربية في حاجة ماسة للمعاجم التاريخية، أما نحن العرب فلا نحتاج – على حد قوله – إلى التسلسل التاريخي في وضع معاجمنا الحديثة (١٣). ومما يُلْحَظ على مقولة العقاد أنه لم يعلل لموقفه الداعي إلى رفض فكرة القاموس التاريخي، ولم يوضح المسوغات التي تجعلنا نحن العرب في غنى عن مثل هذا القاموس، وتجعل الغرب في حاجة إليه.

القرآن الكريم وظاهرة التطور التاريخي لبعض المفردات اللغوية

لقد غاب عن هؤلاء الباحثين – وهم بصدد مناقشة حيثيات المعجم التاريخي – الالتفات إلى الظاهرة القرآنية التي تتصل مباشرة بمسألة التطور التاريخي للعديد من المفردات اللغوية، ومع إيماننا المطلق – أولاً وقبل كل شيء – بأن القرآن الكريم كتاب العقيدة الإسلامية كتاب الأحكام والعبادات والمعاملات وليس كتاباً في علم اللغة، أو الأدب، أو البلاغة، ولكنه نزل باللغة العربية متربعاً على عرش الفصاحة والبلاغة والبيان، ومع هذا كله يجد فيه الباحث اللغوي والبلاغي والأدبي ما يسعفه ويعينه على تأصيل النظريات اللغوية والبلاغية والأدبية وغيرها.

ومن هنا يمكن أن نسجل أن القرآن الكريم حمل بين دفتيه بأسلوب متميز ظاهرة التطور التاريخي للعديد من المفردات اللغوية، وهو بذلك يكون الكتاب الأول في تاريخ لغتنا العربية.

وهذه المفردات هي التي يطلق عليها في كتاب اللغة «الألفاظ الإسلامية»، وفي ذلك يقول السيوطي:

«فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط واوصافاً بها وسمّي المؤمن بالإطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشارع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء (جحر) اليربوع، ولم يعرفوا في الفسق، إلا قولهم: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى. ومما جاء في الشرع: الصلاة، وأصله في لغتهم: الدعاء.. وكذلك الصيام أصله عندهم الإمساك.. وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم: غير القصد، ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره.

«وهذه الألفاظ وغيرها مما تفيض بها كتب اللغة، لا تعدو أن تكون من قبيل نقل الدلالة من معنى إلى معنى، وهي بذلك تكون قد أخذت هذا المعنى، وهذا المفهوم الذي أقره الشارع، ويمكن أن يحدد تاريخ دلالتها الجديدة بفترة نزول القرآن الكريم» (١٤).

على أن هناك طائفة أخرى من المفردات تدخل في هذا الإطار وهي التي أطلق عليها علماء العربية لقب المولد(١٥)، وهي مجموعة من المفردات أحدثها المولدون من الشعراء وهي أصلاً ليست من كلام العرب، وإنما ولدت توليداً واستجدت على اللغة بعد عصور الاحتجاج. ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نعدد هذه المفردات وغيرها، والذي يعنينا من هذا كله أن الالتفات – إلى الألفاظ الإسلامية، وإلى المولد وكذلك المصنوع من المفردات – أمر ضروري للباحث عندما يكون بصدد الحديث عن المعجمية التاريخية وليس من السهل المرور ببساطة ودون التوقف مليا عندها.

صعوبات أمام المعجم التاريخي

ومهما يكن، فإن هناك عقبات جمة – شعر بها كثير من الباحثين ممن عرضنا لمواقفهم السابقة – تحول دون إيجاد المعجم التاريخي ولا يمكن تجاوزها بسهولة، وهذه العقبات لا تقتصر على الجانب المادي وما يحتاجه هذا الإنجاز من وقت وجهد ومال. ومما يذكر بهذا الصدد أن معجم أكسفورد استغرق إنجازه سبعين عاماً، وضم أكثر من ثلاثة ملايين ونصف المليون شاهد لغوي، وشارك في فرز مواده اللغوية من مظانها ومصادرها ألف وثلاثمائة قارىء، وخصص ثلاثون دارساً لترتيب المادة اللغوية (١٦).

هذا إلى جانب العديد من العقبات الفنية التي تعترض طريق هذا المعجم المقترح، بعضها يتصل بطبيعة اللغة العربية التي امتدت على رقعة واسعة من الأرض وعاشت عصوراً طويلة متعاقبة، وبعضها يتصل بطرق رواية اللغة وتعدد اللهجات وضياع عدد كبير من آثارها وبقاء جزء كبير من تراث العربية في صورة مخطوطات موزعة في شتى مكتبات العالم، ويتعذر جمعها ونشرها.

والذي نراه إزاء هذه العقبات الجمة أن يُكْتَفَى بالتأريخ لبعض المفردات التي يرى الباحثون ضرورة التأريخ لها، وهي التي لها صلة وثيقة بالفكر أو الفن، أو العلوم، أو الطب، أو الفلسفة، أو اللغة، أو المعرب، أو الدخيل، إذ ليس هناك من قيمة كبيرة في التأريخ إلى كلمة مثل: ذهب – وقف – أكل – قياساً إلى التأريخ إلى كلمة: أدب – فن – مقامة – قافية – قاموس – معجم – مؤامرة، وغيرها من كلمات تعد من صميم التراث وركائز الحضارة.. وقد يكون ذلك خيراً من قاموس كامل يؤرخ فيه لجميع المفردات، وقد يكون من الترف العلمي أن نُقْدم على صناعته في وقت تشتد الحاجة فيه إلى سد العديد من الثغرات في المعجمية العربية، وما أشد الحاجة إلى معجم عصري حديث يحظى بالقبول لدى قراء العربية ويكون ملاذهم عند قراءة النصوص□

الهوامش:

(*) أوجست فيشر، مستشرق ألماني اهتم بدراسة فقه العربية، والمعاجم، وله مؤلفات عديدة، انتخب عضواً في المجمع العلمي بدمشق، والمجمع اللغوي في القاهرة. (نجيب عقيقي، المستشرقون، ص٧٧٠).

(**) دوزي، مستشرق هولندي له اهتمامات بالساميات وتاريخ الأندلس وآدابه، وأصل الكلمة العربية، والألفاظ الدخيلة (المرجع السابق، ص٦٥٩).

(١) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص٢٩٠، ٢٩٥.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج١، ص ٢٩٢.

(٣) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٥١.

(٤) حسن عون، اللغة والنحو، دراسات تاريخية وتحليلية مقارنة.

(٥) حسين نصار، ص٩٩، المعجم العربي، نشأته وتطوره، ج٢، ص٧٧٣.

(٦) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٣٣.

(٧) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص٢٨٨ (مرجع سابق).

(٨) محمود حجازي، علم اللغة العربية، ص٤٠.

(٩) نفسه، ص٣١٠.

(١٠) نفسه الموضع السابق.

(١١) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص٢٤٧.

(١٢) محمد مصطفى هدارة، مقالات في النقد الأدبي، ص١٩٨.

(١٣) عباس محمود العقاد، بحوث في اللغة والأدب، ص٢٨.

(١٤) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وآدابها، ج١، ص٢٩٥.

(١٥) نفسه، ج١، ص٣٠٤.

(١٦) عفيف عبد الرحمن، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، ص٣٥، (مقال في مجلة المجمع

عبرة مسجد

(من مسجد خسروبيك في سراييفو إلى مسلمي العالم)

شعر: عبد الرحمن البجاوي

وحـــدي وليلُ الأسى في الـــدار يضْطـرمُ ... والبـوم ينعَبُ، والغـربـانُ، والـرخَمُ
ولا تلـــوحُ ســـوى الجرذان عـــابثـــةً ... والقط نشـــوانُ حيث اللحم والـــدّسـمُ
وقصتـي تثقبُ الأسماعَ مـــرعـــدةً ... والعـــالم الحر، قـــد أزرى بـــه الصّممُ!!

* * *

مـــرتْ فـــرونٌ ثـــلاثٌ لا تبـــددنـــا ... أهـــواءُ عـــاصفـــة كـــالسيـل تقتحمُ
يسعـى إليّ عبـــاد اللـــه ، رائدهـم ... النـــور، والطهـــرُ، والإحســـانُ، والكـرمُ
يتلـون حقًـا كتـاب اللـه، سـاجـدةً ... أضـــلاعُهم، ويـــروعُ النفْس ذكـــرهمو
صيـــامهم، حجّهم للـــه، طـــائفـــةٌ ... أرواحُهم حـــول بيت اللـــه تستلم
يـــؤمّهم من بنـي الإســـلام (معتضـــدٌ) ... ويحفظ الـــدار والأعـــراض (معتصمُ)

* * *

في (آل عثمان) عشنـــا، لا يكـــدّرنـــا ... مـــا كـــدر الأهـل إذ طـــاحتْ بهم (إرمُ)
وكم دهتنـــا صروفُ الـدهـــر غـــاشيـــةً ... بـــاسْـم الصليب فأودى الغـــابُ والأكمُ
واســـودت الأرض من الجاد شرذمـــة ... دستـــورهـــا السحلُ والتنكيلُ والضرمُ
وقيض اللـــه أن تهوي دعـــائمهـــا ... وضـلّ من ســـاد في أعماقهـم عـــدمُ

* * *

واليـــوم تبكي منـــاراتي، ولا أحـــدٌ ... وخيّـم الظلـمُ، واستشرتْ بـــه الظِلَـمُ
في كل زاويـــة آهـــاتُ ضـــائعـــة ... تبتلتْ ؛ فسبـــاهـــا فـــاجـــرٌ نهمُ
الموتُ رافضـــةً ، والقهـــرٌ راكعـــةً ... ووزرهـــا قـــولُ : لا ، لا قـــولها : نعمُ
وكـم تمادى ذئابُ الليل فـــامتشقـــوا ... ســـلاحهم، وثغـــاءُ الشـــاة يُكتتـمُ

* * *

وفي المحـــاريـب آيـــاتٌ مبعثـــرةٌ ... تشكـــو، وفي شفتيهـــا حسْرجٌ ودمُ

(١) لقب الصرب

أصحابُها انفطرت أضلاعهم جزعًا ... والحوتُ يبلعُ، والثعبانُ يلتهمُ
وكلُّ سارية أمٌ مضرجةٌ ... تعاورتها كلابٌ ساقها أرثمُ
وحولها جثثُ الأطفال، نازفةً ... وأي قبر تداعى حوله الرمم؟!

* * *

والعلج يلهو بأطراف مسبّحة ... شُلت يداه، ولا تسعى به قدمُ
يسائل العظم : هل تحيا فتخبرنا ... بما فعلنا؟! وهل نشقى كما زعموا؟
وارحمتا لعيون راح يفقؤها ... وللجماجم بالأوحال ترتطمُ!!
تقول : وا أسفا مما يجللنا ... وما أتى مثله في الدهر منتقمُ

* * *

والمنبر ارتعدت أعواده فرقًا ... إذ مات فوق ذراه الحاذقُ الفهمُ
قد كان يوقظ أهل الدار إن نزلتْ ... بهم نوازلُ، حتى يكسَر الصنمُ
ويجمع الشمل في الأعياد باسمةً ... وينشرُ الخير إذ تهمي به الدِّيمُ

* * *

أواه، يا لبقايا مئذنات هدى ... ترنو بطرف كليل، دمعُه سجمُ
كانتْ تدوّي بذكر الحق شاهدةً ... أن الفَلاح لمن دامتْ لهم رحمُ
والله أكبر في الآذان ناطقةٌ ... إن الأذانَ به الأرواح تنتظمُ
حروفُه من سنا القرآن مشرقةٌ ... يزكو بنبرتها عبْر الديار فمُ
فهل يعود (بلالٌ) الفجر يرفعها ... وشرع (أحمد) في (البلقان) يلتئمُ؟!
وهل تضيء قباب الطهر في زمن ... سار (التِّشنُك) (١) به فاستأسد الغنَمُ

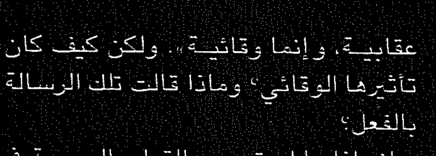
* * *

لا هُمّ أشكو إليك اليوم مظلمتي ... وأنت ربّاه نعم العدلُ والحكَمُ!!
تدعو (سراييفو) رحماك من فتن ... عم المساجدَ منها العار والألمُ
بالأمس قد باد في (غرناطةٍ) أثرٌ ... واليوم مسرى (رسول الله) ينهدمُ!!
والدمع غاصَ فهل في الحي مستمعٌ ... يطهّر الأرضَ من أوغاد اختصموا
رسالتي احترقتْ يا أمةً سبقتْ ... عصر النجوم، وشمس العلم تنفطمُ
مهما شقيت فلي في خالقي أملٌ ... يحيا، متى اتقدت في أمتي الهممُ

نشرت الـ(هيرالد تريبيون) المقال التالي تعليقا على مجريات الأمور في البوسنة وتصاعد حمى التصفية العرقية ضد المسلمين، محاولة تحديد أوجه المسؤولية الدولية فيما يجري، ولقد ارتأت (الوعي الإسلامي) ترجمة المقال لإفادة القارئ العربي، فنحن نحتاج إلى فهم المنهجية الإعلامية الغربية في التعاطي الموضوعي مع حدث ضخم بحجم مذبحة البوسنة والهرسك..

البوسنة





ضحية الحسابات غير المنسجمة مع الواقع

أوضحت الأحداث التي وقعت مؤخراً العبثية التي اتسمت بها السياسة الغربية في جمهورية يوغوسلافيا السابقة. فالغارات الجوية التي شنها حلف الأطلسي كرد انتقامي على الاعتداءات الصربية على مدينة بيهاتش المحاصرة، وضد مواقع الصواريخ التي تطلق على طائرات الناتو، إنما جاءت بناء على طلب الأمم المتحدة، وقد خطط لها بدقة كي تحدث الحد الأدنى من الأضرار، ولقد كانت بمثابة «إشارات» أو رسالة إلى الصرب.

رسائل عبثية.. مصدرها سياسات عقيمة

ووصف المتحدث الرسمي باسم قوات الحماية التابعة للأمم المتحدة في سراييفو غارة الأسبوع الماضي على أنها «ليست عقابية، وإنما وقائية». ولكن كيف كان تأثيرها الوقائي؟ وماذا قالت تلك الرسالة بالفعل؟

إنه إذا ما استمرت القوات الصربية في انتهاك الوضع في بيهاتش التي تعد من «الملاذات الآمنة»، وانتهاك منطقة الحظر الجوي، فإن حلف الناتو سيرد بشدة على ذلك؛ إلا أنه حتى وقت متأخر كانت القوات الصربية التي تهاجم بيهاتش في تحد لوضعها كمنطقة أعلنتها الأمم المتحدة «كملاذ آمن»، مستمرة في عملياتها، من غير أن يمنعها حلف الأطلسي أو قوات الحماية التابعة للأمم المتحدة من ذلك.

وهناك الفرقة البنغلادشية التي تشكل جزءاً من هذه القوات، وهي معدة إعدادا ضعيفاً، وقد أصبحت الآن محاصرة في بيهاتش، كما أن الوحدات الأخرى أصبحت الآن رهينة في يد صرب البوسنة.

إنقاذ ما يمكن إنقاذه

وكان الجنرال مايكل روز قائد قوات الأمم المتحدة قد قدم الرسالة الحقيقية بقوله إنه ما زال متفائلا حول إمكانية



إنقاذ ما وصفه بـ«عملية السلام».

وطالما أن قوات الحماية التابعة للأمم المتحدة تتمركز في وسط القوات الصربية أو بالقرب منها، فإنها تعد رهينة في أيديهم، وبالتالي فإن الأمم المتحدة والحكومات الأوروبية الرئيسية الأعضاء في الناتو تقوم بتنشيط أية خطوة يقوم بها الحلف، وقد تؤدي إلى استفزاز الصرب وجعلهم يلجأون إلى أعمال انتقامية ضد هذه القوات أو ضد وكالات الإغاثة الإنسانية.

وبعد الدروس المستقاة من سياسة «بعث الرسائل» إلى العدو في فيتنام ـ أي من خلال عمليات القصف المحدودة الرامية إلى تغيير سلوك العدو بواسطة التهديد بتصعيد أعمال العنف في المرة المقبلة ـ كما نظن أن هذا التعبير قد سحب من القاموس العسكري.

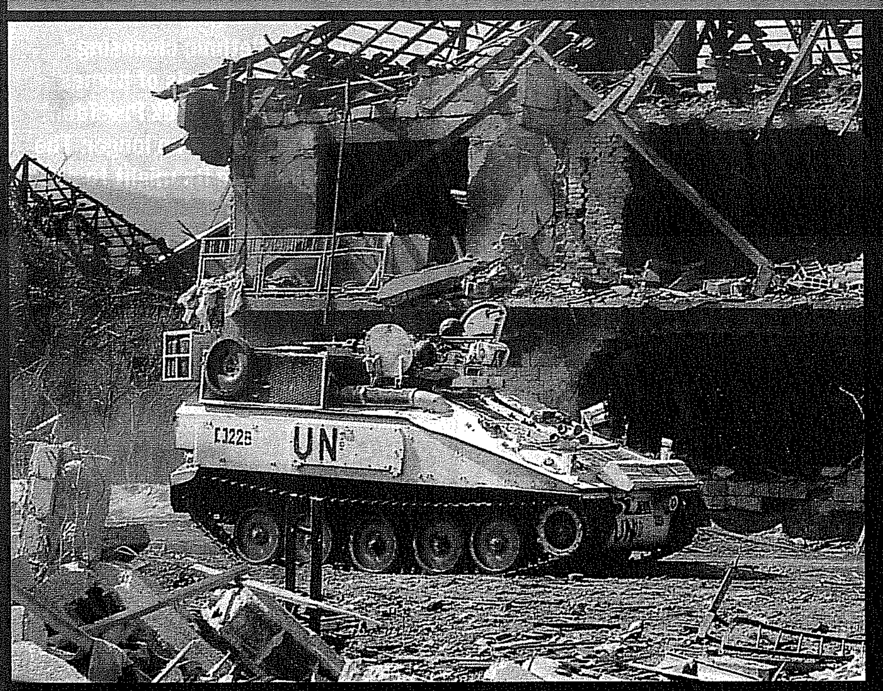
فهذه الرسائل لم تحدث الأثر المفترض منها إلا في تلك الحالات التي كان فيها الالتزام بالقرار مناسباً للاستراتيجية التي وضعها الشيوعيون الفيتناميون، ولقد كانت لهم، كما هو الحال بالنسبة لصرب البوسنة وكرايينا الآن، استراتيجية ثابتة وتكتيكات مرنة، واحتقار ثابت لخصمهم (في البوسنة الأمم المتحدة)، الذي يصاب بالحيرة من الطريقة التي يخوضون بها حربهم من دون أن تكون لديه الشجاعة على خوضها بطريقتهم.

النار على الأرض وليس على «الناتو»!

وكانت الرسالة التي بعثت للصرب هي: «لا تأخذوا كلامنا مأخذ الجد»، وتلك التي صحبت الغارة على مواقع الصواريخ هي: «أطلقوا النار على الآخرين، ولكن ليس على قوات حلف الناتو».

والرسالة الموجهة إلى الرأي العام في البلدان الغربية هي: «انظروا كم هو قوي ومنضبط حلف الناتو، وأن الأمم المتحدة يمكنها أن تكون كذلك، وأن ثمة خطوات ستتخذ فيما يتعلق ببيهاتش وسراييفو والحرب، وما هي إلا أشهر قليلة وستنجح عملية السلام.. إلخ».

والإشارة المبعوثة إلى الحكومة



أقصى أمنية لأمريكا هي تفادي التواطؤ مع العجز

البوسنية التي يبدو أنها ما زالت لديها بعض الأوهام حول إمكانية تدخل الأمريكيين لصالح البوسنة، يمكن أن تقرأ كالآتي: «انسوا الغرب».

وتأتي كل هذه الأمور كنتيجة للتصرفات الأوروبية والأمريكية المتضاربة تجاه الحرب، وللسياسات المتناقضة لهذه الأطراف فالهدف الأساسي للسياسة الأوروبية ـ وبوجه خاص سياسة فرنسا وبريطانيا وهما المساهمتان الرئيسيتان في قوات الأمم المتحدة ـ ظل يتركز في حماية جنود قوات الأمم المتحدة والعاملين في وكالات الإغاثة الإنسانية، والدول الأوروبية قد تختلف حول إلى أي مدى يمكن لحلف الناتو أن يستخدم قوته في الدفاع عن قوات المنظمة الدولية، إلا أنها تتفق في أن هذا الأمر يمثل أولوية بالنسبة لها.

أوروبا وأمريكا والآمال المتلاشية

والأوروبيون بكل تأييد لم يبدأوا هكذا، فالحكومات التي أرسلت قوات كانت مدفوعة بالطموح النبيل إلى القيام بعمل ما تجاه ضحايا الحرب آملين التوسط في التوصل إلى تسوية، وهو الأمل الذي تلاشى.

والسياسة الأمريكية الحالية تقوم الآن على التأني بنفسها عن السياسة الأوروبية وذلك حتى تتفادى التواطؤ مع العجز في مساعدة ضحايا العدوان غير أن واشنطن نفسها لا تنوي القيام بأي شيء تجاه هؤلاء الضحايا قد يؤدي إلى كلفة عالية بالنسبة للولايات المتحدة، أو يؤدي إلى إزعاج الرأي العام الأمريكي الذي أثبت في الانتخابات التي أجريت هذا الشهر عدم رغبته في رؤية القوات الأمريكية تتدخل في مهمات خارجية.

كما أن زعماء الكونغرس الجمهوريين الجدد كانوا يقومون بدور حماية الحق عندما كانوا في المعارضة، حيث ظلوا يهاجمون إدارة الرئيس كلينتون لفشلها في إنقاذ البوسنة، أما الآن فإن مسودة المقترحات الخاصة بمساعدة الولايات المتحدة للبوسنة، التي ألح الكونغرس على إدارة الرئيس كلينتون بتقديمها إلى الكونغرس خلال هذا الشهر، لم تجد بعد أن رفعت الآن بالفعل، لم تجد أية استجابة من أولئك الذين صوتوا لتقديمها.

العلم بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين

والنائب نيويت غينغريتش الذي يتوقع أن يصبح رئيساً لمجلس النواب يقول عن الخطط الخاصة بتسليح وتدريب الجيش البوسني: «بكل صراحة، لا أستطيع أن أتصور كيف يمكننا أن نتدخل ونقدم تلك المبالغ من المال، فالبوسنة بصورة عامة إنما هي مشكلة أوروبية».

المعونات الإنسانية. . هل هي البديل؟

ولقد ظل التدخل لتقديم المعونات الإنسانية يمثل بالنسبة لأوروبا بديلا عن أي سياسة أو استراتيجية تهدف إلى معاقبة المعتدي والدفاع عن أحكام القانون الدولي، ويجب الإقرار الآن بأن هذا يعد خطأ فادحا كانت له عواقب وخيمة على مواطني يوغوسلافيا، كما أدى إلى شلل مواطني الدول الأوروبية، والتحالف الغربي.

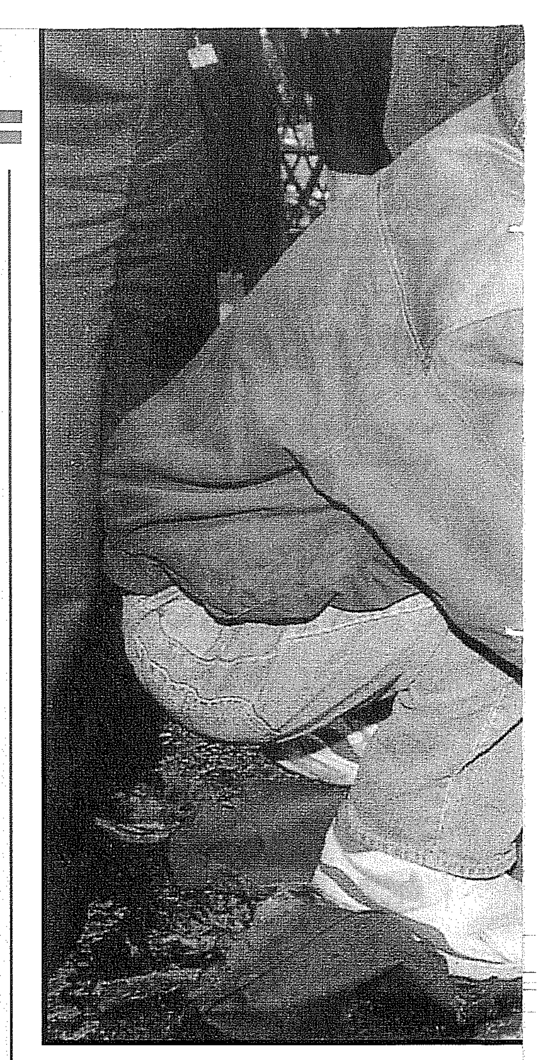
والأوروبيون عن طريق استبدال الموقف السايسي بالمعونات الإنسانية وضعوا أنفسهم تحت سلطة المعتدين، وعليهم الآن أن يدركوا أنهم أصبحوا في وضع يمكن أن يتهموا فيه باتباعهم شكلا من أشكال التعاون الإيجابي مع العدوان ولا أحد يجب قول هذه العبارة.. إلا أن الأمر كذلك بالفعل.

ويجب علينا أن ندرك بأن هناك خطرا كامنا في كافة العمليات الإنسانية من هذا النوع، إلا وهو أن الجهة التي تقدم المساعدة قد تتحول ضمنا إلى طرف متواطىء في الجرائم التي أثارت الأزمة. وهذا الأمر يصح في حالتي رواندا وزائير كما يصح أيضاً في حالة البوسنة وعليه يجب عدم تكرار الخطأ مرة أخرى□



ماذا عن حقوق الإنسان الدينية في العالم

المقال التالي تم نشره في الـ(كريستاين ساينس مونيتور) ويعالج ظاهرة تكاد تتكرر خلال التاريخ، وهو اضطهاد الجماعات المتدينة، فكيف ترى الصحيفة هذه المسألة وماذا تقترح لها من حلول؟ و(الوعي الاسلامي) تنشر الترجمة دون تبني وجهة نظر المقال، تاركة للقاريء الكريم المقارنة بين المفهوم المطروح والمفهوم الاسلامي في تكريم الانسان وحرية معتقده.



■يتعين على التقاليد الدينية، صياغة مفهوم لحقوق الإنسان بشكل أفضل من العلمانيين

التطهير العرقي للمسلمين في البوسنة والصدامات بين السيخ والهندوس في الهند، والنزاع المرير بين الكاثوليك والبروتستانت في شمال إيرلندا، وحظر السماح للمسلمين بإقامة مساجدهم ولليهود بإقامة جوامعهم في بعض مناطق الولايات المتحدة هي بعض مظاهر المخالفات ضد حقوق الإنسان الدينية.

والحقيقة أن ممارسي الشعائر الدينية في كل مكان بالعالم يتعرضون للقتل والذبح والتعذيب والتهجير وكبت الحريات لا لسبب سوى معتقداتهم الدينية.

ومع أن مخالفات الحقوق الدينية حدثت في مختلف العصور، فإن بعض المراقبين يقولون إنها بلغت أبعادا جديدة لا سابقة لها في عالم اليوم، وذلك بالرغم من تهاوي العديد من الأنظمة المتسلطة التي تضطهد أصحاب المعتقدات الدينية خلال العقد الماضي. وفي الوقت نفسه، ثمة إدراك يتسع باستمرار في أوساط المتدينين بأن الحقوق الدينية لا تؤخذ بشكل جاد من قبل المجتمع الدولي.

ويقول جون ديت، مدير قسم القانون والدين في جمعية «ايموري» بولاية اتلانتا الأميركية، والعضو المنظم الثاني في المؤتمر الذي انعقد مؤخراً حول حقوق الإنسان الدينية، والذي استقطب رجال الدين وساسة وأكاديميين من مختلف الأديان، يقول: إن ثورة حقوق الإنسان أهملت كل ما يتعلق بالحقوق الدينية.

ويقول جيمس وود مدير معهد داوسون للدراسات الدينية في جامعة بيلور بولاية تكساس في كلمة له أمام المؤتمر: إن هذه الحقوق جزء مكمل لحقوق الإنسان الأخرى بسبب تأصلها العميق في طبيعة وقدسية النفس البشرية. إنها تتضمن الحق الموروث للإنسان في ممارسة أو عدم ممارسة شعائره الدينية في السر أو العلن، وحسبما يمليه عليه ضميره أو فهمه أو خياراته، وكذلك الحق في نشر الإنسان لدينه أو التعاون مع آخرين من نفس الانتماء الديني، والحق في تغيير ذلك الانتماء دونما عرقلة أو تمييز أو إزعاج، لكن لماذا يتم تجاوز الحقوق الدينية في الوقت الذي يعتبر فيه الدين ضروريا لعدد كبير من البشر؟

صعوبات سببها القناعات

البروفسور ويت يقدم عدة أسباب ويقول إن الدين شأن خاص، ولذلك فإن تناوله من منظار الحقوق والقانون يعد بمثابة مخالفة للمنطق الديني. ثم إن ممارسي الديانات المختلفة لا يستطيعون الاتفاق عادة على ماهية الحقوق التي يتوجب احترامها. مثال ذلك أن عددا كبيرا من أتباع الدين المسيحي يؤمنون بحق الهداية إلى الدين بينما يحرم اليهود ذلك الحق. ويقول ويت: بوسعنا الاستشهاد بالمثال تلو المثال حول حقوق لمجموعات دينية غدت مثارا للنزاعات، فلماذا نقحم كل ذلك في مجال حقوق الإنسان بشكل عام. ثم إن المجموعات الدينية وقفت حتى سنوات قليلة خلت موقفا فكريا ضيقا من قضية الحقوق الدينية.

ويضيف ويت بالقول إنها ـ أي المجموعات الدينية ـ تهتم بحماية اتباعها، لكن فكرة أن نطور قواعد واسعة للحرية الدينية، قواعد نعامل بموجبها الجميع كما نحب أن نتعامل نحن على أساسها، ثم استدراكها منذ فترة غير بعيدة فقط.

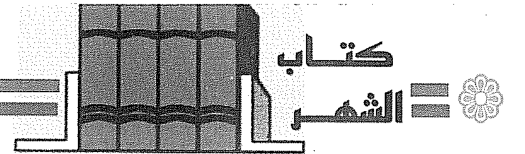
إن صعوبة تطوير قاعدة واضحة للجميع اتضحت في الجلسة الختامية للمؤتمر، عندما تم توزيع مسودة نموذج لقانون حول الحرية الدينية، استغرق من الأفراد الذين ألفوه فترة خمسة عشر عاما.

في مقدمتها تقول المسودة إنها تقدم أنموذجا تشريعيا حول الحرية الدينية يرتكز إلى مقاييس حقوق الإنسان العالمية، والنتائج التي توصل إليها الخبير الخاص للأمم المتحدة حول التعصب الديني. لكن الأنموذج تعرض لانتقادات حادة وبشكل خاص من قبل ممثل مسلم من جنوب أفريقيا شعر أنه ـ أي الأنموذج ـ أميل إلى الغرب ولا يمثل ديانته المسلمة.

ومما قاله ويت أيضاً: كلما اتسع تحديد مفهوم الديانة، انفتح الباب أمام قضايا مختلفة بشكل عميق. وذلك يشعرني بمدى صعوبة جمع المصادر من أي طرف لمعالجة تلك المشاكل. ومن المستحيل علينا أن نصوغ بلغة إنسانية، آلية تحدد تلك المظاهر الواسعة جدا لمخالفات الحقوق الدينية.

ونحن في الوقت نفسه نقول إننا قمنا في هذا المؤتمر ببلورة مفهوم ضروري بطريقة لم نكن لنتخيلها. لقد عبر كل مشارك عن الحاجة إلى حوارات أكاديمية ومنظمة عن الحقوق الدينية.

إن تلك التقاليد الدينية التي ستشكل جزءا من الحوار حول حقوق الإنسان، سيتعين عليها صياغة مفهوم للحقوق يدفع في اتجاه العوامل التي نحبها في المجتمع الديمقراطي، وأن تفعل ذلك بشكل أفضل من العلمانيين. ذلك ما قاله ديفيد نوفاك، أستاذ العلوم اليهودية في جامعة فيرجينيا الأميركية، الذي ختم حديثه بالقول: ولذلك فإن من الضروري حدوث مبادلات وحوارات، ومن الضروري أيضاً أن يفهم الناس طبيعة المشكلة على حقيقتها ■



احترام الحرية الشخصية لأسرى الحروب

الأسرى الكويتيون نموذج تطبيقي

عرض وتقديم: صلاح حسين محمد شهاب الدين*

الكتاب: يقع في ست وثمانين صفحة من القطع الصغير، وهو مكون من مقدمة وفصلين، تناول الكاتب في مقدمة كتابه: بيان معنى الحرية، والتي سوف نذكرها بالتفصيل عند بداية العرض، ثم تناول الكاتب في الفصل الأول من كتابه بيان «الأحكام العامة لأسرى الحروب»، موضحاً ذلك بالأدلة المختلفة من الشرائع السماوية «اليهودية - النصرانية - الإسلام»، والقانون الدولي العام، ثم تناول في الفصل الثاني مدى انطباق هذه الأحكام على الأسرى الكويتيين. وهذا كله سوف نفصله في عرضنا للكتاب بإذن الله تعالى، بعد أن نذكر الهدف من الكتاب.

يهدف الكتاب إلى:

* كشف جرائم النظام العراقي ضد الأسرى الكويتيين. فهو يثبت بالنصوص الدينية والقانونية والوثائق والمستندات، عدم أحقية العراق في احتجاز أية أسرى كويتيين.

لهذه الأسباب:

(١) فإن النظام العراقي:

- خالف الشريعة الإسلامية ببدئه اقتتالاً مع دولة إسلامية.

- ارتكب جرائم حرب عديدة، منها:

* الاعتداء على المدنيين العزل من السلاح، واحتجازهم كأسرى حرب، أو رهائن بدون مسوغ.

* مخالفته أحكام اتفاقية «جنيف» بشأن معاملة الأسرى.

* الإرهاب الدولي الذي مارسه النظام العراقي ضد المدنيين الكويتيين، وضد الرعايا الأجانب الموجودين في الكويت.

«بداية العرض»

الحرية تعني: الخلو من القيد. واستقلال الإرادة

بعد أن بينت لك أخي القارئ في السطور السابقة التعريف بالمؤلف، وبكتابه، والهدف منه، هيا بنا لنقلب صفحات هذا الكتاب ورقة ورقة، ونغوص في أعماق كاتبه، لنشاهد عن قرب مدى حب الكاتب لإسلامه، وللمسلمين، الأمر الذي دعاه ينادي ويأمل في أن تتضافر كافة الجهود العربية والدولية مع الجهود الكويتية - الرسمية والشعبية - للإفراج عن الأسرى الكويتيين، الذين ليس لهم ذنب في أن يكونوا «ورقة سياسية»، يلعب بها النظام العراقي، ليحقق أهدافه السياسية.

وعندما أخذت في تقليب الصفحات، نظرت في الصفحة الثالثة من الكتاب، فوجدت حب الكاتب للبلد العربي الشقيق، ولشعبها المناضل العريق، فلهذا أهدى الكاتب كتابه إلى الكويت وشعبها.

ماذا تعني الحرية؟

احترام الحرية الشخصية للإنسان. ضرورة

أوضح الكاتب في مقدمة كتابه معنى الحرية. فقال: «الحرية هي أثمن شيء في الحياة. وهي تعني الخلو من القيد، واستقلال الإرادة. فالحرية تعني انعدام العوائق أمام ممارسة الشخص لحياته، وهي أيضاً نماء للكرامة. فالحرية بعبارة أخرى هي ذلك الحق الذي لا يتقادم، ويعطي كل إنسان القدرة في أن يعمل، أو يمتنع عن العمل وفقاً لإرادته هو، لا وفقاً لإرادة أخرى. كما يخول هذا الحق للإنسان القدرة على استخدام كفاياته في صنع ما يراه نافعاً أو ممتعاً له، وأن يفكر ويعلن تفكيره، وأن يستمتع بكل ما لا يحرمه القانون». وبعد أن وضح الكاتب معنى الحرية، ذكر أن القوانين الوضعية وإن كانت تحرص على احترام الحرية الشخصية للإنسان، إلا أن هذا الحرص - على حد قوله إن صح التعبير - «اقتباس بسيط ومحدود، لما قررته الشرائع السماوية في هذا الشأن».

حيث جاءت في الشرائع السماوية أدلة كثيرة، تؤكد على احترام الحرية الشخصية للإنسان. كما ذكر الكاتب أن القانون الدولي العام يتفق مع الشرائع السماوية في تقرير مبادئ أو أحكام عامة، تكفل احترام الحرية الشخصية لأسرى الحروب، ولا تسمح بالمساس بها إلا في أضيق نطاق، ولضرورة قصوى.

وذكر الكاتب أربعة أحكام من أبرزها الأحكام التي تكفل احترام الحرية الشخصية للأسرى وهي:

١) عدم جواز الأسر إلا في حرب دفاعية.

٢) تقرير حقوق للأسير تحفظ كرامته بوصفه إنساناً.

٣) الانحياز نحو استرداد الأسير لحريته في أسرع وقت ممكن.

٤) عدم جواز الأسر إذا كان القتال بين طائفتين من المسلمين.

وهذا الحكم اختصت به الشريعة الإسلامية دون غيرها، وهو حكم متميز.

الفصل الأول

تناول الكاتب هذه الأحكام بالشرح والتحليل في الفصل الأول من كتابه، وقد وضح من خلال هذه الأحكام مدى حرص الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية على حماية الأسير، والميل نحو احترام حريته الشخصية، وألا يكون ثمة مساس بهذه الحرية، إلا بالقدر اللازم لاحتجاز الأسير، والتحفظ عليه. إلى أن يسترد حريته في أقرب فرصة ممكنة، كما بيّن أن الإسلام لايقر الحرب بين طائفتين من المسلمين، الأمر الذي لا يمكن معه احتجاز أسرى طائفة تحت يد الطائفة الأخرى، لأن ما بُني على باطل، فهو باطل أيضاً.

وهذا يؤكده ويؤيده ما جاء في السُنَّة النبوية المطهرة. ففي الحديث الذي روي عن عائشة رضي الله عنها - أنها قالت: «لما قسَّم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السبي لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له» إلى آخر الحديث. والحديث رواه أحمد، واحتج به في رواية محمد بن الحكم.

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ تزوج من هذه الأسيرة، الأمر الذي نتج عنه فك أسر عشيرتها «وهم لم يسلموا بعد»، فمن باب أولى لا يصح احتجاز أية أسرى متى كان القتال بين طائفتين من المسلمين بحسب الأصل. كما بيّن الكاتب أنه لا يجوز الأسر إلا في الحروب الدفاعية، وتستهدف الحروب الدفاعية، الدفاع عن حقوق أو مصالح الدول المتحاربة. لذلك فرّق الكاتب بين الحروب المشروعة، والحروب غير المشروعة، وهذا

*مدرس بالأزهر

الفرق قال عنه بأنه موجود في الشرائع السماوية، والقانون الدولي العام، وقال عن الحرب في الإسلام: إن الحرب في الإسلام تكون مشروعة في حالتين:

أ- الدفاع عن النفس، وعن الدعوة الإسلامية.

ب- الإغاثة الواجبة لأمة إسلامية، أو لحليف غير قادر على الدفاع عن نفسه.

ومن ثم، لابد أن تتغاير الآثار التي تترتب على نوعي الحرب المشار إليهما. ولقد فطن فقهاء الشريعة الإسلامية إلى ذلك، فقرروا عدم ترتيب آثار الحرب المشروعة على الحرب غير المشروعة، ومن ذلك عدم جواز احتجاز أسرى من أبناء الدولة المعتدى عليها، مع مراعاة الفرض أنها دولة غير إسلامية. كما يتفق القانون الدولي العام مع الشرائع السماوية في التفرقة بين الحرب المشروعة، والحرب غير المشروعة، وذهب الكاتب مع فقهاء هذا القانون إلى تأكيد مبدأ أن الجماعة الدولية يتعين عليها أن تقف ضد الدولة المعتدية، الأمر الذي يجرد المعتدي من حقوق المحارب، في وقت الحرب.

كما أنه ليس حسبما - نرى - للدولة المعتدية من باب أولى أن تحتجز لديها أسرى من رعايا الدولة المعتدى عليها . لأن القول بغير ذلك يصطدم مع القاعدة القانونية التي تقرر عدم جواز استفادة الشخص المخطئ من خطئه. إذ كيف تكون الدولة معتدية، ثم يسمح لها بذات الحقوق المقررة للدولة المعتدى عليها، فلا يعقل أن يكون للجاني ذات . حقوق المجني عليه!!!

الفصل الثاني

الأسرى الكويتيون . نموذج تطبيقي

والتساؤل الذي برز لنا من خلال عرضنا للفصل الأول، يطرح نفسه ويقول: هل هذه الأحكام المتقدمة احترمتها دولة العراق . أو بالأدق النظام العراقي . بشأن الأسرى الكويتيين؟

هذا التساؤل أجاب عنه الكاتب في الفصل الثاني من كتابه. فقال: إذا حاولنا أن نطبق المبادئ المتقدمة - السابق عرضها في الفصل الأول - على الأسرى الكويتيين، يتضح الآتي:

١) من غير الجائز شرعاً للعراق أن يحتجز أسرى.

فالإسلام لا يقر الحرب بين طائفتين من المسلمين، والعراق والكويت بلدان إسلاميان.

٢) لا يجوز للعراق البادئ بالعدوان أن يحتفظ بأسرى كويتيين.

لأن ما قام به العراق حرب غير مشروعة، لأنها لم تكن حربا دفاعية، وإنما كانت هجومية، وبالتالي لا يجوز للعراق أن يحتجز أسرى، لأن المخطئ لايستفيد من خطئه.

٣) انتهك العراق القواعد القانونية وتعاليم الشرائع السماوية المتعلقة بمعاملة الأسرى. لأن الشرائع السماوية والقوانين الوضعية تنحاز إلى جانب الأسير، فتكفل له احترام حريته الشخصية، وعدم المساس بها.

ولكن العراق - أو بالأدق النظام العراقي - تجاوز ذلك، وانتهك الأحكام السماوية، والقواعد القانونية المتعلقة بمعاملة الأسرى، وذكر الكاتب العديد من صور الانتهاك التي ارتكبها النظام العراقي نحو المدنيين العزل من السلاح، واحتجازهم كأسرى، أو كرهائن بدون مسوغ:

وعلى سبيل المثال - لا الحصر - نذكر ما يلي:

كتب الأستاذ سمير رجب - الصحفي والكاتب المصري المعروف - قائلاً: «لقد كان صدام حسين يقول ذلك بينما قواته الغازية تجبر المواطنين والمقيمين في الكويت على الرحيل . حدث ذلك منذ أول يوم للغزو . حينما تعرض سكان مدينتي الجهراء، والصليبيخات لبطش وتنكيل الجنود العراقيين . مما اضطرهم إلى الهجرة نحو الحدود السعودية . بما فيهم سيدات يرتدين قمصان النوم، ويحملن أطفالهن الصغار.

٤) العراق لم يلتزم بالأحكام الخاصة بانتهاء الأسر.

وهنا يقول المؤلف: «إن انتهاء الأسر في الشريعة الإسلامية. يتم فور انتهاء الحرب، حيث يكون لولي الأمر الخيار بين أمرين: المن أو الفداء».

أما في القانون الدولي العام، فقد وضعت اتفاقية «جنيف» - بشأن معاملة الأسرى - قاعدة عامة يرد عليها استثناء، فالقاعدة العامة تقرر: «ضرورة الإفراج عن الأسرى وإعادتهم إلى الوطن عند انتهاء الأعمال العدائية». أما الاستثناء، فينصرف إلى: «ضرورة إعادة الأسرى المرضى والجرحى، ومن في حكمهم، قبل انتهاء الأعمال العدائية». ومن استطلع ما فعلته السلطات العراقية بشأن الإفراج عن الأسرى يلاحظ عدم التزام السلطات العراقية بهذه الأحكام المتقدمة التزاماً كاملاً. ويشهد بذلك شاهد من نفس دولة العراق ذكره الكاتب دون ذكر اسمه، وهو رئيس وفد ما يسمى بالمجلس الوطني العراقي.

٥) ارتكب النظام العراقي جرائم دولية بشأن الأسرى، ومن في حكمهم.

ومن أمثلة هذه الجرائم ما يلي:

أ) القبض على عدد من المدنيين الكويتيين دون مبرر للقبض.

ب) أضف إلى ذلك أن النظام العراقي ارتكب جرائم إرهاب دولي ضد المدنيين الكويتيين، وضد الرعايا الأجانب الموجودين في الكويت. ومن أمثلة جرائم النظام العراقي ضد المدنيين العزل من السلاح: «فقء العيون، ونشر أطراف الأحياء بالمناشير، واغتصاب العجائز، وثقب جماجم الأطفال بالرصاص، ونقع الأحياء في أحواض الأحماض الكاوية».

ثم يختتم الكاتب هذا الفصل بقوله:

«ولا مراء في أن ارتكاب هذه الجرائم يستأهل محاكمة المسؤولين عنها في النظام العراقي.

ويذكر الجهود المبذولة من قبل المسؤولين في دولة الكويت، وعلى رأسهم أمير الكويت الشيخ / جابر الأحمد الصباح - حفظه الله ورعاه. وأيضاً الشيخ سعد العبدالله الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء. كما يذكر الجهود الشعبية والتي ترجمت إلى جمعيات، وصناديق للتكافل من أجل رعاية أسر الشهداء والأسرى. ويقول في الختام: نأمل أن تنجح هذه الجهود - جميعها - في استرداد الأسرى الكويتيين لحرياتهم الشخصية. تلك

المؤلف:

د. محمود صالح العادلي

* يعمل مدرساً للقانون الجنائي بكلية الشريعة والقانون بطنطا - جامعة الأزهر - ج.م.ع.

* حصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة القاهرة عن رسالته للدكتوراه المعنونة: «حق الدفاع أمام القضاء الجنائي» - دراسة مقارنة في القانون الوضعي والفقه الإسلامي - مساهمة في بناء نظرية عامة لحق الدفاع أمام القضاء الجنائي - دراسة مقارنة في القانون الوضعي والفقه الإسلامي.

* عمل وكيلاً للنيابة الإدارية، ثم مدرساً مساعداً، ثم مدرساً للقانون الجنائي الآن بجامعة الأزهر - كلية الشريعة والقانون بطنطا - ج.م.ع.

* عضو بالجمعيات العلمية المختلفة، وصدر له العديد من الكتب. كما له العديد من الأبحاث والمقالات المنشورة في بعض الجرائد المصرية والعربية، ويكتب باب الملتقى في مجلة عرب الكويت من ١٩٩٣م، وحتى الآن.

ضاحكة مستبشرة.. بيضاء ناعمة

بقلم: محمد رشيد العويد*

أليس الوجه مرآة القلب؟

إذا غمرت السعادة قلباً، وفاض السرور في النفس، وخالطت البهجة حنايا المشاعر، ألن يظهر هذا كله على الوجه: بشراً، وفرحاً، وسروراً؟

وهل هناك سعادة أفضل من سعادة الفوز يوم القيامة؟ وهل هناك سرور خير من سرور النجاة من النار؟ وهل هناك بهجة أعظم من بهجة الجنة؟

لا شك في أن وجوه أولئك الفائزين يوم القيامة ستكون ضاحكة مستبشرة، بيضاء مسفرة، ناعمة منوّرة، راضية نضرة.

اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة﴾ [عبس:٣٨ و٣٩]. ﴿وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية﴾ [الغاشية:٨ و٩]. ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلّة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ [يونس:٢٦]. ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ [آل عمران:١٠٧]. ﴿يوم تبيض وجوه﴾ [آل عمران:١٠٦].

هي إذن بيضاء، مسفرة، ضاحكة، مستبشرة، ناعمة، راضية، نضرة، لايرهقها قتر ولا ذلة.. فلنقف عند كل صفة من هذه الصفات، التي قلما تجتمع لوجه في الدنيا، وقلما تستمر وتدوم.

ما رأيكم لو نبدأ بـ«بياضها»؟

«المراد بالبياض معناه الحقيقي، أو ما لازمه من السرور والفرح، والجمهور على الأول – أي أن البياض حقيقي – قالوا: يوسم أهل الحق ببياض الوجه، وإشراق البشرة، تشريفاً لهم، وإظهاراً لآثار أعمالهم في ذلك الجمع. ويوسم أهل الباطل بضد ذلك. والظاهر أن الابيضاض والاسوداد يكون لجميع الجسد، إلا أنهما أسندا للوجوه.. لأن الوجه أول ما يلقاك من الشخص وتراه، وهو أشرف أعضائه.

واختلف في وقت ذلك، فقيل: وقت البعث من القبور. وقيل: وقت قراءة الصحف. وقيل: وقت رجحان الحسنات والسيئات في الميزان. وقيل عند قوله تعالى جلّ شأنه: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ [يس:٥٩]. وقيل: وقت أن يؤمر كل فريق بأن يتبع معبوده.. ولا يبعد أن يقال: إن في كل موقف من هذه المواقف.. يحصل شيء من ذلك» (١).

«إذا كان يوم القيامة، يُؤمر كل فريق بأن يجتمع إلى معبوده، فإذا انتهوا إليها حزنوا واسودت وجوههم، فيبقى المؤمنون وأهل الكتاب والمنافقون، فيقول الله تعالى للمؤمنين «من ربكم»؟ فيقولون: ربنا الله عز وجل. فيقول لهم: «أتعرفونه إذا رأيتموه»؟ فيقولون: سبحانه! إذا اعترف عرفناه. فيرونه كما شاء الله. فيخرّ المؤمنون سُجّداً لله تعالى، فتصير وجوههم مثل الثلج بياضاً، ويبقى المنافقون وأهل الكتاب لا يقدرون على السجود.. فيحزنون وتسودّ وجوههم، وذلك قوله تعالى: ﴿يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه﴾ [آل عمران:١٠٦]. وابيضاض الوجوه إشراقها بالنعيم. واسودادها هو ما يرهقها من العذاب الأليم» (٢).

ويضرب الرازي أمثلة على البياض المجازي، حيث «تقول العرب لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه: ابيضّ وجهه، ومعناه الاستبشار والتهلل. وعند التهنئة با لسرور يقولون: الحمد لله الذي بيّض وجهك. ويقال لمن وصل إليه مكروه: اربدّ وجهه. واغبرّ لونه، وتبدلت صورته. فعلى هذا معنى الآية: إن المؤمن يردّ على ما قدمت يداه، فإن كان ذلك من الحسنات ابيض وجهه، بمعنى استبشر بنعم الله وفضله. وعلى ضد ذلك إذا رأى الكافر أعماله القبيحة محصاة.. اسودّ وجهه، بمعنى شدة الحزن والغم». وهذا قول أبي مسلم الأصفهاني.

ثم ينقل الرازي قول القائلين بأن البياض حقيقي. الحكمة في ذلك: «أن أهل الموقف إذا رأوا البياض في وجه إنسان.. عرفوا أنه من أهل الثواب، فزادوا في تعظيمه، فيحصل له الفرح بذلك من وجهين: أحدهما: أن السعيد يفرح بأن يعلم قومه أنه من أهل السعادة، قال تعالى مخبراً عنهم ﴿يا ليت قومي يعلمون. بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ [يس:٢٦و٢٧]. الثاني: أنهم إذا عرفوا ذلك خصّوه بمزيد التعظيم، فثبت أن ظهور البياض في وجه المكلف سبب لمزيد سروره في الآخرة. فهذا وجه الحكمة في الآخرة.

وأما في الدنيا، فالمكلف حين يكون في الدنيا، إذا عرف حصول هذه الحالة في الآخرة، صار ذلك مُرغّباً له في الطاعات، وترك المحرمات، لكي يكون في الآخرة من قبيل من يبيض وجهه، لا من قبيل من يسود وجهه» (٣).

ولنقف عند ثلاث صفات جمعها قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة﴾.

إنها (مسفرة): أي مشرقة مضيئة، قد علمت ما لها من الفوز العظيم، وهي وجوه المؤمنين. و(ضاحكة) مسرورة فرحة (مستبشرة) بما آتاها الله من الكرامة.

وقال عطاء الخرساني: (مسفرة) من طول ما اغبرت في سبيل الله جل ثناؤه. وقال الضحاك: من آثار الوضوء. وقال ابن عباس: من قيام الليل.

ويقول الرازي رحمه الله: «وعندي أنه بسبب الخلاص من علائق الدنيا، والاتصال بعالم القدس، ومنازل الرضوان والرحمة: ضاحكة. قال الكلبي: يعني بالفراغ من الحساب، مستبشرة فرحة بما نالت من كرامة الله ورضاه. واعلم أن قوله (مسفرة) إشارة إلى الخلاص من هذا العالم وتبعاته» (٤).

إنها وجوه مستنيرة، منيرة متهللة ضاحكة مستبشرة، راجية في ربها، مطمئنة بما تستشعره من رضاه عنها. فهي تنجو من هول الصاخة المذهل لتتهلل وتستنير وتضحك وتستبشر. أو هي قد عرفت مصيرها، وتبين لها مكانها، فتهللت واستبشرت بعد الهول المذهل (٥).

وبعد ابيضاض الوجوه وإسفارها وضحكها واستبشارها، تعالوا إلى صفة خامسة ﴿وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية﴾. ناعمة: أي ذات نعمة، وهي وجوه المؤمنين، نعمت بما عاينت من عاقبة أمرها، وعملها الصالح (٦). وناعمة: ذات بهجة وحسن (٧)، يبدو فيها النعيم، ويفيض منها الرضا، وجوه تنعم بما تجد. وتحمد ما عملت، فوجدت عقباه خيراً، وتستمتع بهذا الشعور الروحي الرفيع، شعور الرضى عن عملها حين ترى رضى الله عنها. وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته، ثم يراها ممثلة في رضا الله الكريم، وفي النعيم (٨).

وماذا بعد صفات وجوه المؤمنين الفائزين يوم القيامة؟ ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

* مدير تحرير مجلة (النور) الكويتية

ولا يـرهق وجـوههم قتر ولا ذلّـة أولئك أصحـاب الجنـة هم فيهـا خـالـدون﴾ [يونس:٢٦].

يقول الإمام الرازي: «واعلم أنه تعالى لما شرح مـا يحصل لأهـل الجنـة من السعـادات، شرح بعـد ذلـك الآفـات التي صـانهم اللـه بفضله عنهـا، فقـال: ﴿ولا يرهق وجـوههم قتر ولا ذلة﴾. والمعنى: لا يغشاها قتر، وهـي غبرة فيها سواد، ﴿ولا ذلة﴾ ولا أثر هوان ولا كسوف.

فالصفة الأولى (التي صانهم عنها) هي قولـه تعالى: ﴿وجـوه يومئـذ عليها غبرة. ترهقها قترة﴾ [عبس:٤٠و٤١].

والصفة الثانية هي قوله تعالى: ﴿وجوه يـومئـذ خـاشعـة. عـاملـة نـاصبـة﴾ [الغاشية:٢و٣].

والغرض من نفي هاتين الصفتين: نفي أسبـاب الخوف والحزن والـذل عنهم، ليُعلم أن نعيمهم الـذي ذكـره اللـه تعـالى خالص غير مشـوب بالمكروهـات، وأنه لا يجوز عليهم مـا إذا حصـل غيّر صفحـة الـوجـه، وأزال مـا فيهـا مـن النضـارة والطلاقة، ثم بيّن أنهم خالدون في الجنة لا يخافون الانقطاع.

واعلم أن علماء الأصول قـالوا: «الثواب منفعة خـالصة دائمة مقرونـة بالتعظيم، فقـولـه تعـالى: ﴿واللـه يـدعـو إلى دار السـلام﴾ [يـونس:٢٥]، يدل على غـايـة التعظيم، وقوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ يدل على حصول المنفعة، وقوله: ﴿ولا يرهق وجوههـم قتر ولا ذلة﴾، يدل على كـونها خـالصـة، وقـولـه: ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾، إشارة إلى كونها دائمـة آمنة من الانقطـاع» والله أعلم(٩).

الهوامش:

(١) روح المعاني، ج ٤، ص٢٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ١٦٧.
(٣) التفسير الكبير، ج ٧، ص ١٧٠ و١٧١.
(٤) التفسير الكبير، ج ٣١، ص ٦٤ و٦٥.
(٥) في ظلال القرآن، مجلد ٦، ص ٣٨٣٤.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ٣٢.
(٧) الرازي، ج٣١، ص ١٥٣.
(٨) في ظلال القرآن، مجلد ٦، ص ٣٨٩٧.
(٩) الرازي، ج ١٧، ص ٧٨ و ٧٩.

الجدال قبل القتال

أسلـوب الرسـل في البلاغ

بقلم: د. محمد محمد الشرقاوي

المتتبع لأحـوال رسل اللـه تعـالى مع أقوامهم، وأسلـوبهم في دعوتهم إلى الله وهـدايتهم، يجد أنهم التـزمـوا بجـادة واحـدة، ومحور ثـابت.. لايتغير بتغير الـزمان، ولا يختلف بـاختلاف المكـان، ولايتنـوع بتنـوع الحدثـان.. ذلك أنهم يبـدأون خصومهم بـالتي هي أحسن.. بالقول اللين، بالعبارة المقنعة.. بالحوار المنطقي المثمر.. كما قـال اللـه تعـالى لموسى وهـارون عليهما السـلام وهـو يـوجههما إلى أعتى المعـانـدين، وأقسى المجادلين: ﴿إذهب أنت وأخـوك بآياتي ولاتنيا في ذكري. إذهبا إلى فرعـون إنه طغى. فقولا لـه قولا لينا لعله يتـذكر أو يخشى﴾ [طه:٤٢-٤٤]..

الدعوة بالحسنى

والقول اللين هو الدعـوة إلى الله تعالى بالحسنى، والمجادلـة بالتي هي أحسن، واختيـار الكلمات الهادئة الـوادعـة، اللطيفـة مع المخالفين مـع طول الأنـاة، ومطاولة حبال الصبر والتأني، واحتمال مـايفـرط منهم من تهجم أو تجن ومن ذلك: استعمال أسلوب الاستفهام الدال على العرض والمشورة، قبل أسلـوب الأمر الصارم، والنهـي القاطع كقول مـوسـى لفرعون: ﴿هل لك إلى أن تزكى. وأهديك إلى ربك فتخشى. فـأراه الآيـة الكبرى. فكذب وعصى﴾ [النازعات:١٨-٢١]..

وهذا من آداب المحاورة والمناظرة لأنه استدعاء بالكلام الرقيق والتلطف إلى القول المماثل، واستنزال للخصم من عتـوه وعلوه إلى مائدة المفاوضة والمقاولة بالمداراة حينا، والمجاراة حينا آخـر، ولقد أراه الآية الكبرى وهي تحويل العصـا إلى حية، لأنها كـانت المقدمة لما بعدها من الآيات التسع، والأصل لما بنى عليها من الآيـات البينات، وهي كما في الكشاف جـ٢/ ٢٧: العصـا، واليد وفلق البحـر، والحجـر، والجراد، والقُمل والضفـادع، والدم، ونتق الجبل.. كل هـذا بأسلـوب التـذكير والتخـويف، والإعـذار والإنذار.. وقد أبصرها فرعون بعينه بعد أن احتواهـا بعقله، واشتملهـا بيقينه.. ولكنـه كـذب وأبـى، واستكبر واستعلى ظلما وجحـودا، ومكـابـرة وصـدودا.. كما قـال تعالى: ﴿وجحـدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ [النمل:١٤]..

وأخيرا وآخرا جاء دورا الإهلاك والعقاب حين قال موسى: ﴿ربنـا إنك آتيت فرعون وملأه زينـة وأموالا في الحيـاة الدنيـا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلـوبهم فلا يؤمنـوا حتى يروا العـذاب الأليم. قـال قـد أجيبت دعـوتكما فـاستقيما ولاتتبعـان سبيل الـذين لايعلمون﴾ [يونس:٨٨ و٨٩]..

دعـا عليهم مـوسـى وآمن هـارون على دعائه (الجلالين/٢٨٦): «فاستجـاب الله الدعاء فمسخت أموالهم حجارة، ولم يؤمن فـرعون حتى أدركـه الغـرق، كما في قولـه تعـالى: ﴿وجـاوزنـا ببني إسرائيل البحـر فأتبعهم فرعون وجنـوده بغيا وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لاإله إلا الذي

الجدال قبل القتال

آمنت بـه بنـو إسرائيل وأنـا من المسلمين. آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين. فـاليـوم ننجيك ببـدنك لتكـون لمن خلفك آية﴾ [يونس:٩٠-٩٢]..

لكل مقام مقال

وهكـذا رأينـا الأسلـوب الحكيم الـذي اتبعه رسل الله جميعاً في تبليغ الرسالات، ودعوة الأمـم، ومحاربة الفسـاد والكفر.. أسلوبـاً لاظلم فيـه ولاعدوان، ولامبـاغته للظـالمين ولاطغيان، لأنـه من لـدن حكيم عليم.. فـالحوار أولا، والجدال ثـانيـا، وإظهـار الآيـات والمعجـزات وخـوارق العادات ثالثـا ورابعاً وهلُم جرا.. حتى إذا فـاضـت الكأس بقـدرهـا، وبلغ السيل الـزبى، وجـاوز القيعـان والرُّبـا، جـاءت الضربـة القـاضيـة، والصدمـة العـاتيـة فطهـرت الأرض من الفسـاد والمفسـدين، وأورثتهـا للصـلاح والمصلحين ولم يكن هذا دين مـوسى واخيه هـارون وحدهما وإنما هـو الإطار الجامع لكـل أنبياء اللـه ورسلـه من أولهم إلى آخرهـم.. ليكـون في ذلك مثـل وسلف للمصلحين، وقـدوة وأسوة للدعاة أجمعين..

وهذا مـاتدل عليه آيات اللـه تعالى التي قصت علينا قصص السـابقين واللاحقين من الأولين والآخرين كما قال تعالى: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قـوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله جاءتهم رسلـهم بالبينـات فردوا أيديهم في أفواههم وقـالوا إنـا كفرنـا بما أرسلتم به وإنـا لفي شك مما تـدعوننـا إليه مـريب. قالت رسلهم أفي الله شك فـاطر السموات والأرض يدعـوكم ليغفر لكم من ذنـوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تـريدون أن تصدونـا عما كان يعبد آبـاؤنا فـأتـونا بسلطـان مبين. قالت لهم رسلهم إن نحـن إلا بشر مثلكم ولكـن اللــه يمنّ على مــن يشــاء من عبــاده﴾ [ابراهيم:٩-١١]، فـالحوار كما نرى دائر بين قـول وقـول، وحجـة وحجـة، منطق ومنطق.. وذلك قبل اللجـوء إلى استعمال العنف والقوة، كما قال الشاعر الحكيم:

أناة فإن لم تغن عقّب بعدها وعيداً
فإن لم يغن أغنت عزائمه

وقد عرضنا قصة موسى وهارون عليهما السـلام مع فـرعـون أول، نظـراً لكثـرة ترددهـا في القرآن الكريم، وتنـوع صور عرضها في آياته، وذكر الآيات البينات التي أفحمهم بها.. وإلا فإن مسلسل الأنبيـاء والرسل جميعا قد سلك نفس هذا الطريق، والتـزم بمنهج الحوار قبل الشجـار، والموادعة قبـل المواعدة، والعبـارات اللينة السلسة، قبل النوازل الصاعقة، وفي قصة نوح عليـه السلام تكـرار لهذا الموقف مع اختــلاف في الشكـل والصــورة، لافي المضمون والجوهر..

ففي [الأعـراف:٥٩-٦٤] ومـابعدهـا: ﴿لقد أرسلنا نـوحا إلى قومه فقـال يا قوم اعبدو اللـه مالكم من إلـه غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين. قـال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين. أبلغكم رســالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون. أوعجبتم أن جاءكم ذكـر من ربكم على رجل منكم لينـذركم ولتتقـوا ولعلكم تُـرْحمون. فكـذبـوه فأنجينـاه والـذين معه في الفلك وأغـرقنـا الـذين كذبـوا بآيـاتنـا إنهم كانـوا قومـاً عمين﴾..

ونـرى في قصـة عـاد وثمود وشعيب وغيرهم كثيراً من المجــادلات الهادفــة، والمحـاورات الهادئة، وقـد قيل في شعيب عليه السـلام إنه فيلسـوف الأنبياء وذلك لكثرة محاوراته ومناظـراته مع المخالفين له، وكلهم نصرهم الله في النهاية، وأنجاهم ومن معهم، وأهلك أعـداءهم أعـداء اللـه اعداء الحق والحقيقـة، وصاروا أحـاديث وقصصـاً، يعتبر بها أولـو الألباب، ويتعظ منها أولوا البصائر والأبصار..

من سيرة النبي المصطفى ﷺ

وقد كان رسولنـا محمد ﷺ خاتمة المطاف في هذا المجال.. فلم يبدأ دعوته إلى الإسـلام بـالعنـف والحرابـة، بل بـدأهـا بـاللطف والهدوء فكـانت أول دعوة جهرية لكفار مكة حين نزل عليه قـولــه تعــالى: ﴿وأنــذر عشيرتك الأقـربين﴾ [الشعراء:٢١٤]، وقـولـه تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين. إنـا كفينـاك المستهـزئين. الـذيـن يجعلـون مع اللــه إلها آخـر فسوف يعلمون﴾ [الحج:٩٤-٩٦].

قـال في الجلالين: (هـذا قبل الأمـر بالجهاد.. وكانت كفـاية الله لنبيه من هؤلاء المستهزئين بأن أصاب كلاً منهم بـآفة قضت عليـه قبل أن يقضي عليـه حـد السيف وهم: الـوليـد بن المغيرة، والعـاص بن وائل، وعـدي بن قيس، والأسود بن عبـد المطلب، والأسود بن عبد يغـوث.. أخرج البـزار والطبراني عن أنس بن مــالك رضي اللـه عنـه في قوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ [الحجر:٩٥]، قال: «مرّ النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعلـوا يغمزون في قفاه، ويقولـون: هذا الـذي يزعم أنـه نبي، ومعه جبريل عليه السلام فغمز جبريل بأصبعــه، فـوقع مثـل الظفـر في أجسـادهم، فصـارت قـروحـا، حتى نتنوا، فلم يستطع أحـد أن يدنومنهم، وزاد في الكشــــــاف: الحارث بـن الطـلاطلة، قـال ابن عباس رضي اللـه عنه: ماتوا كلهم قبل بدر، وقال جبريل للرسول ﷺ أمرت أن أكفيكهم)..

وفي البخـاري ومسلم: أن النبي ﷺ بدأ بعشيرته الأقربين وهم بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وقـد أنذرهم جهارا، وكــان قبل ذلك يستعمل أسلــوب المخـافتـة والإسرار، وأخيرا جـاء دور الجهـاد والقتـال، والضراب والنـزال، وكما يقولـون: (آخر الدواء الكي) حين نزل قوله تعـالى: ﴿أذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلِمــوا وإن اللــه على نصرهم لقدير﴾ [الحج/٣٩]□

اللفتات النابهة ١١

دعـــوة

خاتمة الأوراق

للشيخ جاسم بن مهلهل الياسين

بعد هذا التطواف في الدرر الكامنة في سبر أعلام المائة الثامنة، نختم بهذه الورقة جبراً لأي كسر، أو نقصا وقع في أوراقنا السابقة، وأول ما نحب أن ننبه إليه قارىء هذه الورقات من أحبابنا الكرام، أن ما كتبناه ليس ترفا فكريا ولا حبا في زيادة الرسائل في مكتبات الدعاة، ولا هي بأوقات زائدة عند المرء يتسلى فيها بكتابة هذه الأسطر، بل هي أمانة بناء وتوجيه، نتحمل معاناة الخطأ فيها، ونسأل الله الأجر في صحيحها، وأن تكون من العلم الذي ينفع المرء بعد موته..

والمرء حين يكتب أو يتكلم، يستشعر اللحظة التي سيقف فيها بين يدي ربه سبحانه، كما كان عمر بن سعد الله عبدالله بن نجيح الحراني زين الدين الحنبلي ولد سنة خمس وثمانين وستمائة، وناب عن ابن المنجا في القضاء، ودرس بالضيائية، وكان يحكم بالمسائل التي انفرد بها ابن تيمية، وطال امتناع السبكي من تنفيذ ذلك حتى قال لستنيبه ابن المنجا: هذا الذي يحكم به نائبك إن قلت لي: إنه مذهب الإمام أحمد بن حنبل نفذته. فقال: لا أقول ذلك، لكن إذا حكم بشيء حكمت بصحته. قال ابن رجب: أخبرني عز الدين بن شيخ السلامية عنه أنه قال له لم أقض قضية إلا وأعددت لها جوابا بين يدي الله قال ابن رجب: وكان حَسن الأخلاق، دينا متواضعا بشوش الوجه، فقيها فرضيا متثبتا (١)..

وهنا وقفة مع قوله: «لم أقض قضية إلا وأعددت لها جوابا بين يدي الله» إنها هي السبب الأول الذي جعل القاضي ابن المنجا يقول بصيغة الإطلاق: (إذا حكم بشيء حكمت بصحته)!! إنها الثقة بإنسان يخشى الله سبحانه والمثول بين يديه، قبل المثول بين يدي البشر، وكم هي روح الاعتزاز التي يشعر بها الإنسان عندما يرى ثقة إخوانه به، ولا أنسى في مطار إحدى الدول الخليجية، عندما جاءني أخ نحبه في الله، ولا نعرفه باسمه، فقال: يا شيخ إني أحبك في الله، وأنا اشتغل في مراقبة الكتب في جمارك المطار، والكتاب الذي عليه اسمك أجيزه من غير قراءة له، وحادثة أخرى عندما جئت بمقالات إلى مجلة المجتمع، فالتقيت بالأخ الكبير عبدالله العلي المطوع، رئيس جمعية الإصلاح التي تتبعها مجلة المجتمع فقال لي: إن مقالاتك أجيزها من غير قراءة، فشكرت الله تعالى وسألته سبحانه أن نكون عند حسن ظن عباد الله بنا، وأن يسترنا فيما لا يعلمون.

واعتزاز الإنسان بدينه ومعتقده يقربه إلى الخلق، ويحفظ مكانته، ويرفع قدره، وما بين الإنسان والذل، إلا لحظة الثبات على الحق، وعدم الضعف، لذلك كان منهج أهل الإيمان ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر:٣]. فصبر لحظة يحتاج إلى من يعين عليه، والأدلة على الثبات على الحق كثيرة، ومن مائتنا الثامنة نختار قصة موسى بن أبي بكر سالم التكروي ملك التكرور، قدم حاجا سنة ٧٢٤ في رجب، وأدخل إلى الناصر فامتنع من تقبيل الأرض وقال: لا أسجد لغير الله، فأعفاه السلطان وقربه وأكرمه، وأحسن تجهيزه إلى الحجاز (٢)..

ونحن في كل كلمة أو جملة كتبناها نستمع باصغاء للحكمة القائلة: لا تفتح بابا يعييك سده، ولا ترم سهما يعجزك رده، ولا تفسد أمرا يعييك إصلاحه، ولا تغلق بابا يعجزك افتتاحه وكما قال الشاعر:

فإياك والأمر الذي إن توسعت
موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه
وليس له من سائر الناس عاذر (٣)

فالكثير من القضايا لم نكتب فيها إلا بعد التحدث والحوار مع أهل الفكر من العاملين في الحقل الإسلامي امتثالا لقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: (استشر فإن المستشير معان، والمستشار مؤتمن، واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء) (٤)..

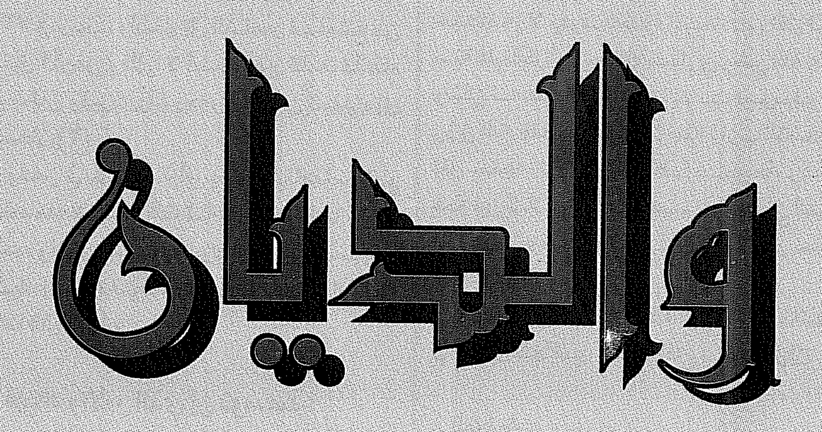
نعم حقا على العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زل، والعقل الفرد ربما ضل (٥) ونحن نعرف أن الكلمة لها خطورتها فهي أداة بناء كما هي معول هدم. لذلك رأينا النبي ﷺ يقول: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة». فالأعضاء تصيح باللسان: اتق الله فينا، فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا، وخطورة الكلمة تأتي واضحة في البيان النبوي الكريم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم». فالكلمات تقود الرجل الحكيم، ولكنها تقود المجانين أيضا (٦)، ونحن نسعى في كتاباتنا إلى التحديد في العبارات والكلمات ومدلولات الألفاظ حتى لا تجري مناقشاتنا في الظلام فيضيع الفهم بيننا..

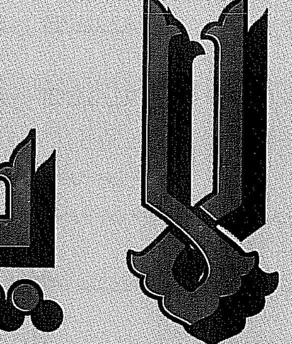
وعند ختمنا لهذه الورقة، يلزمنا أن نؤكد أن العمل الإسلامي والتحرك لتمكين شرع الله سبحانه، لا يعرف عمرا زمنياً، فمن ثقل لكبر سنه فليتذكر أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ولتكن له همة الشباب كما حدث ليوسف بن رزق الله، فقد عمر طويلا لعله قارب التسعين، ثقل سمعه، لكن حواسه كلها صحيحة، وهمته همة ابن ثلاثين، مات وهو في ميدان العمل يباشر التوقيع بصفد في ربيع الآخر سنة ٧٤٥هـ (٧).

هذا وفي الختام نسأل الله أن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها آمين والحمدلله رب العالمين□

الهوامش:

١) الدرر الكامنة، ت: ٣٠٠٨، ٣/٢٤٢ و٢٤٣.
٢) الدرر الكامنة، ت: ٤٩٠٤، ٥/١٥٤ و١٥٥.
٣) تسهيل النظر، ص ١٣٤.
٤) سنن ابي داود من حديث أبي هريرة ٤/٣٣٣.
٥) رقم ٥١٢٨، مسند الإمام أحمد ٥/٢٧٤.
٦) المصطلحات السياسية، ص ١٠.
٧) الدرر الكامنة، ت ٥١١٥، ٥/٢٢٩.





بقلم: عبد الجواد محمد الحمزاوي

— ما اسمك؟

زاد من تقطيب سحنته حتى خلته شيطانا وزوى ما بين حاجبيه ثم صوّت فيّ:

— لا شأن لك بي.. اغرب عن وجهي..

الحق أن صوته كان مرتفعا ارتفاعا آذاني، ثم إنه غاظني بـ«اغرب عن وجهي هذه»، قلت:

— لماذا تصيح هكذا يا غبي؟.. إنني أمامك ولست في بلد آخر.. ثم كيف تجرؤ على أن تطردني؟! هذه أرض الحكومة.. ثم ألاتعرف من أنا؟!

تصنعت سمت الناس أصحاب السطوة والسلطان وأنا أنظر إليه في استخفاف واضح، لم يكترث بسمتي ولابكلامي وانطلق كمدفع ضخم في صحراء..

— أنا غبي..؟! آه لو فكت عني أغلال الأمير وقيوده.. لقد قتلت غيرك كثيرا في أقل من عشر هذا الذي قلته..

ثم انفجر في ضحك شديد بصوته المجلجل القوي وظل يقهقه والأغلال في عنقه والقيود في قدميه ويديه حتى دمعت عيناه.. لم أكن أدري سبب هذا الضحك، ولكنه كان ينظر إلى ويشير بيده نحوي.. إذا فهو يضحك على.. لم أكن أدري ما يضحك في.. الغيظ يأكلني ويستبد بي والصوت يؤذيني ويثير أعصابي.. هممت بأن أصفعه على وجهه الضخم، ولكنني — للحق — خفت منه ومن منظره.. بعد فترة ليست بالقصيرة تمالك نفسه بعض التمالك، ثم قال، وهو يغالب ضحكه بصوته الأجش العالي..

— قل لي أنت.. من أنت؟.. وكيف تجرؤ أن تدخل معسكر الأمير أبي نصر بن مروان وأنت عاري الرأس هكذا؟! ثم أين هي لحيتك يا.. يا رجل؟

ثم أخذ يضحك هذا الضحك الذي يغيظ..

فجأة شحب وجهه، وغاص الدم منه وسكت كأنما أصابه الخرس.. تلفت حولي لأعرف سبب هذا التغير المفاجيء فوجدت مجموعة من الجنود تحمل نطعا وبجانبهم يسير رجل يمسك سيفا بتارا.. إذاً، فهذا الرجل الضخم الذي رفض أن يفصح لي عن اسمه محكوم عليه بالاعدام وهذا سر الأغلال والقيود التي عليه.. لم يكن كلامه عن القتل تخويفا ولاتهويشا. «الحمد لله أنه مقيد مغلول»..

زاد هذا من فضولي لأعرف فيم يقتل هذا الرجل الضخم العملاق.. اقتربت منه مستغلا حالة الضعف الشديد التي انتابته بعد رؤية الجنود يحملون النطع ثم همست في أذنه..

— إنني صحافي، أستطيع أن أنشر قصتك في كل الصحف والمجلات العربية والعالمية وأستطيع أن أتصل بمنظمات حقوق الانسان لتتدخل في الأمر وتضمن لك محاكمة عادلة.. فما هي قصتك بالضبط..

لم يكن يعرف ما معنى «صحافة» ولاماهى منظمات حقوق الانسان ولم أستطع أنا أن أفهمه.. لم أدر كيف فهم من كلامي أنني سوف أرثيه بقصيدة أذكر فيها شجاعته وفتوته.. وافقته على ما فهم ليتكلم فقال:

— سل ما بدا لك وأنا أجيب.

— ما اسمك؟

— دعك من هذا، فلن أخبرك باسمي أو قل: إن التاريخ نسى اسمي وصرت رمزا.. انني رجل من الأكراد كنت أعمل في جيش الأمير أبي نصر بن مروان..

أنا والله العظيم مقدم العسكر في هذا المعسكر.. منذ فترة قصيرة كنت آمر وأنهى في هذا المعسكر بل ان الطعام الذي في بطني أكلته في ضيافة الأمير نفسه..

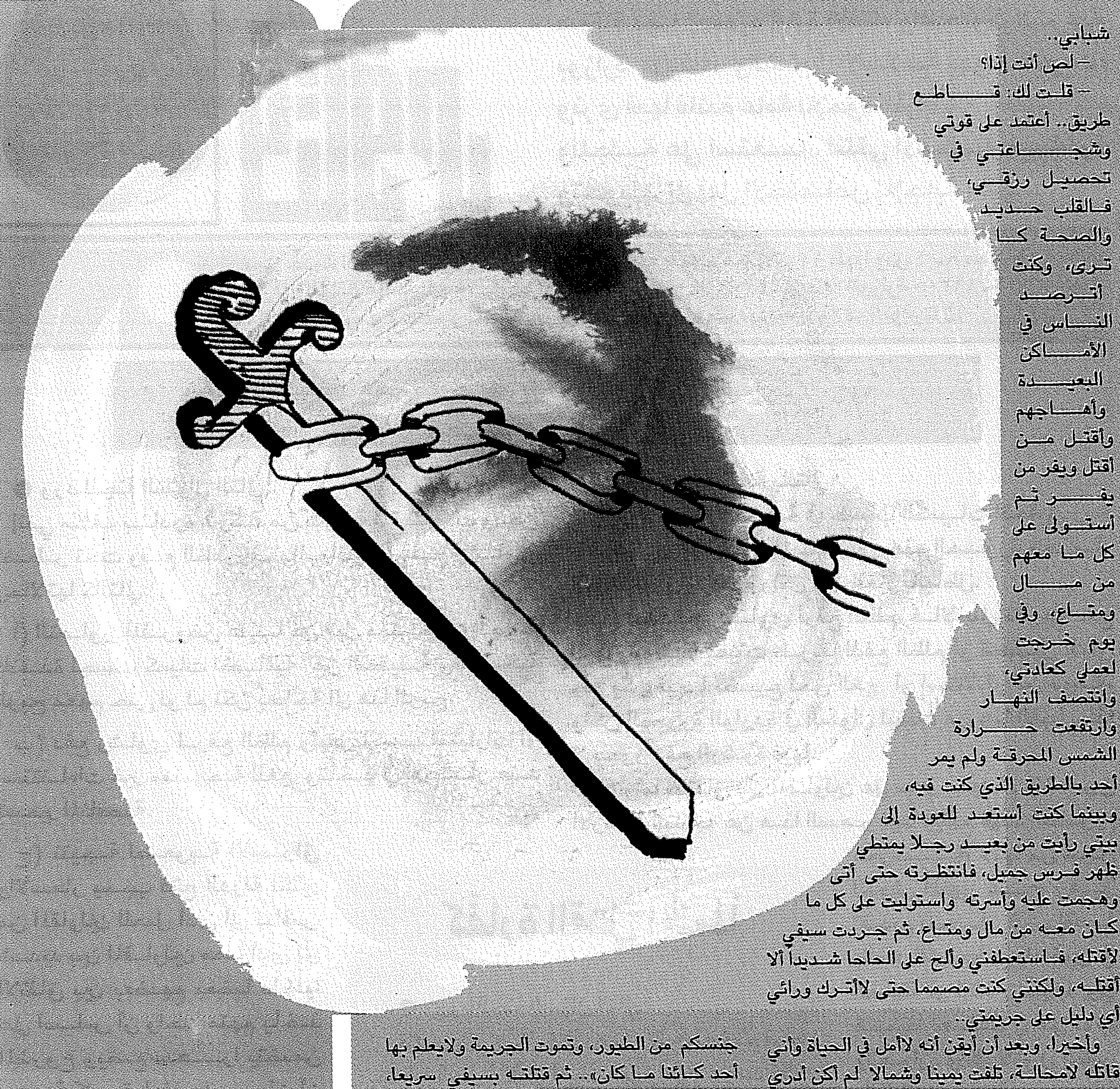
— إذا، ما الذي غير حالك إلى ما أرى؟!

— ضحكت وأنا آكل مع الأمير فلما سألني عن سبب ضحكي وأخبرته عنه صرت إلى ما ترى.. صحت وأنا في غاية الدهشة..

— هذا ظلم.. ظلم شنيع.. تقتل لأنك ضحكت، هذا شيء فظيع.. صحيح أن الضحك من غير سبب سوء أدب ولكن هذا لايبرر للأمير قتلك.. كان يكفي أن يعزلك، أما أن يقتلك هذا شيء في منتهى الظلم والقسوة..

أومأ إلى موافقا على ما أقول ثم طلب مني أن أذكر هذا في رثائه، وهنا نهرني أحد الجنود الذين يحملون النطع بشدة وقال «ياهذا، إن أميرنا لايقتل الناس لسوء أدبهم.. قتل النفس كبيرة، واذا سمعت القصة لآخرها فستعلم أن أميرنا عادل..

غصصت بريقي، ثم تمالكت نفسي وسألت مقدم العسكر السابق عن سبب ضحكه وهو على مائدة الأمير.. أبدا.. كنت آكل أنا والأمير واذا بالخادم يدخل وفي يده صينية عليها حجلتان مشويتان، وبمجرد أن وقع بصري على هاتين الحجلتين ضحكت ضحكا شديدا وقهقهت بصوت مرتفع.. ستسالني كما سالني الأمير.. عن السبب سأخبرك.. كنت أقطع الطريق وأنا في



شبابي..

- لص أنت إذا؟

- قلت لك: قاطع طريق.. أعتمد على قوتي وشجاعتي في تحصيل رزقي، فالقلب حديد والصحة كما ترى، وكنت أترصد الناس في الأماكن البعيدة وأهاجمهم وأقتل من اقتل ويفر من يفر ثم أستولى على كل ما معهم من مال ومتاع، وفي يوم خرجت لعملي كعادتي، وانتصف النهار وارتفعت حرارة الشمس المحرقة ولم يمر أحد بالطريق الذي كنت فيه، وبينما كنت أستعد للعودة إلى بيتي رأيت من بعيد رجلا يمتطي ظهر فرس جميل، فانتظرته حتى أتى وهجمت عليه وأسرته واستوليت على كل ما كان معه من مال ومتاع، ثم جردت سيفي لأقتله، فاستعطفني وألح على الحاجا شديداً ألا أقتله، ولكنني كنت مصمما حتى لاأترك ورائي أي دليل على جريمتي..

وأخيرا، وبعد أن أيقن أنه لاأمل في الحياة وأني قاتله لامحالة، تلفت يمينا وشمالا لم أكن أدري عم يبحث، كنت أخاف أن يكون قد رأى بعض من يعرفهم مقبلين علينا فهو يستحثهم لينقذه..

فالتفت حيث يلتفت وقد داخلني خوف كبير ولكني لم أر شيئا يخيف.. فنظرت إليه وقد تهلل وجهه بالبشر وهو ينظر إلى حجلتين كانت بالقرب منا وصاح فيهما أيتها الحجلتان أشهدا لي أنه قاتلي ظلما، دون ما ذنب مني ولاجريرة سلفت.. ضحكت كثيرا عليه وعلى جهله وحمقه، فيكف يشهد حجلتين علي..

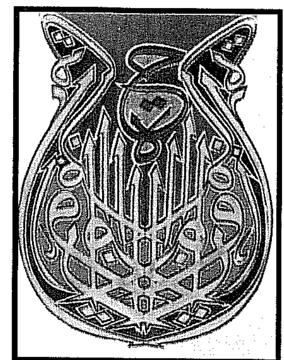
فقلت أنا الآخر وأنا أنظر إليهما: «أيتها الحجلتان.. انظرا جيدا، ودققا كيف أقتله، ثم آكلكما أنا بعده، فلا تستيطعان الحديث إلى بنات جنسكم من الطيور، وتموت الجريمة ولايعلم بها أحد كائنا ما كان».. ثم قتلته بسيفي سريعا، ولكنني لم أستطع أن أمسك بالحجلتين.. لم أكن خائفا، وليس علي من بأس أن تعرف الطيور كلها لاالحجل وحده، فلما أتى الخادم بهاتين الحجلتين المشويتين، تذكرت كل هذا وضحكت على ما كان من حمق ذلك الرجل وجهله..

وحينما وصلت الى هذا الحد من قصتي مع هذا الرجل الأحمق صاح في الأمير: «انهما قد شهدتا عليك عندي وأنا قاتلك به»..

نظرت اليه طويلا في دهشة وقلت «ولقد شهدتا عليك»..

ثم تركته ومشيت تاركا للجند أن ينفذوا فيه انتقام الله وحكمه■

■ثم تركته ومشيت تاركا للجند أن ينفذوا فيه انتقام الله وحكمه



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

حكم دفع الرشوة

● ورد للجنة السؤال التالي:

إنني مكلف بـادرة شركـة من شركـة المقـاولات ونحن نضطـر تحت وقـع الظـروف والـواقع الى دفـع رشـاوى وحالاتها كالتالي:

أ) التعـاون المفـروض علينـا من قبل مهنـدسين الجهـة المنفـذة لحسب كميات اضـافية عن الحقيقـة ومناصفـة الربح معهم حتى لو لم نكن بحاجة الى هذا الربح.

ب) دفع رشاوي لـرفع الظلم وليس لكسب امتيازات أو استثناءات غير ممنوحـة للغير وتأخـذ في الاعتبـار عنـد تسعير المناقصة.

ج) نتيجـة لصعوبـة الأسـواق والأسعار بسبب فتح الدولة لكثير من المقاولين للعمل أدى الى تنافس شـديد بين المقـاولين ممـا أدى إلى الاتفاق بين بعضهم بعضا داخليا على أسـاس أن واحدا منهم يأخـذ المشروع ويضع سعـــرا يتضمن حصـة كل مقـاول على ضمان أن يـدخلـوا المنـاقصـــة، ويـرفعـوا اسعـارهم أكثر منـه ليتسنى لـه الفوز بها.

د) وهل يحق لي الاستمــــرار كمدير لهذه الشركة خاصة وانني معين من قبل ورثـة وليس لي حق التصرف في رفض هـذه العمليـات خاصة وانني أحـاول قدر الامكان التخفيف منهـا وقـد يأتي مـديـر غيري ويتمادى فيها؟

●● أجابت اللجنة بالتالي:

أ) إن مخالفة الحقيقـة في حساب الكميـات لتحقيق ربح يقتسم بين الشركـة والمهنـدسين، هذه الصـورة محرّمـة، لأنها تزوير ورشوة وأكل مال الغير بالباطل.

ب) أما دفع رشـاوى لرفع الظلم، فـالأصل تحريم دفع الرشوة إلاّ إذا تعينت طـريقاً لدفع الظلم أو تحصيل الحق ولم يكن فيهـا تضييع لحق الغير أو استئثـار من دونـه، ولكن الصورة الواردة في السؤال ليست من هذا القبيل، لذا لا يجوز دفع الرشوة فيها.

ج) وأما الاتفاق بين المقـاولين على سعر معيّن ثم يقتسمون الأربـاح الناتجة عن هـذا السعـر فيما بينهم فهذه الصـورة محرّمـــــة، لأنها من قبيل النجش المنهي عنـــه، وهـــو تقـديم اسعـار غير واقعيـة بقصد التوريط في الدخول في الصفقة أو التنفير منهـا، وفي هـــذا تعـــاون على الاثم والعدوان، وأكل لأموال الناس بالباطل.

د) وفيما يتعلّق بـاستمرار عمل المدير الواردة في السؤال، فيجوز للمستفتي الاستمرار مـديراً للشركـة المشار إليهـا مشروطـاً بـرفض العمليـات المحرّمة المنوط أمـرها به. أما دعوى أنه قد يأتي مدير آخر يتمادى في الأمـور المحـرّمـة، فهـذا افتراض لا يسـوغ لـه البقاء في عمل محرّم.

كفّارة القتل الخطأ

● وورد للجنة السؤال التالي:

قتل رجل رجـلا خطأ دهما بـالسيـارة ثم قـام بـدفع الـديـة لأهل الميت فهل يلـزمـه بعـد ذلك الصيام؟ وإذا كـان عليه صيـام ولم يتمكن من الصيام لأي سبـب فماذا عليه بعد ذلك؟ وجـزاكم الله خيرا..

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

تجب في القتل الخطأ كفـارة على مـن وقـع منـه القتل خطأ وهي (الآن بعـد انتهـاء الـرق دوليـا) منحصرة في صيـام شهـرين متتـابعين، ولا تسقط إلا عنـد العجـز عن الصـوم لمرض مـزمن أو شيخوخة لخبر طبيب مسلم موثوق به أو تجربة.

من صــــور الربـــا في البيـــوع

● ورد للجنة السؤال التالي:

حصل ان اشتريت سيـارة بمبلغ قـدره ٦٠٠ دينارا، وكتبت عليهـا سعرا قدره ٩٥٠ دينـار على اقساط شهـريـة ٤٠ دينـار لمدة سنتين، ثم قمت ببيع السيـارة لشخص مـا اخبرتـه بأن السيـارة مطلـوبـة لشركـة التسهيلات، على الرغم من أنها ملكي وليست مطلوبـة للشركة. وبعـد أن تم البيع والشراء سجلنـا السيـارة بـاسم المشتري في شركـة التسهيـلات وأخـذت أنـا من الشركـة ٨٠٠ دينار نقدا مع العلم بأن الشركـة تأخذ نسبة (٧٥٠/١٨٪).

فما حكم التصرف أو هـذه البيعـة لأنني بهذه الطريقـة ضمنت ربح ٢٠٠ دينـار من شركة التسهيلات.

ويحصل أن يأتي مشتر لسيـارة امتلكهـا فحينما أعـرض عليـه المبلغ نقـدا ويعجـز المشتري عنـه فيطلب شراءهـا اقسـاطـا عن طريق شركـة التسهيلات وأنـا لا أمانع ولكن بشرط استلام السعر الذي ذكرته فهل في هذا حرج أم لا ؟

●● قـد سبق عـرض هذا الاستفتـاء على اللجنـة وطلبت حضـور المستفتي لتـوضيح بعض الأمـور، وقـد حضر في هـذه الجلسـة وأفاد أن العمل الـذي يقوم به البائع هـو أنه يكتب على السيـارة أنها مطلـوبـة لشركـة التسهيـلات بمبلغ قدره ٩٥٠ دينـارا مثلا ثم يبيعها في السوق بالطلب وبما يزيده المشتري الذي تستقـر عليه المزايـدة. هذا مع العلم أن السيارة لا تكـون مطلوبة للشركـة أصلا، ثم يذهب البائع والمشتري الى شركة التسهيلات ويقـدم البـائع دفتر السيـارة واثبـات الشخصية الى مسئـول الشركة ويـوقع فقط على استـلام شيك بـ ٨٠٠ دينـار ويكـون البـاقي من الـ ٩٥٠ دينارا مبلغ وقدره ١٥٠ دينارا وهو ربح الشركة ويوقع المشتري لدى الشركة كمبيالات شهـريـة بما مجموعه ٩٥٠ دينارا وينتهي دور البـائع بعد التـوقيع لدى ادارة المرور وتحويل السيارة باسم المشتري ولا يوقـع البائع لـدى شركة التسهيلات أي نماذج أو توثيقـات ما عدا الايصـال بالشيك الفوري..

وبعد اطلاع اللجنة على الاستفتاء والافادة أجابت بما يلي:

ان هذه العملية محرمة لأمرين الأول: انها تشتمل على الكذب والتدليس لإعطاء السلعة أكثر من قيمتها ليغتر المشتري بأنها تستحق ذلك الثمن.

والثـاني: ان هـذه العملية بإدخـال شركـة التسهيلات فيها على الصورة المبينة تؤول الى الـربا، لأن البـائع يترتب له في ذمـة المشتري مبلغ معين مـؤجل الـدفع فيحولـه الى شركـة التسهيلات ويأخذ من شركة التسهيلات أقل منه حـالا هذا صـورة من صـور الربـا وهو يشبه خصم الكمبيـالات المؤجلة لـدى البنوك الـربويـة التي تـدفع أقل من قيمتها وتأخـذ الفرق ممن عليـه الدين في نهايـة الأجل، فاذا ادخلت في العمليـة شركـة التسهيـلات على الوجـه المبين في السؤال حصل الربـا المحرّم، أما إذا كـان الغرض أن يتم البيع بـالأجل ولم يدخل فيهـا طرفـا ثالثاً كشركـة التسهيلات، فان العملية تكون صحيحـة شرعا مع حرمة مـا اقترن بها من كذب وتـدليس عنـد كتابـة مقدار الطلب على السيارة بخلاف الواقع.

ان تعارف البائع والمشتري على البيع بثمن معين حال جائز شرعا، فاذا ذهب المشتري الى طـرف ثالث واقترض المبلـغ المطلوب للبـائع وكتب على نفسه كمبيالات مؤجلة قيمتها أكثر من القرض فـذلك من الربا المحرم، وهـو ربا واقع بين المشتري وبين الطرف الثالث.

بيع المباع لا يجوز

● ورد للجنة ما يلي:

أردت شراء سيارة من شخص عن طريق بيت التمويل الكويتي وقـد اتفقنا على سعر معين على أن أعطيه ربح قيمـة السيارة قبل الـذهـاب الى بيت التمـويل وذلك حتى تقل قيمـة الأرباح التي يحددهـا بيت التمـويل فهل تجوز هـذه المعـاملة بهذه الطـريقـة؟ وجزاكم الله خيرا..

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

هـذه المعاملـة لا تجوز لأن البيع تم بين مالك السيـارة والمشتري، فلا يجوز للمالك أن يبيعهـا مـرة أخـرى لانها خـرجت من ملكـه، فضـلا عما في هـذا التصرف من الاحتيال الباطل. ويمكن للسائل أن يعرض على بيت التمويل تخفيف نسبـة الربح لانه سيـدفع جزءا من الثمن حـالا. والله تعـالى أعلم.

من صور بيع العاجل بالآجل

● ورد للجنة الاستفتاء التالي:

١) لديّ سيارة وأريد تبديلها بسيارة أخرى جديدة وهـذه السيارة التي عندي تعتبر كمقدم وأقوم بتسديد باقي قيمتها على اقساط..

١) ما حكم هذا البيع؟

٢) ما حكم البيع بالأقساط؟ مع العلم بأن سعر السيـارة إذا دفع حالا يختلف عنه إذا كان مؤجلا (يعني إذا كان مؤجلا يكون زائدا)؟

●●وأجابت اللجنة عن السؤال الأول بمايلي:

يجوز تبـديل سيـارة قـديمـة بسيـارة أخـرى جـديدة مع دفع الفـرق مـا دامت السيـارة القـديمـة تعتبر دفعـة من الثمن كمقدم، ولا ضرر من بيـان ثمن السيارتين إذا وقعت المبادلة بعقد واحد..

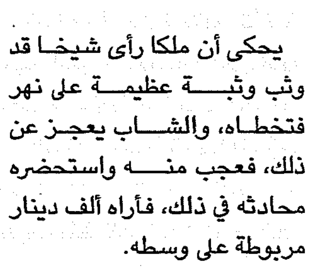
وأجابت اللجنة عن السؤال الثاني بجواز البيع بالأجل بثمن أعلى من البيع في الحال، على أن تعتبر الـزيـادة منـدمجة في الثمن، وعلى أنـه في حـال تأخير الـدفع عن الأجل المحـدد لا يـزاد في الثمن بسبب التأخير ولا يحط منه عنـد التعجيل في السـداد إذا كان الاتفاق مسبقا.

الإسراء والمعراج

قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ [الإسراء:١].



سر قوتة



يحكى أن ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه، والشاب يعجز عن ذلك، فعجب منه واستحضره محادثه في ذلك، فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه.

أبيات حكمية

قال الشاعر:

وجليس لي أخي ثقة
كأن حديثه خبره
يسرك حسن ظاهره
وتحمد منه محتضره
يستر عيب صاحبه
ويستر أنه ستره

وقال آخر:

بلوت مرارة الأشياء طرا
فما شيء أمر من السؤال
ولم أر في الخطوب أشد هولا
وأصعب من معاداة الرجال

وقال آخر:

ذهاب المال في حمد وأجر
ذهاب لا يقال له ذهاب

وقال آخر:

قد أنطقت الدراهم بعد عيّ
أناسا طالما كانوا سكوتا
فما عادوا على جار بخير
ولا رفعوا لمكرمة بيوتا
كذاك المال ينطق كل عي
ويترك كل ذي حسب صموتا

الأمل في الله

قال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

عُمر الحارس اليقظ

يقال ان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولى رجلا من قريش عملا، فبلغه أنه قال:

اسقني شربة ألذ لديها
واسق بالله مثلها ابن هشام

فأمر عمر بعزله عن عمله، فلما قدم عليه قال له: ألست القائل (وأنشده البيت السابق).

فقال الرجل: نعم يا أمير المؤمنين، وقد قلت بعده:

عسلا باردا بماء سحاب
إنني لا أحب شرب المدام

فقال أمير المؤمنين: أكذا قلت؟ قال: نعم فرده عمر الفاروق إلى عمله.



الحسنة والسيئة

قال ابن عباس رضي الله عنه: (إن للحسنة لنورا في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة من الخلق، وإن للسيئة لغبرة في الوجه، ووهنا في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضا من الخلق).

أقوال

* من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.
* من اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه.
* من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.
* ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الاقتار [حديث شريف].
* «لا تصاحب إلا مؤمن ولا يأكل طعامك إلا تقي» [حديث شريف].
* من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

الحر يجتنب المخازي

قال الإمام الشافعي:

رأيت الحر يجتنب المخازي
ويحميه عن الغدر الحياء
إذا جاريت في خلق دنيئا
فأنت ومن تجاريه سواء
إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش الحر ما استحيا كريما
ويبقى العود ما بقي اللحاء
وما من شدة إلا سياتي
لها بعد شدتها رخاء

صلاة أعرابي

صلى أعرابي صلاة مخففة، فقام إليه علي ـ كرم الله وجهه ـ بالدرّة، وقال له: أعدها، فأعادها الأعرابي، ثم قال لعلي بن أبي طالب: أهذه خير أم الأولى؟ فقال علي: بل الأولى، فقال الأعرابي: ولم؟ قال علي ـ رضي الله عنه: لأن الأولى لله، وهذه للدرة.

نسيت اسم أبي

قيل إن زيادا ـ أمير البصرة وحاكمها ـ أمر بقتل رجل، فقال الرجل: أيها الأمير: إن لي بك صلة، قال: وما هي؟ قال: إن أبي كان جارا لك بخراسان. فقال زياد: ومن أبوك؟ قال الرجل: قد نسيت اسم نفسي، فكيف لا أنسى اسم أبي؟

فضحك زياد، وعلم أنه أديب احتال في خلاص نفسه فعفا عنه.

أم توصي بضرب ابنتها

لما تزوج شريح الراوية زينب، زارتها أمها بعد سنة فقالت له: لم يضم الرجل إلى نحره شرا من ورهاء، وإنما زينب من النساء، فإن رابك منها شيء، فالسوط فضحك شريح ثم قال:

رأيت رجالا يضربون نساءهم
فشلت يميني يوم أضرب زينبا
وكل محب يمنع الود الفه
ويعذره يوما إذا هو أدنبا

تذكر

تذكر: ان الله عز وجل يبتلي العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه.
تذكر: أنها كلما تشتد الأزمة تنفرج، اشتدي أزمة تنفرجي.
تذكر: أن أفضل العباد انتظار الفرج.
تذكر: أن الفرج يأتي من الله على قدر شدة البلاء.
تذكر: إن ما يكره العبد، خير مما يحب، لأن ما يكره يهيجه على الدعاء، وما يحب يلهيه عنه.
تذكر: إن من اتبع الصبر اتبعه النصر.
تذكر: ان من صبر ظفر وأن الصبر مفتاح الفرج .. وعند اشتداد البلاء يأتي الرخاء. [زاد المتقين للحازمي].

النصيحة في الملأ تقريع

قال مسعر بن كدام: رحم الله من أهدى إلى عيوبي في ستر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع.

اطلبوا العلم

قال أحمد شوقي:

اطلبوا العلم لذات العلم لا
لشهادات وآراب أخر
كم غلام خامل في درسه
صار بحر العلم استاذ العصر
ومجد فيه أمسى خاملا
ليس في من غاب أو فيمن حضر

ثمـــرات المطـــابع



إعـــداد: التحريـــر

المجموع المذهّب في قواعد المذهب

الامام الحافظ: خليل بن كيلكلدي؛ العلائي الشافعي

تحقيق: د. محمد عبد الغفار الشريف

الادارة العامة للافتاء والبحوث الشرعية، بوزارة الأوقاف - الكويت

الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

وكتاب (المجموع المذهب) من كتب القواعد الفقهية المهمة، وقد جمع فيه مؤلفه القواعد الفقهية والأصولية التي بني عليها المذهب الشافعي، وقد أثنى عليه العلماء، وقال ابن حجر في ترجمة المؤلف: (صنف التصانيف في الفقه والأصول والحديث، كالقواعد التي جودها)، وقال حاجي خليفة: (قواعد العلائي في الفروع، وهي أجود القواعد)..

ومؤلف الكتاب، الإمام خليل بن كليكدي، من العلماء المعتبرين، قال عنه الأسنوي: (كان حافظ زمانه، إماما في الفقه والأصول وغيرهما، ذكيا نظارا فصيحا كريما ذا سطوة وحشمة، انقطع في القدس للتدريس والإفتاء والتصنيف)..

ومحقق الكتاب، الدكتور محمد عبد الغفار الشريف عضو هيئة التدريس في جامعة الكويت، وعضو هيئة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس

الإمام الحافظ، أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)

تحقيق وتعليق: محمد بن ناصر العجمي

دار البشائر الاسلامية - بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

اهتم بهذه الطبعة (جمعية إحياء التراث الإسلامي، فرع الجهرة بالكويت) وهي طبعة مزيدة بعدما وقف المحقق على نسخة خطية رابعة للكتاب من جامعة (بيل) بالولايات المتحدة الأمريكية أضاف منها ما هو مهم وجوهري..

والإمام ابن رجب؛ رحمه الله؛ من علماء السلف الصالح الأجلاء، أثنى عليه العلماء فقال فيه الحافظ ابن حجر: (الشيخ المحدّث الحافظ)، وقال ابن عبد الهادي المِبْرد: (الشيخ الإمام، أوحد الأنام، قدوةُ الحفّاظ، جامع الشتات والفضائل)، وعُرف بالزهد والورع والعبادة، وألّف في الفقه وعلوم القرآن والحديث والتاريخ والوعظ والفضائل، وكان من المتقنين الذين يجمعون فيعون، ولرسائله فوائد لا تعد ولا تحصى..

وقد وضح في كتابه هذا حديث ابن عباس، رضي الله عنهما: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك ...»، وجلاه في أحسن صورة، وأجمل حُلة، وليس هذا الحديث بأول حديث يهتم به ويشرحه، بل كان يعمد إلى الأحاديث التي لها أهمية خاصة في ترسيخ العقيدة وتزكية النفوس، فيفردها بالتأليف ويشرحها ويبيّن مراميها، مع الاهتمام بالناحية الوعظية، وذكر نماذج من أقوال السلف وما كانوا يتحلوْن به من خلق عظيم تجاه الله وتجاه خلقه، كل هذا بلطف عبارة وجمال أسلوب وترابط أقوال وإتقان معنى وحسن بيان..

وقد جعل المحقق كتابه في مقدّمة تبين مضمونه، ووصف لمخطوطات الكتاب المعتمدة في تحقيقه، وعمله فيه، وترجمة مختصرة للمولف، ثم الكتاب.

نظريات السياسة الدولية (دراسة تحليلية مقارنة)

د. اسماعيل صبري مقلد

جامعة الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م

علم السياسة من العلوم المنهجية التي يحتاجها المسلم المعاصر لا سيما في ميدان الدراسات التحليلية المقارنة، ود. اسماعيل صبري مقلد، استاذ العلاقات الدولية بقسم العلوم السياسية بجامعة الكويت وضع كتابه (نظريات السياسة الدولية) آملاً أن تسد بعض الفراغ الذي تعاني مه المكتبة العربية حاليا من هذا النوع من المعالجات النظرية المتخصصة لمختلف ظواهر السياسة الدولية وحقائقها الكثيرة والمركبة..

وقد اقتصر على عرض ومناقشة أهم تلك النظريات، مبينا المضمون الفلسفي لكل منها، ومبرزا الافكار والمفاهيم التي روّج لها دعاتها، والحجج والأسانيد التي قدموها دفاعا عنها، ثم انتهى من ذلك إلى تقييم كل واحدة من هذه النظريات من مختلف زواياها الايجابية والسلبية على حد سواء.

النظام القانوني لحماية الاختراعات ونقل التكنولوجيا

د. جلال احمد خليل

جامعة الكويت – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

حرصت الدول على الاحتفاظ بالاكتشافات والاختراعات سرا خشية ذيوعها وانتشارها، فاحتفظت الصين لمدة طويلة بصناعة الحرير وتوصل العرب إلى (البوصلة) واستعملوها قبل أن تستعملها أوروبا في اكتشاف العالم الجديد..

إلا أنه مع تقدم المدنية وانتشار الأفكار الحديثة وتزايد الاختراعات والاكتشافات، فقد أصبح من الصعوبة بمكان الإبقاء على تلك السرية، ولذلك تنبهت بعض الدول منذ أمد طويل إلى أهمية ضمان حمايتها لأبنائها المخرعين سواء بتقديم المساعدات المادية أو المعنويةلهم، أو بضمان التطبيق العملي لما حققوه من اختراعات في نطاق الصناعة، وقد ظهرت بوادر هذه الحماية في صورة امتيازات ملكية بضمان الاستغلال من جانب الملوك والأمراء لأرباب الحرف والصناعات بهدف تحقيق الأمان لهم وتشجيعهم على القيام باستغلال اختراعاتهم في البلاد.. والكتاب دراسة للنظام القانوني لحماية الاختراعات ونقل التكنولوجيا الى الدول النامية، وجعله كاتبه في باب تمعيدي وقسمين رئيسيين..

حقوق الانسان في الوطن العربي

حسين جميل
مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – الطبعة: الأولى شباط (فبراير) ١٩٨٦م

الكتاب هو الأول في سلسلة (الثقافة القومية)، التي تهدف مخاطبة القارىء العادي غير المتخصص، وتستهدف الشباب والطلبة بشكل خاص، والغرض الاساسي منها تيسير إيصال الافكار التي تنطوي عليها حركة (القومية العربية) وهدف الوحدة العربية لأوسع جماهير الشعب..

وبغض النظر عن أهداف (المركز) و(سلسلته) تبقى مسألة (حقوق الإنسان) على رأس اهتمامات الفرد والجماعة والدولة والمجتمع الإنساني، طالما يسعى الجميع إلى تحقيق العدالة وسبل الرقي للشعوب والأمم والأفراد..

وقد تناول الكتاب في الفصل الأول الخلفية التاريخية لمفهوم حقوق الإنسان كما وردت في النصوص القانونية والدستورية والفلسفية في الإسلام والغرب على حد سواء. وخصص الفصل الثاني للمواثيق والاتفاقيات والقرارات الدولية والاعلانات والتوصيات المعاصرة ذات العلاقة بالحقوق. واستقل الفصل الثالث بـ(الديمقراطية)، بينما تحدث الفصل الرابع عن الأنظمة والاوضاع غير الديمقراطية ونتائجها، وفي الفصل الخامس مسّ مفصل للشكوى من الثغرات القائمة في موضوع الحقوق وانعكاسها على الفرد والمجتمع، ويتعرض الفصل السادس لنظام الحكم الذي نريده وفي ظله تضمن حقوق الانسان. وترك المؤلف نتائجه إلى الخاتمة.

يوم الله (الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث)

المؤلف: جيل كيبل

ترجمة: نصير مروّة – نشر: دار قرطبة – قبرص، ١٩٩٢م

يرصد الكتاب العلاقات بين الدين والسياسة خلال العقدين الأخيرين، فمن الاسلام؛ الذي شهد الثورة في إيران، وحركة حماس في فلسطين، وصعود جبهة الانقاذ في الجزائر. إلى أمريكا البروتستانتية؛ حيث لعبت الجماعات المعمدانية والإنجيلية دوراً بارزاً في انتخابات ثلاثة رؤساء اعتلوا سدّة البيت الأبيض (كارتر وريغن وبوش) مروراً بالكاثوليكية في أوروبا الغربية والشرقية، حيث مارست الكنيسة تأثيراً مشهوداً في التحوّلات الأخيرة لا سيما في بولندا. واليهودية في فلسطين المحتلة، حيث أصبح للأحزاب التوراتية موقعاً مقرراً في سياسة الدولة وحياة المجتمع منذ صعود تحالف الليكود إلى السلطة. انبعثت الظاهرة الدينية واختلطت بالمشاريع والحركات السياسية معيدة الاعتبار إلى ما كان قد جرى تنحيته ووضعه في ذمة التاريخ منذ انتصارات الحداثة وقيم العصر التكنولوجي.. هل فقدت (الحداثة) مصداقيتها؟ وما معنى (العودة) المدويّة للمشاريع الدينية واحتلالها لصدارة المشهد التاريخي المعاصر؟ تبدو الحركات الدينية اليوم بمثابة (حركات احتجاج) على وضع الانسان في العالم المعاصر، وتقدّم نفسها بديلاً عن اليوتوبيات الايدلوجية العلمانية الكبرى (القومية والليبرالية والشيوعية)، فإذا كانت (العلمانية) قد اعتبرت (الدين) لحظة عفى عليها الزمن، فها هو الخطاب الديني اليوم يضع (العلمانية) وقيمها وإنجازاتها موضع تساؤل وشك، ويحمّلها مسوولية الحروب والكوارث والظلم نتيجة الابتعاد عن أمر الله.

مواقف إنسانية في السيرة النبوية

عبد الله نجيب سالم

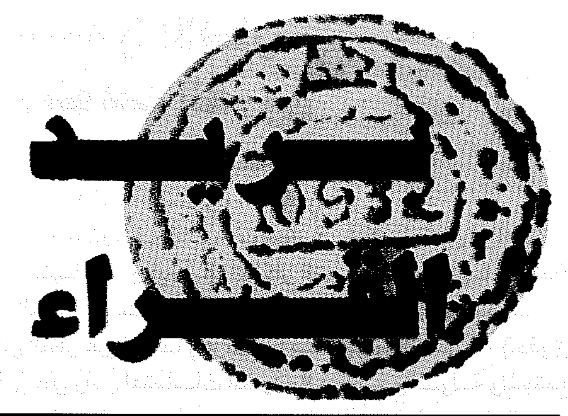
دار حواء – الكويت، ودار ابن حزم – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

يرى الناظر في سيرة رسول الله ﷺ شخصية فريدة من نوعها، فالبرغم من إنسانيته وعواطفها وانفعالاتها غير أنه بزّ أفراد الإنسانية جميعاً وفاقهم في ميادين الخير والخلق والحكمة والتقوى والعمل والجهاد، فكان بحق الأسوة الحسنة والقدوة المتميّزة..

وفي السيرة دروس وعبر ومواقف لا يحصرها كتاب ولا تحيط بها دراسة واحدة مهما بلغت من الشمول والتوسّع، فلقد كان النبي ﷺ أمّة في ذاته وتصرفاته، وكفى في ذلك قول الله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [الأنعام: ١٢٤].. والشيخ نجيب عبد الله سالم كان قد سلّط الضوء على مواقف إنسانية بارزة في السيرة النبوية الشريفة، في حلقات أذاعتها إذاعة الكويت، ورأى تعميم الفائدة فنشرها في كتاب يبرز لشبابنا صوراً ناضرة حيّة من سيرة نبينا ﷺ العطرة، فيستدلون بها على الطريق، ويرتقون في مدارج الخير، ويحيون بها تراثنا العملي..

ومن مواضيع الكتاب: حلف الفضول بداية رائعة، ومواجهة مع ابي جهل، والعم الحاني ابو طالب، وبنت خويلد الزوجة الأولى، وموعد مع الآلام في الطائف، وغرباء في أرض الحبشة، ونصارى يصلون في مسجد النبي ﷺ، والسياسي الخبير والمفاوض البصير، وثمامة أعرابي من نجد، ومكة تنطق بالشهادتين، وغيرها..





ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

قضايا العالم الإسلامي

كتب القارىء/ يحيى السيد النجار من الشقيقة جمهورية مصر العربية، يبث أخوانه ما يتفاعل في نفسه تجاه قضايا العالم الإسلامي الساخنة، ومتطلبات المرحلة القادمة من ثبات ومصابرة ومجاهدة فقال:

هموم وقضايا الأمة الإسلامية المصيرية عديدة.. والحل لكل هذه القضايا يكمن في الجهاد، والجهاد الإسلامي فقط.

والبلدان العربية والإسلامية.. لم يعد الحل بيدها، ومن تلك القضايا فلسطين.. البوسنة والهرسك.. كشمير.. أذربيجان.. فالقضية الأولى.. فلسطين.. وارتبطت مؤخراً باتفاق غزة - أريحا بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، والجانب الإسرائيلي يحاول أن يستفيد من الاتفاق أكبر استفادة.. والجانب الفلسطيني يشعر أنه أعطى غاية ما يمكن أن يقدم.. والتكوين الإسرائيلي دائماً لا يعرف الخط المستقيم.. والاتفاق لم ينظر لقضية السلاح النووي الإسرائيلي، وإسرائيل لم تنضم لمعاهدة خطر انتشار الأسلحة النووية.. وإخضاع ترسانتها النووية للتفتيش الدولي.

حتى تصبح إسرائيل تمتلك مقومات إقامة الدولة اليهودية.. والاتفاق حدد موعداً للتنفيذ هو ١٣/١٢/١٩٩٣.. وإسرائيل كعادتها تراوغ ولم تنسحب من غزة وأريحا.. برغم أن نوع السلطة الفلسطينية لم يحدد بعد.. لكنه في مجالات التعليم، والثقافة، والصحة، والخدمات الاجتماعية، والضرائب المباشرة، والسياحة.. وحدد يوم ١٣/١٢/١٩٩٨م لبدء سريان تسوية دائمة.. وفلسطين منذ مايو ١٩٤٨م قضيتها حتى اليوم قاصرة وعاجزة.. ولم تعط أي أثر إيجابي بل ازدادت القضية سوءاً في حرب عام ١٩٦٧م، إذ احتلت إسرائيل القدس، والضفة، والجولان، وسيناء، والبلدان العربية لا تستطيع شن حرب على إسرائيل لاستخلاص الحق العربي منها.. وليس لعجزها العسكري.. فقد تحقق عام ١٩٧٣م النصر على إسرائيل.. برغم أن الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٤٨م أقامت من نفسها حامية لإسرائيل.. وتعلن أن إسرائيل هي الأقوى عسكرياً في منطقة الشرق الأوسط.

وإسرائيل طالما تجد الحماية لا تستجيب لمطالب أصحاب الحق.. وانطلاقاً من هجوم السلام الصاعق بين المنظمة وإسرائيل، يشعر المسلم أنه لا سلام حيث تعلن حكومة إسرائيل بأن القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل.. ولا تهاون ولا تفريط.. هكذا يعلنون صراحة.. فالقدس هي مفتاح السلام في المنطقة.. وهي القضية الكبرى في طريق السلام.. وما لم تحل حلاً عادلاً فإن كل الجهود المبذولة سعياً وراء السلام لن تجدي شيئاً.

والصهيونية تنطلق في تمسكها بالقدس من روح الحقد والتعصب.. وعروبة القدس وإسلاميتها حقيقة مؤكدة.. وحقائق التاريخ شاهدة تؤكد ذلك، ومستقبل القدس هو ماضيها العربي الإسلامي.

ونتساءل: ما رؤية العرب تجاه القدس؟ هل ننسى القدس في زحمة (الفرح) باتفاق غزة - أريحا؟ من يستر عرى الأزمة العربية وطاولة (الفرح) هي نفس (طاولة) كامب ديفيد؟ والحلم عودة كامل التراب الفلسطيني.. وأساس للتوصل.. وسلام نهائي ودائم.. ونسي العرب أن التسوية تفرضها موازين وأوضاع الولايات المتحدة الأمريكية.

والقضية الثانية.. البوسنة والهرسك.. وهي تشهد تنفيذ المؤامرة الدولية التي تقررت سلفاً في أروقة الدول الاستعمارية الكبرى.. والموقف الدولي الذي يتعمد تمييع الجمهورية المنكوبة يشهد ذلك.. وخيوط الوهم مع الحقيقة ظهرت.. والاستسلام للصرب هو الطريق الوحيد للنجاة، أو الموت للبوسنيين.

والأمم المتحدة.. بقيادة بطرس غالي تلجأ للأسلوب الضائع.. وقد دخل الإسلام البوسنة والهرسك على يد السلطان محمد الفاتح عام ٨٧٨ هـ/ ١٤٦٣م.

والمسألة هي اعتداء صارخ على حق الإنسان المسلم منذ محاولة إسقاط دولة مستقلة في ٢٩/٢/١٩٩٢م.

وأعظم ما قرأت حول أزمة البوسنة للشاعر محمد أحمد الحساني:

سراييفو.. سراييفو ... نداء كله خذلان
وصوت ضائع الأصداء ... وقال الله: ﴿ولا تهنوا﴾
فأدبرنا وولينا أمام الزحف ... وقد صرنا غثاء السيل
وغطانا ظلام الذل ... فنمنا نوم موهون
تحرج قلبه بالخوف ... وداعا يا سراييفو
فليس لديك معتصم ... يجيبك أو صلاح الدين

وأعتقد أن الحاجة الملحة تدعو المسلمين إلى مساعدة إخوانهم الذين ظلوا عامين أو يزيد تحت نير القهر والظلم والعدوان.

والعوامل عديدة وراء ما وصل إليه العالم الإسلامي من واقع مؤلم.. في مقدمته انحراف البعض عن منهج الإسلام قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال:٤٦].

وليس في الأمر كله ما يستعصي على الفهم.. لم يكتفوا بمأساة فلسطين والاعتداءات في الأرض المحتلة.. وزرعوا مأساة البوسنة، والأمم المتحدة قائمة.. ومجلس الأمن الدولي شاهد المشهد المأساوي، وكذلك المحاكم الدولية.. وتلك الخطابات الفضفاضة عن الحضارات والأخلاق والقيم

والمحبة والسلام.
كان وزننا الديمغرافي بالأمس يوزن بثلاثة أرباع العالم، ووزننا الحضاري كان في التاريخ كله.
.. وسرعان ما تبدل الواقع..
وهذا الشاعر: محمد عبد الرحمن صان الدين:

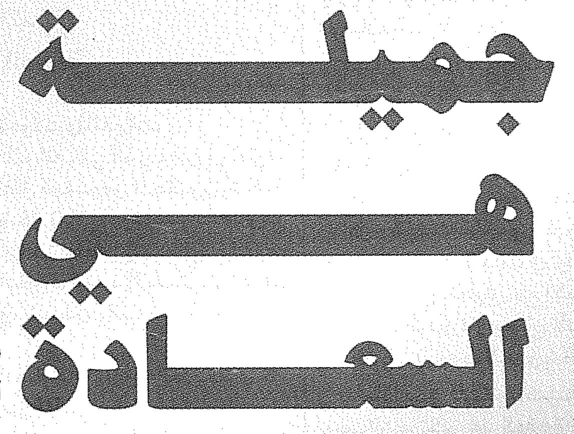
هل نسيتم أنكم بالدين كنتم خير أمة
واحتضنتم دعوة الإسلام في عزة وهمة
فصعدتم واستويتم المعالي فوق قمة

وما دام الأمر كذلك، فإن الشاعر لا يجد أمامه إلا استنهاض الإرادة العربية، ودعوة العرب إلى أن يفيقوا ليدفعوا عن أنفسهم الشر الذي يتربص بهم.. وهذا الشاعر محمد صان الدين:

أمة القرآن والإيمان والفصحى أفيقي
وادرئي في عزم حر هجمة الشر المحيق
وارجعي من غير إبطاء إلى قصد الطريق

.. من يحس بقضايانا.. والزمن زمن التحولات والمتغيرات.
والقضية الثالثة.. كشمير المسلمة والإعلام العالمي الذي يمارس تعتيماً بليغاً على ما يجرى داخل كشمير التي أغلق الهندوس المحتلون كافة منافذها، وعزلوها عن العالم الخارجي بشكل نهائي.. وكشمير ذات موقع استراتيجي في الهند.. وكشمير جزء لا يتجزأ من عالمنا الإسلامي.. والقوى الاستعمارية تنشد تحقيق أهدافها الخبيثة ضد الإسلام والعالم الإسلامي.. والمآسي أصبحت عديدة في فلسطين والبوسنة والهرسك وكشمير وأريتريا وبورما.
وجملة القول أن العالم الإسلامي قد أصابته الجروح العديدة في كل جسده وأصبحت دماء المسلمين.. أرخص من الماء.
كشمير المسلمة يجاورها الاستعمار الهندوسي من الجنوب الشرقي، والصين الشيوعية في الشمال الشرقي، والباكستان الإسلامية في الجنوب الغربي، وروسيا في الشمال الغربي.
وعدد سكان كشمير ١٢ مليون نسمة، منهم ٨٥٪ مسلمون، والعهد الإسلامي بها منذ خمسة قرون في أواخر القرن الرابع عشر.
والهند بلد علماني وبه مائتا مليون مسلم.
والاستعمار الهندوسي لا يختلف في طبيعته ولا في مطامعه الاستعمارية عن الاستعمار الصهيوني الحاقد على الإسلام. وقال تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشعراء: ٢٢٧].
والهند وإسرائيل وجهان لعملة واحدة ذات ملامح مشتركة.. فالهند مصرة على الاحتفاظ بكشمير ضاربة عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة بإجراء استفتاء فيها لتحديد مستقبلها السياسي. وإسرائيل مصرة على الاحتفاظ بالقدس العربية.
وبريطانيا هي المسؤولة عن إنهاء حكم المسلمين في البلدين.. وثمة تشابه في الهند.. والمسجد البابري.. الهندوس يدعون أنه مبنى فوق معبد قديم أقيم في ذات المكان الذي ولد فيه (الإله راما)، واليهود يدعون أن المسجد الأقصى وقبة الصخرة.. أقيما فوق أنقاض هيكل سليمان.
فالهندوس لا بديل أمامهم سوى هدم المسجد البابري، وإسرائيل تريد هدم المسجد الأقصى.. لبناء هيكل سليمان.
والقضية الرابعة.. أذربيجان.. فلم يكد يسعد الشعب المسلم في أذربيجان بسقوط الشيوعية.. ليسترد أنفاسه.. حتى داهمه العدوان الأرمني.. وتمادى الأرمن في عدوانهم مثل الصرب، فاحتلوا أجزاء من أرض أذربيجان.. وعلى مسمع ومرأى من العالم.. ويطرد أصحاب الأرض من خلال فرز طائفي مقيت.. لتزداد الهموم الإسلامية.. والتواطؤ الدولي أمر واقع.. وكل وثائق التاريخ تشهد بملكية الشعب الأذري المسلم لإقليم ناغونو كاراباخ الذي يعيش فيه المسلمون والأرمن على حد سواء.
لكن ماذا بعد؟ ينظر المسلم لأرض الإسلام فيراها شاسعة.. ينظر لتاريخه فيكتشف أن أجداده لعبوا دوراً في التاريخ.. ساهموا في إبداع الحضارة في كثير من مجالات الحياة.. البحث الإنساني.. العلوم.. الفلك.. الجبر.. القانون.. التاريخ.. الطب.. علم العقاقير.. البصريات.. الزراعة.. الهندسة المعمارية.. علوم الدين.
بل كانت (قرطبة) أكثر المدن تحضراً في أوروبا.. وينظر المسلم ليرى واقعه.. يرى جغرافيا ممزقة.. تاريخ تكتل ضد التكتلات.
على مدى العقود الأربعة الماضية.. أين مشروع الإسلام الحضاري.. أين نقط التلاقي.. وبؤس الحاضر يوجه لملايين من المسلمين؟ هل نعزي أنفسنا؟ وعتمة الليل لا تضيء لأنها مبعثرة.. هل يبقى المسلمون في صفوف المتفرجين؟
تساؤلات عديدة تطرح.. هل يستطيع المسلمون في تلك المجتمعات تحمل تلك المآسي.. ومع أذربيجان.. نرى أهميتها في احتياطي النفط، والذي يقدر بأربعة مليارات برميل.. ومحاولة يلتسين بسط النفوذ على الجمهوريات الإسلامية.. وأذربيجان هي الضحية.
قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران/١٠٣].
ولن تقوم للعرب ولا للمسلمين قائمة بدون الاتحاد.. والإسلام ليس عنفاً.. وهموم الحاضر ومساره يستدعي حالة تشخيص لأن صفعات التجزئة والإحباط.. جعلت الأمة ترتطم بمناخ هزيل أشبه بالصخور التي تتآكل وتتفتت أمام موج البحر المتلاطم.. علينا أن نثابر.. دون أن ينفد صبرنا.. والحق لا يعود في ليلة.. لكن بتغيير السلوكيات في المواقف.. لإنتاج فكر إسلامي يتعايش مع الأحداث.. كل قضية إسلامية.. دوائرها متسعة، وتشابك الدوائر يحتاج لأدوات إنتاج.. ونمو ثقافة.. واتخاذ قرارات إسلامية.. ودروب الحروب طويلة.. لكن بوضع أولوياتنا الإسلامية.
فلماذا يحن المسلم لماضيه؟ لأنه أفضل.. والتحدي الإسلامي لأعدائه يجب أن يرتكز على العقيدة الإسلامية، نصّاً وروحاً.. وتاريخ الإسلام شاهد أن المسلمين يعاملون أبناء الأديان الأخرى أفضل معاملة عرفت في التاريخ.
والاختلاف في العالم الإسلامي ينبغي أن يكون لأجل الوصول إلى المصلحة العليا، وخدمة قضايا الدين وإعلاء كلمة الله.
بل لماذا نختلف ونتقاتل. قال تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم﴾ [الحج:٧٨]. وقد أصبحنا في كافة المجالات بحاجة إلى مراجعة لشؤون أنفسنا.. وأن نثبت الثقة لدي الشباب المسلم ونبصرهم بشؤون دينهم ودنياهم.
ولا شك أن كل مسلم غيور على دينه، تشغله قضايا وهموم أمته.. لذا نشعر بالقلق حيال الوضع المتدهور في فلسطين المحتلة والبوسنة وكشمير.. وأذربيجان.. إلخ.. فهل يواجه أبناء الأمة بمناطق الصراع الأزمات بمفردهم.
قال تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ [البقرة:٢٤٩]. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنو إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال:٤٥].
وقد انتصر المسلمون بهذا الدين مدى حياتهم، وفي جميع معاركهم.. ومعارك اليوم تضرب في جدار الإسلام.. حتى يعجز المسلمون عن امتلاك إرادتهم، أو تحقيق قيام مجتمعهم الأصيل القائم على النظام الإسلامي.. والمد الإسلامي يتمثل في الصحوة الإسلامية.. والهدف ترشيدها وحمايتها لتأخر الطريق الصحيح. قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذاكم وصا كم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام:١٥٣]□

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

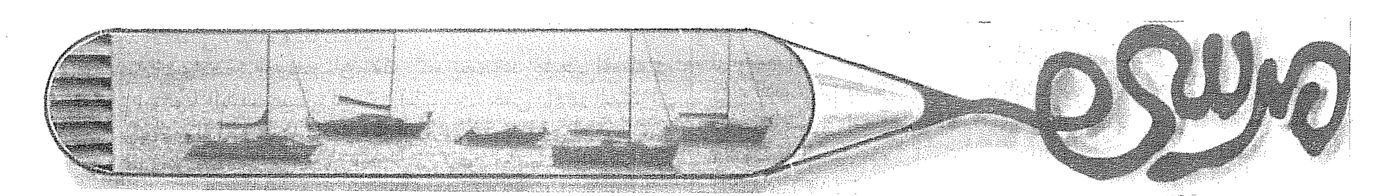


جميلة هي السعادة عندما تشرق في نفوس أصحابها.. إن للسعادة طعماً ليس ككل الطعوم، وأن لها لذة لا تعادلها كل لذائذ الأرض.. وسبب ذلك أنها تنبع من داخل نفس الإنسان، وأجمل ما في السعادة أنها لا تخطىء الضعفاء والفقراء لتستقر في بيوت الأغنياء والأقوياء.. بل غالباً ما يشعر بها الفقير والضعيف وذو الحاجة عن غيره من أثرياء الأرض وأقويائهم لأنها لمسات رقيقة حانية تنبعث من صفاء النفس، ورقتها، وقدرتها على الرضا وأنسها بمن حولها من الحياة والأحياء..

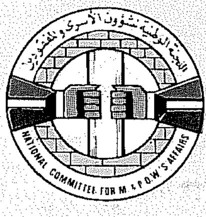
لهذا فالسعداء يعمرون مدة حياة خالية من الكدر - لا أقول خالية من المرض - فقد يكون في المرض لذة وسعادة لا تعادلها ثمة لذة أخرى - بل يشعر السعداء بحياة عالية القيمة عظيمة المعنى لأنهم يفهمون معاني الأشياء على حقيقتها، على الرغم من بساطة علمهم وقلة ثقافتهم وموارد عيشهم، ولكنهم يضعون الفكرة في موضعها ويردون اللفظة إلى صوابها، ويعيشون يومهم بامتداد ساعاته غير كارهين أو متسخّطين لما يجري فيه من لمات عارضة، ولا يحملون في قلبهم الصغير حقداً لأحد..

ولفظ الشقاوة يحمل في طياته الغم والضيم لأنه يحدث في النفس زلزلة ينبعث منها شعور بالقلق والتسخّط والمعاناة السرمدية إلا من عصم ربي ورحم. ويكاد البدن أن يقشعر وهو يسمع قول الحق جل وعلا: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق. خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعّال لما يريد. وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ [هود:١٠٦-١٠٨]□

بقلم: علي مدني رضوان الخطيب



أسرى الكويت يناشدون العالم



اللجنة الوطنية
لشؤون الأسرى والمفقودين

NATIONAL COMMITTEE
FOR M.& P.O.W.'S AFFAIRS